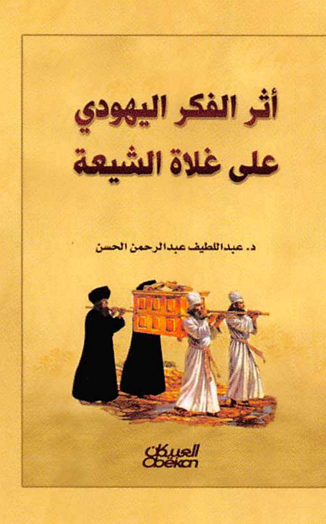
أثر الفكر اليهودي
على غلاة الشيعة

د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن



العبيكان
Obeikan



بعد نشر كتابي (جذور التشيع) وجدت مادة علمية كثيرة لا يحتمل الكتاب السالف أن أضمنها فيه، وهذه المادة تخص العلاقة بين اليهود والتشيع عقيدة وفكرًا، حملها رجال من قبائل عربية قديمًا؛ لظروف سياسية مرت بها المنطقة، ولتجاور الشعوب السامية في المنطقة العربية، وتوارث تراثها الفكري بين الأجيال والأقوام.

وفي أثناء قراءتي لمصادر الشيعة القديمة هالني التشابه بين الأفكار الواردة في المصادر اليهودية ومصادر الشيعة القديمة، في بعض الأحيان تلمحها بوضوح، وفي أحيان كثيرة يجرون عليها بعض التحوير والتغيير المناسب للاحتجاج الزمني، وجميعها موضوعة على شكل أحاديث منسوبة إلى الأئمة. ولهذا رأيت من المناسب أن أعرض ما توصلت إليه بشكل محايد، لا غرض فيه غير العرض العلمي البحت الخالي من التجني أو التشنيع، مستعملاً في الأساس المصادر الإسرائيلية والمصادر الشيعية الموثقة عندهم، وإني إن أشرت إلى مصادر أخرى، فإنما ترد على سبيل الإضافة والتعضيد لما يذكر.

إن رجال الشيعة ابتلوا كغيرهم بنقل الإسرائيليات في التفسير والحديث، ونسبوها أقوالاً لأئمتهم طالبين في ذلك إعلاء شأن الأئمة، وإنهم عالمون بعلم أهل الكتاب، فمن هذا الطريق أيضًا دخلت البلايا والخرافات والأقوال المبتكرة من اليهودية إلى التشيع، وسنلقي الضوء على هذا الموضوع؛ لأهميته.

والسؤال المهم هنا هو: **هل علماء الشيعة يعرفون هذه الحقيقة؟ وإن كانوا لا يجهلونها، فلماذا سكتوا عنها منذ القدم على الرغم من وضوحها؟**

هذا السؤال وغيره كثير تجد جوابه بين ثنايا هذا الكتاب،،،

المؤلف


ISBN:978-603-503-524-8



موضوع الكتاب:

الفكر اليهودي - الشيعة

أثر الفكر اليهودي
على غلاة الشيعة

الدكتور. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن



ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة./ عبداللطيف عبدالرحمن الحسن.- الرياض، ١٤٣٤هـ.

٤٢٤ ص، ١٦,٥× ٢٤ سم

ردمك: ٨-٥٢٤- ٥٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الفكر اليهودي ٢- الشيعة أ. العنوان

ديوي ٢٩٦ ١٤٣٤/ ٣٧٧٠

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ هاتف مجاني: ٩٢٠٠٢٠٢٠٧ فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣ ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

www.obeikanretail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

مقدمة الكتاب

بعد نشر كتابي «جذور التشيع» وجدت مادة علمية كثيرة لا يحتمل الكتاب السالف أن أضمنها فيه، وهذه المادة تخص العلاقة بين اليهود والتشيع عقيدة وفكرًا، حملها رجال من قبائل عربية قديمًا؛ لظروف سياسية مرت بها المنطقة، ولتجاور الشعوب السامية في المنطقة العربية، وتوارث تراثها الفكري بين الأجيال والأقوام.

وفي أثناء قراءتي لمصادر الشيعة القديمة هالني التشابه بين الأفكار الواردة في المصادر اليهودية ومصادر الشيعة القديمة، في بعض الأحيان تلمحها بوضوح، وفي أحيان كثيرة يجرون عليها بعض التحوير والتغيير المناسب للاحتجاج الزمني، وجميعها موضوعة على شكل أحاديث منسوبة إلى الأئمة. ولهذا رأيت من المناسب أن أعرض ما توصلت إليه بشكل محايد، لا غرض فيه غير العرض العلمي البحت الخالي من التجني أو التشنيع، مستعملاً في الأساس المصادر الإسرائيلية والمصادر الشيعية الموثقة عندهم، وإني إن أشرت إلى مصادر أخرى، فإنما ترد على سبيل الإضافة والتعضيد لما يذكر.

ليست فرقة الشيعة وحدها التي انتقلت إليها التعاليم والأفكار اليهودية، فهذا واقع علمي وسياسي لا يمكن لأحد رد مؤثراته، حيث جرت سنة الله في خلقه أنهم وإن وضعوا في ظروف مشابهة، فلا بد أن تنتقل إليهم تلك المؤثرات شاؤوا أم أبوا. وقد شرحت في كتابي «جذور التشيع» الظروف

التي دفعت الشيعة إلى تبني تلك الأفكار، ليس فقط من اليهود، وإنما أيضًا من النصارى ومن الفرس والمجوس.

إن هذا مبلغ علم هؤلاء الرجال العرب... وكذا العجم من الإيرانيين وغيرهم... الذين صدقوا تلك النقول في وقتها؛ لأن ذلك كان مبلغ علمهم إن حسنت نياتهم، ومن كان منهم على نية سيئة، ويعلم أنه يسبب بذلك فرقة المسلمين وبذر الشقاق بينهم، أمثال عبدالله بن سبأ وأبي الخطاب وبريدة العجلي وزرارة، وكثير أمثالهم ممن دمغهم الأئمة بالكذب، ووصفوا بأنهم شر من اليهود.

إن رجال الشيعة ابتلوا كغيرهم بنقل الإسرائيليات في التفسير والحديث، ونسبوها أقوالًا لأئمتهم طالبين في ذلك إعلاء شأن الأئمة، وإنهم عالمون بعلم أهل الكتاب، فمن هذا الطريق أيضًا دخلت البلايا والخرافات والأقوال المبتكرة من اليهودية إلى التشيع، وسنلقي الضوء على هذا الموضوع؛ لأهميته.

والسؤال المهم هنا هو: هل علماء الشيعة يعرفون هذه الحقيقة؟ وإن كانوا لا يجهلونها، فلماذا سكتوا عنها منذ القدم على الرغم من وضوحها؟ وللإجابة أرى:

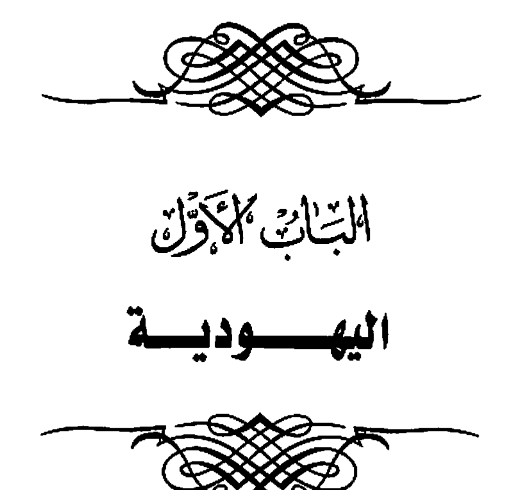
١ - أن بعضًا من الرواة الذين نقلوا تلك الأفكار اليهودية إنما ينقلون ما يرون أنه علم حقيقي عرفوه من بيئتهم أو أجدادهم، ولا يعلمون أفضل منه، وما خطيئتهم إلا أنهم وضعوا تلك الأقوال، ونسبوها للأئمة؛ لتأخذ المزيد من التصديق وإضفاء الهالة الدينية المنفردة والمخالفة لما عليه أكثر المسلمين.

٢ - وأن بعضًا آخر من الرواة ينقلون تلك الروايات، ويضيفون إليها بسذاجة وجهل إضافات من أفكارهم ومعلوماتهم، أو مما يسمعونه دونما احتراز وتأكد منهم، مثل أحد الرواة الذين وصفهم الإمام أبو جعفر الصادق: (أنت وأصحابك كأشباه الحمير).

٣ - ولكن بعد انتشار العلم واقترابه من كل طالب منذ القرون الأولى وحتى اليوم، فلا عذر للمسلم فضلًا عن العالم، خاصة من علماء الشيعة أن يسكت عن هذه الحقيقة الواضحة في هذا البحث، ولا بد أن يجاهد لتنقية المذهب مما لحق به من خزعبلات وخرافات وأفكار بالية ومضحكة لا تليق بالعلم وأهله، والسكوت عن ذلك فيه إثم كبير، وضرر على المذهب وأهله.

إن في المذهب من شباب الشيعة من يدرسون في الحوزات العلمية، ومن وصلوا إلى دراسة ما يسمونه بالخارج، أي العلوم الدينية الخارجة بعض الشيء عما في المذهب، لماذا لا يلتفت أمثال هؤلاء لدراسة هذه الظواهر الخطيرة في التشيع؟ ذلك أنفع للمذهب وللمسلمين، إذ يسبب وحدتهم واقترابهم بعضهم من بعض، وأن يفهم كل فريق ما كان عليه الآخر من خير أو شر.





البَابُ الأَوَّل

اليهـــوديـــة

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

يدعي اليهود أن أرض كنعان (الشام وفلسطين) أرض ميعادهم التي وعدهم الرب بها، ولكن أرض العراق يعدونها أرض أجدادهم قديماً، ثم أرض سبيهم بعد هدم هيكلهم وخراب دولتهم، فنهر دجلة والفرات تذكرهما التوراة كنهر الفردوس، وتذكر التوراة شنعار وبين النهرين وبابل وآشور بوصفها مدناً، لهم ذكريات وأحداث فيها منذ القدم.

يرى بعض اليهود أن أصلهم من قبيلة تارح القبلية الآكدية، التي نزحت من جنوب العراق (مملكة آكد) إلى بلاد كنعان بقيادة تارح صانع الأصنام ورئيس القبيلة، ومعه ابنه إبراهيم، حيث ما لبث الأب تارح أن توفي، فأخذ إبراهيم القيادة[1] مكانه، فعبر بهم الفرات متجهًا إلى الشام، فسموا بالعبريين.

وأخذوا من البابليين شرائع وعادات كثيرة، منها قصة (الخلق والتكوين) والطوفان وتقديس يوم السبت وحياة ما بعد القبر، وذلك لتشابه ما ذكر مع شرائع حمورابي والبابليين (ملحمة كلكامش)، وما ذكر في التوراة، ويختلفون في أمور كثيرة أخصها العبرانيون الأوائل، كانوا يؤمنون بإله واحد.

---

(١) يوسف غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص٦١. بيروت ٢٠٠٦م. والمؤلف من طلبة مدرسة الإليانس الإسرائيلية الفرنسية، التي أسست في بغداد سنة ١٨٦٥م. وعمل وزيرًا للدولة العراقية بعد تأسيسها.

ويحسن بنا أن نلقي الضوء أكثر على اليهود وبلاد العرب بوصفها أن كلاً من الشعبين من الشعوب السامية.

العبريون ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب إليه الآشوريون العرب، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين، وقد هاجر فريق منهم إلى الشمال في بلاد بابل، حيث كان السلطان لحضارة السومريين والأكاديين[1].

أصاب أرض كنعان جدب، ولم تعد وفيرة الخير لإبراهيم وأهله وأنعامه، فسار إبراهيم تجاه الجنوب إلى مصر، ولكن فرعون طمع في سارة زوجة إبراهيم، فقفل إبراهيم راجعًا إلى أرض كنعان ومعه ثراؤه ومعه كذلك هاجر، وهي جارية مصرية أهداها فرعون إلى سارة. وقد دخل إبراهيم بهاجر، وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل، الذي نشأ في مكة المكرمة، وصاهر قبيلة جرهم سادة مكة المكرمة.

وبعد مولد إسماعيل بنحو أربع عشرة سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه إسحاق، وترك إبراهيم ابنه إسماعيل بالحجاز، وابنه الأصغر إسحاق بأرض كنعان، وأنجب ولدين هما عيسو ويعقوب، المسمى إسرائيل، وإليه ينسب بنو إسرائيل، وتزوج يعقوب بنتي خاله، وهما لية وراحيل، وتزوج أيضًا من زلفة جارية لية ومن بلهة جارية راحيل، وأعقب منهن اثني عشر ابنًا[2].

حدث أن تأزمت العلاقات بين المصريين وبني إسرائيل الذين هاجروا إلى مصر، وقرر المصريون أن عزلة بني إسرائيل هي مصدر خطر، وأن تكاثر رجالهم يهدد الدولة، فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٣١.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٣٥ - ٣٦.

واستبقاء الإناث. وفي هذه الأجواء لم يجد موسى عليه السلام بدًّا من الهرب، واتجه في هربه إلى أرض مدين، مقر نبي الله شعيب، وهناك تزوج ابنته، وكان صداقها خدمته لأبيها ثماني حجج، وبعد أن أتم موسى عليه السلام الميقات، فكر في الرجوع إلى مصر آملاً أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته (قتله الفرعوني خصم اليهودي[1])، وسار مع زوجته في طريق العودة حتى وصل طور سيناء، وهناك خيل إليه أنه ضل الطريق، فوقف مترددًا، ولكنه سرعان ما أبصر نارًا تشتعل في جانب الطور الأيمن، وبذلك بدأت رسالة موسى عليه السلام. واتجه موسى عليه السلام يطلب من فرعون أن يطلق معه شعبه «بني إسرائيل»، ليعبدوا إلههم «يهوه» في البرية، ولهذا دبر موسى عليه السلام أن يخرج بهم سرًّا. وخرج بنو إسرائيل بما سلبوه من المصريين، وبلغوا شاطئ خليج السويس، وذلك نحو سنة ١٢١٣ق. م، وفرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني، وفرعون الخروج هو منفتاح الذي خلفه.

تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وكان يوشع أحد أصفياء موسى عليه السلام، وقد اختاره موسى عليه السلام قبل موته لقيادة بني إسرائيل، وهو الذي استطاع اليهود في عهده دخول الأرض الموعودة[2].

عهد الانقسام وزوال ملك بني إسرائيل

أراد رحبعام أن يحارب أخاه، ولكن النبي شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب، وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين: جنوبية عاصمتها أورشليم واسمها مملكة يهوذا، وشمالية عاصمتها نابلس واسمها إسرائيل. وكان

---

(١) حيث أشار القرآن الكريم: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ (القصص:١٥).

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٤٢ – ٤٤، ٤٩ – ٥٠.

تقسيم الدولة في الحقيقة انتصارًا عمليًا لفرعون مصر، ولم يكتفِ شيشنق بهذا، بل غزا فلسطين، وصعد على أورشليم،ونهبها، وبسط سيطرته على دولة يهوذا، ثم على دولة إسرائيل، وامتد سلطانه على الجليل، تعرضت هاتان الدولتان أيضًا إلى الضغط من جهة الشمال، للقضاء على القوة اليهودية الدخيلة في المنطقة من جهة، وللمنافسة بين العراق ومصر من جهة أخرى.

يصف Wells تاريخ المملكتين بأنه قصة ملوك همج يحكمون شعبًا من الهمج، حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق. م محا الأسر الآشوري مملكة إسرائيل من الوجود، وزال شعبها من التاريخ زوالاً تامًا، وظلت مملكة يهوذا تكافح، حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق. م.

إن تراث اليهود وتعاليمهم الدينية من خلال كتبهم، وتعاليمهم الموروثة من توراة وتلمود وميشنا وجيمارا كلها مختلفة فيما بينها، بل متناقضة أحيانًا، والسبب في ذلك أن هذه التعاليم جمعت ودونت في أزمان مختلفة، تمتد إلى ألفي سنة تقريبًا، فمن الإله الأول يهوه الصنم أو الوثن إلى الخالق الواحد الرب. ومن التعاليم الوثنية التي تقدس «الحية»و«القرن»و«الأجداد» بوصفهم معبودين إلى التعاليم التي تنزه الرب عن التجسيم والشرك.

وعند تدوينها في تلك الأزمان المختلفة، فإنها كانت عرضة للمؤثرات الفارسية الزرادشتية وتعاليم الفلسفة اليونانية والمسيحية، وحتى تعاليم الإسلام تأثر بها كثير من اليهود الذين دونوا تعاليمهم في العصر العباسي وفي ظل الدولة الأيوبية كالرابان ميمون وغيره[1].

---

(١) راجع تفاصيل ذلك عند حسن ظاظا: المصدر السابق، ص١٣٠ - ١٤٠.

واليهودية دين ومعتقد، ولا تمت إلى جنس بعينه، وقد دخل في اليهودية أجناس مختلفة من البشر، خاصة بعد تدوين العهد القديم (التوراة)، واستمر التبشير باليهودية من قبل رجال الدين اليهود في أصقاع مختلفة من الأرض، ولم يوقف التبشير هذا إلا في القرن الثالث عشر الميلادي على يد حاخامات اليهود، الذين ارتأوا قصرها على فئات معينة، لدواعي التعصب والاستحواذ على الملة.

تم سقوط مملكة إسرائيل على يد سرجون الثاني ملك آشور، الذي اعتقل هوشع بن أيله آخر ملوكها، وقد ثار لذلك ملك بابل نبوخذ نصر (بختنصر)، الذي آل إليه السلطان على آشور، وزحف على فلسطين، فهزم فرعون مصر، واستعاد مملكة إسرائيل، واحتل مملكة يهوذا، وقتل صدقيا ابن يواقيم آخر ملوك يهوذا، ونهب أورشليم، ودمرها، وسبى أهلها إلى بابل، ثم عاد بعضهم إلى بيت المقدس في عهد قورش[1].

*****

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٦١ - ٦٤، ٦٩.

عقيدة بني إسرائيل

عبادة العجل

لم يستطع موسى عليه السلام أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي؛ لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وتقرر التوراة قصة العجل الذي عبده اليهود، فعبدوه بعد أن تأخر موسى عليه السلام في العودة إليهم.

وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى حين، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلي ذهب؛ ليعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا إلى الذهاب إلى الهيكل، وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد.

ويروي العهد القديم كذلك أن موسى عليه السلام عمل حية من نحاس، وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك، وكانت الأفعى تعد حيوانًا مقدسًا؛ لأنها -عندهم- تمثل الحكمة والدهاء والانسياب(١).

عدم جواز ذكر اسم الإله

لأن موسى عليه السلام علّم بني إسرائيل أن يتّقوا ذكره توقيرًا له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه(٢).

التجسيم والتشبيه

ترسم أسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضة للإله، فمن أوصاف يهوه فيها: أنه كان يسير أمام جماعة بني إسرائيل في عمود سحاب.

---

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٥١ – ١٥٢.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص١٥٣.

ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشرف بني إسرائيل.

ويهــوه لا يدعي أنه عالم، ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه، ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة، بأن يجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا في البيوت[1].

صفات أخرى لمعبودهم

والإله يهوه يأمر بالسرقة، «تطلب كل امرأة منهم من جارتها من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب». ويهوه إله قاس مدمر متعصب لشعبه، ويأمر المحاربين: «لا تقطع لهم عهدًا، ولا تشفق بهم».

تروي التوراة أن موسى عليه السلام راجع ربه، وقال له: ارجع عن حمّو غضبك، واندم على الشر بشعبك، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟

فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعله بشعبه[2].

ويروى أن بسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل، سمى اليهود عزرا: ابن الله[3].

الآخرة والبعث

تهتم اليهوديــة المحرفة بالأعمال ولا تعني بالإيمــان، ولما كانت اليهودية ديــن أعمال لا دين إيمان، ولعلهــم أخذوا الفكرة عن الفرس، فهي لم يرد فيها شيء عن البعث واليوم الآخر، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة ونار.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص١٥٤ - ١٥٥.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص١٥٦ - ١٥٩.

(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٢٣.

واحتل الفرس دولتي اليهود، وسمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة بنــاء معابدهم، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس.

ومــن تعاليم هذه الديانــة اقتبس اليهود الاعتقــاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أيضًا أن هناك جنة ونارًا[1].

التابوت والهيكل

وتذكــر التــوراة أن موسى عليه السلام نزل من الجبل ولوحــا الشهادة في يده، لوحــان مكتوبان علــى جانبيهما، من هنا، ومن هنا كانــا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين.

فبنى سليمان البيت، وأكمله، وبنى حيطان البيت من الداخل، بأضلاع أرز مــن أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشــاه من داخل بخشب، وفرش أرضــ البيــت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعًا مــن مؤخر البيت بأضلاع أرز مــن الأرض إلى الحيطــان، وبنى داخله المحــراب، أي قدس الأقداس.. وهيأ محرابًا في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، وأقام تمثالين لملكين يحرسان قدس الأقداس.

ولأن موســى عليه السلام حرَّم عليهم التصوير والنحت؛ حتى لا يحدثوا أشياء تناظر ما خلقه الله.

ودخــول الهيكل لم يكن مباحًا للجميع، وإنما كان مقصورًا على القسس، أما القدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلا مرة في العام، ولا يدخله إلا كبار القسس.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص١٧٢ – ١٧٣.

وأُعِدَّ الهيـكل مقر إلههم، وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعـي استجابتهـم لهذا المعبود الـذي طالما نفروا منـه، وأصبح الهيكل في الواقـع رمـزًا لكل ما كان يدور في خلدهم من معبـودات، بعيدًا عن الأحجار والأصنام، وهو مسكن الأرواح، وبه المذبح، حيث رأس العجل[1].

الكهنة والقرابين

وليـس الخلاف الذي حدث بين عيسى عليه السلام وكهنة الهيكل إلا حلقة من حلقات خلافات مماثلة بين الأنبياء والكهنة.

ولم تكـن القرابـين مقبولـة إلا إذا قدمت على يد أحـد الكهنة، وكانوا معفويـن مـن الضرائب، وتقدم لهـم العشور من نتاج الضـأن، ويأخذون ما يبقى في الهيكل من القرابين.

وقـد قضـى المجلـس بإعدام عيسـى، ولكنه احتـاج إلـى موافقة هذا الحاكـم، فالكاهـن الأعظـم استمتع بسلطـة عظيمة، ليس فقـط في الأمور الدينية، ولكن في الأمور المادية أيضًا. وصار الكاهن الأعظم ملكًا متوجًا.

وكان الكاهـن الأعظم يختار من أعظم فروع أسرة ليفي، أما القرابين فكانـت الضحايا البشرية، وكانـت تقدم مع القرابين الأخـرى من الحيوان والثمار.

ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان، بدلاً من أن يُضحَّى بالإنسان كله، وكان هـذا الجزء هو مـا يقتطع في عملية الختان، وقـد بقيت عملية الختان رمزًا للتضحية بالإنسان.

---

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٦١، ١٧٥-١٧٩.

وهكذا وضع كهنــة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء في يده[1].

الشعب المختار والمسيح المنتظر

يُـروى أن يهوه قطع وعدًا لإبراهيم بأن يفضــل الشعب اليهودي جميع الأجناس. «وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم، وأنا أعطيكم إياها لترثوها، أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً. أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب»[2].

«وتكونــون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»[3].

بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم.

وتم زواج بــين الله وبــين إسرائيل، وسجل عقد الــزواج بينهما، وكانت السماوات والأرض شهودًا لهذا العقد.

ومن ذلك كان ممنوعًا على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية، وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل.

ونتــج من طبيعة الاختيار عقيدة أخرى عند اليهود، هي عقيدة المسيح المنتظــر، فــإن اليهود وجدوا أنفسهــم لا خيرة البشر، كما زعمــوا، ولا صفوة الخلق، كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون، وإنمــا كانوا هدفًا للبلايــا والنكبات، ومن هنا اتجــه مفكروهم في عصورهم

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٨١ – ١٨٥.
(٢) سفر اللاويين،٢٤.
(٣) سفر اللاويين،٢٦.

المتأخـرة إلى مخلص ومنقـذ ينتشلهم من هذه الوحـدة، ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص «المسيح المنتظر»، ووصفوه بأنه رسول السماء. وهو إنسان سماوي، ويبقى في السماء، حتى تحين ساعة إرساله.

وكلمة المسيح معناها الممسوح «بزيت البركة».

ويعتقـدون أنه سيجـيء ليعيد مجـد إسرائيل، ويجمع أشتـات اليهود بفلسطـين، ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول، ولكنهم أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم، وإن لم يكن من نسل داود.

إن فكرة المسيح برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر، فهي لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم في بابل، ثم خضوعهم إلى الفرس.

وهـذا دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية، التي كان الفرس يدينون بها.

وإن كان هنـاك أدلة على وجود فكرة المسيح قبل الأسر البابلي، ويتجه بعض الباحثين إلى القول: إن فكرة المهدي المنتظر عند الشيعة مستعارة من فكرة المسيح المنتظر عند اليهود.

وبالـغ اليهود في رسـم الصورة التي أرادوها للمسيـح، فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد[1].

*****

---

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٦٢، ١٨٦-١٩٥.

بعض عقائد اليهود كما وردت في التلمود

التلمود أسمى من التوراة

يعدّ أكثر اليهود التلمود كتابًا منزلاً، ويضعونه في منزلة التوراة، بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة، ولأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحي، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب؛ لأن الذي يخالف شريعة موسى عليه السلام قد تغفر له خطيئته، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل.

البداء

ليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود؛ لأنه غضب مرة على بني إسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم بعد ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه؛ لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

الحلول والتناسخ

أرواح اليهود جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ويقول التلمود بالتناسخ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند، وأخذه حاخامات بابل من المجتمع البابلي.

منزلة اليهود أعلى من الملائكة

الإسرائيلي يعد عند الله أكثر من الملائكة، واليهودي جزء من الله.

جواز النفاق والسرقة والغش والكذب والربا مع غير اليهودي

يجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود، واليهود يُعدّون مالكين لكل ما في الأرض من ثراء بالنيابة عن الإله، فيجوز لهم أن يسرقوا مال غير اليهود، ويجيز التلمود استعمال الغش مع غير اليهودي في حال البيع أو الشراء، وأن يحلف له أيمانًا كاذبة، ألاّ يرد الأشياء المفقودة، ويجيز التلمود كذلك استعمال الربا مع غير اليهود، بل جاء فيه «غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا».

أرواح غير اليهود

جاء في التلمود «محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من الأميين من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها».

المرأة

إتيان زوجات الأجانب (غير اليهود) جائز، فلا يرتكب اليهودي محرمًا إذا أتى امرأة مسيحية، بل لهم الحق كذلك في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات.

يوم الغفران

اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا تُعدّ يمينًا، وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية، كأن تكون أمام المحاكم أو أمام خصم قوي. ويعين التلمود يومًا كل مدة يسمى يوم الغفران العام، وفيه يمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب، ومن ضمنها الأيمان الزور[1].

---

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٤٤-٢٤٩.

الفرق في اليهودية

١ - الفريسيـون: ومعناها المنعزلون والمنشقون، ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامة الأموات والملائكة والعالم الآخر، وهم يعتمدون التلمود، ولضمان تقديس اليهود للتلمود أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا، وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخافتهم هي مخافة الله.

٢ - الصدوقيـون: وهـم ينكرون البعـث والحياة الأخـرى والحساب والجنة والنـار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، وينكرون كذلك التعاليم الشفوية (التلمـود) وحتى التوراة، لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة، وينكـرون الخلـود الفـردي، كما ينكـرون وجـود الملائكـة والشياطين، وينكرون كذلك المسيح المنتظر، ولا يترقبونه.

٣ - القـراؤون: وهـم لا يعترفـون إلا بالعهد القديم كتابًـا مقدسًا، من ثم لا يعترفون بالتلمود، وهم يقولون بالاجتهاد.

ومن فرقهم أيضًا الكتبة والمعتصمون، وغيرهم[1].

*****

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٩٦-٢٠٢.

جذور الفكر اليهودي

يرى ول ديورانت: أن أساطير الجزيرة العربية كانت معينًا غزيرًا لأسفار العهد القديم، فمن هذه الأساطير أخذت قصص الخلق والطوفان، والمرجح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية سومرية قديمة[1].

ويعد الفكر المصري أيضًا مصدرًا رئيسًا لأسفار العهد القديم، ومن مصادره كذلك الفكر البابلي الذي يروي كلاً من قصتي الخلق والطوفان في نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين، كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست في بعض الأسفار. وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت، فبحث عن ثمرة البقاء في السماء، وخدعه إله ماكر عن بغيته، فناوله بديلاً منها ثمرة تشبهها في ظاهرها، ولكنها ثمرة الفناء.

على أن أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع حمورابي، الذي يرجع تاريخه إلى نحو ١٩٠٠ ق. م، وهناك شبه شديد بينه وبين القوانين اليهودية، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن القوانين الإسرائيلية مأخوذة منه، ومن ذلك قانون المشابهة الذي يقول مثلاً: إن اليد التي تخطئ، أو تسرق تعاقب بالقطع، وأن السلعة بالسلعة، والسفينة بالسفينة، والثور بالثور، والضأن بالضأن...[2].

تحريف العهد القديم

تبرئة بني إسرائيل من العيوب وتلويث سواهم من الشعوب، فأحد ابني آدم كان ضالاً، والآخر كان مهتديًا ينحدر من بني إسرائيل[3]. من الكتب المشمولة في العهد القديم «الجامعة»[4].

---

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٥.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٦-٢٣٣.

(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٨.

(٤) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٠٩.

بعض تشريعات اليهود

بعض تشريعات التوراة

- إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعه، فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه دمه عليه.

- من مس ميتًا ميتة إنسان ما، يكون نجسًا سبعة أيام، وإذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسًا سبعة أيام، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس.

- إذا نذر رجل نذرًا للرب، أو أقسم قسمًا أن يلزم نفسه بلازم، فلا ينقض كلامه.

- على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر[1].

بعض تشريعات التلمود

الاعتراف والتطهير:

الهبات والقرابين هي الوسيلة للتكفير عن الخطايا، على أن تقدم للكهنة بعد الاعتراف الكامل بما ارتكب الإنسان من إثم، ومما يفعله الكاهن أن يأخذ ماءً مقدسًا في إناء خزف، ويتلو عليه ترانيم وأدعية.

الرق

يبيع الفقير نفسه للغني، أو يقدم المدين نفسه للدائن، حتى يوفي له الثمن، ويبقى عبدًا له ست سنين، ثم يتحرر. وأباحت التوراة للعبري أن يبيع بنته، فتكون أمة للعبري الذي يشتريها. وقد نص العهد القديم على «حين

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٧١-٢٧٢.

تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعِها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك».

الختان

كان الختان سنة شائعة عند المصريين الأقدمين، وكان عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية، وكان يجري للذكر والأنثى بصورة بسيطة.

الميراث

وهو للولد الذكر، وللبكر حظ اثنين من إخوته، وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابنه، وإن لم يوجد، فينتقل إلى البنت، فأولادها. ويرى آخرون أن يكون للولد سهمان وللبنت سهم، وعند اختلاف الدين يرث اليهودي أقاربه غير اليهود، ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي.

لا ترث المرأة زوجها، وثروتها لزوجها، ومنه إلى ورثته.

النكاح

من بلغ العشرين، ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعاً من دون حد، وحدد الربانيون الزوجات بأربع، وأطلقه القراؤون. ولا يجيزون زواج اليهودي أو اليهودية من غير اليهود. ولا تجعل اليهودية الرضاعة سببًا للتحريم.

والزواج في اليهودية صفقة شراء، تعد المرأة بها مملوكة تشترى من أبيها، فيكون زوجها سيدها المطلق. والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي

والمجنون لا يجوز لها البيع ولا الشراء وجميع مالها ملك لزوجها، ولا تعفى من الغزل، ولزوجها أن يرغمها عليه؛ لأن البطالة تقود إلى الفساد[1].

بعض الواجبات الدينية

زيارة بيت المقدس

يتحتم على كل يهودي رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام.

الهلال الجديد

كان الذي يراه أولاً يسارع إلى بيت المقدس؛ ليخبر به الكهنة والرؤساء، وينفخ في الأبواق إعلانًا بالشهر الجديد، وتشعل النيران على جبال الزيتون، وعندما يراها سكان التلال البعيدة يشعلون هم أيضًا النيران على تلالهم.

السبت

لعل تسمية هذا اليوم، بل العادة نفسها قد جاءت من البابليين، فقد كان هؤلاء يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء شبتو[2]. وسنفصل في هذا البحث الأفكار اليهودية، وما ورد من أشباهها عند الشيعة في مصادرهم المعتمدة في المذهب.

*****

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٧١-٢٨٠.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٨٠-٢٨٢.

الديانة اليهودية الأولى كانت عربية
(رأي فاضل الربيعي)[1]

الادعاء في كون اليهودية ديانة عربية الأصل أمر جدير بالتمحيص، والربيعي يعرض دليله الأول من الاصطلاح اللغوي والتاريخي: (قوم هود) الوارد في القرآن الكريم. وهم في الأحقاف (حضرموت) في اليمن، وهو موطن عاد وثمود.

كما يعضد هذا الرأي القول: إن (هود) هو نفسه ما يعرف باليهودية بـ (يهوذا) السبط الأكبر في بني إسرائيل. وهذا يعني أن الإسرائيليين عرب يمانيون من نسل عاد وثمود.

كما ترى وجهة النظر هذه أن أول مملكة لبني إسرائيل كانت في شرق صنعاء، ثم زحفت اليهودية صوب نجران إلى أن اصطدمت بها المسيحية[2]، ويعرض هذا الرأي أن قبيلة حمير اليمنية كانت على دين اليهودية، كما تنقل روايات الإخباريين، وأن ملك اليمن تبان أسعد كرب قام بحملة في قبيلته التابعة لغزو مكة، ولكنه فشل، واعتنق النصرانية بدل الوثنية، ولكنه حينما عاد لموطنه في اليمن أبت عليه حمير إلا أن يترك النصرانية، ويعود إلى دين أجداده؟ ما هو؟ (يفترض اليهودية)[3].

وظهور اليهودية في الرأي السالف كان في ظل العقيدة الإبراهيمية والموسوية الداعية إلى التوحيد. وهذا ما يعلل انتشار اليهودية في اليمن منذ القدم، وخاصة بين قبيلة حمير.

(١) فاضل الربيعي، أديب ومفكر وسياسي عراقي.
(٢) الربيعي: المصدر السابق، ص ٦٧، عن كتاب فلسطين المتخيلة.
(٣) ابن هشام: السيرة.

ويفترض بعض الدارسين أن نجـران هي الواردة في التوراة باسم رَبَّة التـي كانت على الوثنية، وهاجمهـا داود ملك يهود اليمن نحو سنة ٩٢٠ قبل الميلاد، وفي هذا العهد يفترض انتشار اليهودية في اليمن، وخاصة بين قبيلة حمير. ولكـن اليهودية بدأت بالتراجع والانقسام منذ هجوم الآشوريين على الجبال اليهودية المعروفة بسرو حمير، وقد نحت التوراة باللائمة على بعض اليهـود هؤلاء المتأثرين بالوثنية عبادتهم للنـار، خاصة أولئك اليهود الذين في جبل هنوم[1].

وقد حاول الملك الحميري ذو نواس إعادة قوة الديانة اليهودية بوصفها ديانـة أجداده، فأسقط دولة السبئيـين، ثم قام بالهجوم على نجران موطن النصرانيـة العربية، وقام بحرقهـا، وحرق رجال الدين في أخدود أشار إليه القرآن الكريم. وتذكر المصادر أن الشاعر أعشى همدان قد زار نجران بعد الحـرق، وقـال قصيدة طمأن بها الرهبان، داعيا لهـم أن يتجنبوا (الحرب مع صهيون).

يذكر فاضل الربيعي أن نجران كانت سابقاً تدعى (الربة)، وهي التي هاجمهـا داود منطلقًـا من مدينـة أوشليم اليمنية، التي تظهـر تسميتها في شعر أعشى همدان بأورشليم[2].

ويرى الربيعي أن اليهودية اليمنية كانت هي الحاضرة في قتال الحملة المسيحيـة الحبشية، التي قادها أرياط سنـة ٥٢٥م، يساعده في ذلك أبرهة الـذي توجه بعدئذ لاحتـلال مكة. وفي المعركـة المذكورة انهـزم ملك اليمن

(١) الربيعي: المصدر السابق، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٣ وص٢٣٧.

اليهـودي وذو نواس الحمـيري[1]. ولكـن بعـد أن تدخل الفرسـ، كما يرى الربيعي، وانتصروا لليمنيين اليهود ضد المسيحية البيزنطية.

تكشـف الأساطير التي نقلهـا الإخباريون العرب عن صـراع سياسي بين العـرب اللخميين وبين العـرب التنوخيين على ملك الحـيرة. وتذكر الأخبار أن الفرس هم الذين ساعدوا عمرو بن عدي؛ للاستيلاء على عرش الحيرة وطرد جذيمة بن الأبرش صاحب (الأبراشية) النصرانية الموالية للدولة البيزنطية[2]. ويرى فاضل الربيعي أن قبيلة لخم اليمنية كانت يهودية عند هجرتها من اليمن إلـى الحـيرة، ثم تحولت إلـى النصرانية، بينما بقيت قبيلـة أسد في هذه المدة علـى الوثنية وعبادة الكواكب (عبادة الفرقدان). أما التنوخيون المهاجرون من اليمن فهم الآخرون قد أسسوا دولة الغساسنة في الشام، واللخميون والتنوخيون أولاد عم، هاجروا بعد انهيار سد مأرب، كما تذكر الروايات[3].

إن الحيرة اشتهـرت بنصـرانيتها النسطورية المواليـة للفرس عمومًا، بينمـا مذهب اليعاقبة المنتشـر في حلب والموصل وديار ربيعة وحمص وحماة كان على النصرانية الموالية لبيزنطة.

ولعبت نصرانية نجران العربية في انتقال كثير من القبائل العربية إلى النصرانية، ذكر الإخباريون منهم قبيلة مذحج الذين كانوا سادات نجران، كمـا تنصر من ربيعـة بنو تغلب، وتنصـر من اليمن كثير مـن طيء وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم، ينقل كل ذلك فاضل الربيعي، ويضيف أن حمير كانـت يهوديـة خالصة، كما كانـت اليهودية في بني كنانـة وبني الحارث بن كعب وكندة، كما تؤكد ذلك مصادر الإخباريين العرب[4].

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٢) الربيعي: المصدر السابق، ص١٨٨.

(٣) الربيعي: المصدر السابق، ص١٨٨

(٤) الربيعي: المصدر السابق، ص ٢٩٢.

نقد رأي فاضل الربيعي السالف

١ - إن الـرأي المتفق عليه بين الباحثين منذ القـدم: أن اليهودية ديانة لبني إسرائيـل، وهـم من العبرانيـين الساميـين، والعرب شعـب يختلف في نشأتـه عن الشعب اليهـودي الإسرائيلي، كما هو معلـوم على ما قدمنا مـن تفصيل. وأدلة الربيعـي السالفة على كون اليهوديـة عربية الأصل أدلة غير مباشـرة، أكثرها استنتاجية بتعسف، لا تقوى على نفي الأدلة المضادة والمعروفة تاريخيًّا.

٢ - اليهودية، كما قدمنا دين وعقيدة، وليست عنصرًا لشعب بعينه من حيث الأصل، وإن كانت قد تأصلت لبني إسرائيل اليهود. وكون اليهودية ديانة انتشرت بين العرب لا يستدعي كونها ومنشأها، كما يذهب الربيعي إلى أنها ديانة عربية.

٣ - إذا قيـل: إن ديانـة العرب القدمـاء كانت عبادة الأوثـان، فهذا صحيح علـى العموم، علـى الرغم من أن منهم النصـارى واليهود،.. وهم قلة. فـلا يمكن تعميم القلة علـى الكثرة، فاليهودية منـذ القدم كانت ديانة استثنائية بين العرب عن عبادة الأوثان.

٤ - رأي الربيعي هذا سبقه إليه آخرون، ربما أنهم أصحاب أغراض سياسية، فقـد طلت علينا منذ زمن بعضـ المؤلفات الأجنبيـة بالألمانية وغيرها، وتلقفهـا آخرون من العرب أمثال كمـال الصليبي، ونشرها في كثير من مؤلفاتـه التي أشرت إلـى بعضها في هذا البحـث، والربيعي يحتاج إلى المزيد من البحث والتعمق في هذه القضية الشائكة.

٥ - إن الإخباريـين العرب الذيـن يوردون أسماء العـرب أو القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية إنما يوردون ذلك على سبيل الاستثناء، ولو كانت

اليهودية عربية الأصل في منشئها لاختلف النقل، ولم يبلغنا عن أحد أنه ذكر مثلاً رجوع العربي الفلاني أو القبيلة الفلانية إلى ديانتها اليهودية القديمة مثلاً.

٦ - لو كانت اليهودية ديانة عربية الأصل لوجدت منذ القدم أن اليهودية تتبع العرب أينما حلوا في ديار العرب. والواقع يوضح أن اليهودية لم تكن يومًا دينًا عامًّا وشاملاً للعرب في أقطارهم، إنما عرفت منذ القدم بأنها ديانة الشراذم والقلة المنعزلة في أنحاء متفرقة، وبخلاف ذلك يصدق القول: إن الوثنية كانت الديانة العامة للعرب أينما وجدوا قديمًا.

٧ - إن اليهودية بوصفها دينًا لا تمثل أي خطر على العرب أو المسلمين، وقد تعايشوا مع هذه الديانة مدة طويلة، وتنحصر بعض أفكار اليهودية بالخطورة إذا ما تبناها العرب أو تأثروا بها، كما هو الحال في أثرها على بعض فرق الشيعة. ولكن الخطورة السياسية خاصة تتمثل في الصهيونية بوصفها حركة عنصرية ذات أهداف مخالفة للعدالة والحق والأخلاق، بما نرومه من السيطرة على مقدرات العالم، بدءًا بالإعلام، وانتهاءً بالاقتصاد والمال. وقد اتخذت الصهيونية الديانة اليهودية مطية لها وسلماً للوصول إلى أهدافها، وفي هذه الحدود نقيم رأي الدكتور فاضل الربيعي ومن سبقه من الباحثين في مقولتهم السالفة. ومآل الصهيونية مرتبط بوجود القوى العظمى وتعضيدها، فإذا انحسرت تلك القوى فإن اليهود في فلسطين سيكونون أمام خيارين: البعض سيهاجر إلى مكان آخر، ومن يريد البقاء سيندمج، ويتعايش مع العرب المسلمين في هذه المنطقة.

*****

موسى عليه السلام في رأي الصليبي[1]

يرى الصليبي أن بني إسرائيل العبرانيين كانوا في (مصرايم) في بيشة، قام من بينهم قائد لهم اسمه موسى عليه السلام، أخرجهم من مصرايم، وتاه بهم في البراري مدة أربعين سنة، ثم ورد بهم أرض كنعان جنوب الحجاز. وهنا التقوا مع بني يعقوب الآراميين من بني يهوذا، فاتحدوا، وكونوا شعب إسرائيل، ويرى الصليبي أن هذا الخروج الوارد في التوراة حدث في حدود ١٤٤٠ قبل الميلاد، ولم يكن خروجًا من مصر إلى سيناء وفلسطين؛ لعدم وجود أي إشارة أو دليل تاريخي في رأيه يدل على ذلك. ويرى أن الهيكل بناه سليمان في أورشليم جوار بلدة النماص بعسير. ويرى أن سليمان تولى الملك نحو ٤٧٦ قبل الميلاد، وبعد الخروج، وبعد أربعين سنة خلفه ابنه رحبعام، ويري الصليبي أن شخصية موسى عليه السلام اختلطت في التوراة بشخصية موسى عليه السلام آخر وهارون أخيه. كما أن هناك شخصية ثالثة تشير إليها التوراة، وكل من هذه الشخصيات مختلف عن الآخر زمنًا ومكانًا، وما ذلك إلا أن القبائل حينما اتحدت جعل كل منها يمجد جده الأول البطل المنقذ للشعب، فيضفي عليه الصفات والوقائع المترسخة في تاريخهم السحيق[2].

*****

(١) كمال الصليبي (١٩٢٩-٢٠١١) أستاذ جامعي ومؤرخ لبناني.

(٢) كمال الصليبي: خفايا التوراة. ص٢١٢.

نقد رأي كمال الصليبي السالف

١ - لا تتطابـق خريطة التوراة (الفلسطينية) مـع خريطة التوراة العسيرية المفترضة. وإن حصل بعض التطابق فإنما هو محض مصادفة.

٢ - يقـوم الصليبي وغيره بتقريب اللفظ العـبري إلى العربية بشكل قسري وبعيد عن التصديق، بل ربما مخالف للقواعد اللغوية في كلتا اللغتين.

٣ - يناقض الصليبي في طروحاته ما جاءت به الاكتشافات الآثارية، وأثبته علماء التاريخ من أسماء وممالك وتواريخ في فلسطين.

٤ - هناك كثير من الحقائق التي تشير إليها وثائق الشرق القديم المكتشفة، التي كانـت محط دراسة الباحثين خلال القرنـين الماضيين، ولكن تلك الحقائق والموروثات لا يأخذ بها الصليبي، بل يوثق مجرد حدسه المبني على اقتراب المبني لاسم المكان أو تشابهه.

٥ - يضـرب الصليبي نتائج البحث والدراسـة التي قام بها علماء الآثار وكتاب التاريخ القديم عرض الحائط، ويوثق فقط المروية التوراتية برغم تناقضها مع تلك الأبحاث، ومن المعلوم أن التوراة أجزاء كتبت في قرون مختلفة.

٦ - أصبـح الصليبـي في مشكلة حينما نقل مسرح التـوراة من فلسطين إلى شبـة الجزيرة العربية، حيث نقل الكثير من الأماكن والأحداث الواردة من التوراة عن مصر والعراق، وحين لا يسعفه الحال في إيجاد مثيل لها في جنوب شرق الجزيرة العربية[1].

٧ - كثـير مـن مقولات الصليبي ومـن تأثر به كفاضل الربيعـي تتناقض مع مـا ورد في القرآن الكريم حول أنبياء الله: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام

---

(١) فراس السواح: الحدث التوراتي. ص١٨ - ٢٢.

وكذلك ما ورد عن بعض الأقوام البائدة إضافة لتناقضها مع ما استقر في الفكر الإسلامي العربي حول تلك الأماكن.

٨ - إن مجرد تشابه أسماء الأماكن أو الأشخاص لا ينهض وحده كدليل تاريخي بالشكل الذي تبناه الدكتور كمال الصليبي، ذلك أنه من الثابت تاريخيًا وخاصة في المنطقة العربية أن القبائل والأقوام حين نزوحها من مواطنها الأصلية تقوم بإعطاء المسميات الأصلية للأماكن الجديدة، وأقرب مثال على ذلك هجرة شمر من شمال الجزيرة إلى العراق لا تزال إلى الآن المسميات الجديدة في العراق تماثل ما عليه الحال في شمال الجزيرة، وهنا نسأل: أيهما أقدم تواجدًا للناس في فلسطين والشام عمومًا أم في بلاد عسير؟ لماذا لا يكون الافتراض الأقرب للمنطق أن أقوامًا من بلاد الشام نزحت قديمًا إلى بلاد عسير، وقامت بتسمية بعض القرى والأماكن التسميات الأصلية نفسها في فلسطين؟ هذا خاصة أمامنا شاهد تاريخي متفق عليه أن قومًا من العبرانيين بقيادة إبراهيم نزحوا من الشام إلى الحجاز.

٩ - من الأمور المحققة عند أكثر الباحثين: أن اليهود الذين وصفوا بأنهم عرب هم على صنفين: يهود عبرانيين استوطنوا الشام وفلسطين وهاجر بعضهم إلى الحجاز. وصنف آخر يهود من أصل عربي، ومن قبائل عربية يمانية معروفة، ذكرها المؤرخون من كندة وحمير وغيرهما. فلو صحت نظرية الصليبي: أن اليهودية ديانة عربية يمانية الأصل لوجدنا جذور العقيدة اليهودية في اليمن، وليس في الشام، وهذا على خلاف الثابت تاريخيًا، ذلك أن الفكر اليهودي تم تدوينه، ونبتت جذوره الأولى في الشام والعراق. ويهودية العرب في اليمن طارئة، وليست ذات جذور جنوبية، بل إن بعض المؤرخين يرى أن يهود الحجاز كانوا قبائل عربية

تهودت، بدليل أسماء اليهود هؤلاء، وأسماء قبائلهم أسماء عربية مثل رفاعة وكعب ووهب وزيد وبني النضير وبني عوف وبني ثعلبة[1] اللهم إلا أن تكون جميع هذه القبائل جنوبية يمانية. وسياق الآيات القرآنية الواردة في حق اليهود أو بني إسرائيل إنما تقرن أخلاقهم وسيرتهم بأخلاق بني إسرائيل أيام موسى وعيسى عليهما السلام، وكون أولئك أجدادًا لهم، وقطعًا لم يكن بنو إسرائيل أيام موسى عليه السلام من العرب.

دين الحنيفية

يرى بعض الدارسين أن الحنيفية ديانة توحيدية مستندة إلى دين إبراهيم الخليل التوحيدي رافضة للوثنية وعبادة الأصنام، وتقترب من النصرانية في معتقدها الأصلي التوحيدي المبني على الخلق القويم والوفاء وسمو الروح. وربما كان المتحنفون العرب قبل الإسلام من هؤلاء مثل ورقة ابن نوفل وقس بن ساعدة الإيادي وأمية بن أبي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث وعبيدالله بن جحش[2].

ربما كان هؤلاء يمثلون الديانة النصرانية العربية القديمة قبل أن يدخل إلى المسيحية عوامل الفكر الفلسفي الرسولي البيزنطي الذي انتشر في الشام والعراق في ظل عوامل سياسية وصراع بين الفرس وبيزنطة.

---

(١) محمد سيد طنطاوي: إسرائيل في القرآن والسنة ص٧٤. بنغازي ١٩٧٢م.

(٢) وزاد عليهم صاحب بلوغ المرام جـ٢ ص٢٥٠ الأسماء الآتية: كعب بن لؤي بن غالب، وعامر بن الظرب العدواني، والرباب بن رئاب، وسويد بن عامر المصطلقي، وأسعد بن كرب الحميري، ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي، وعمير بن جندب الجهني، وعدي بن زيد العبادي، وسيف ابن ذي يزن، وصرمة بن أبي أنس، والمتلمس بن أمية الكناني، وعلاف بن شهاب التميمي، وعبد الطانجة بن ثعلب بن وبرة من قضاعة، وزهير بن أبي سلمى، وخالد ابن سنان العبسي، وعبدالله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي.

والمتحنفون كانوا زهـادًا متعبدين لهم قيمهم الدينية والفكرية، وربما كانوا مرحلة تمهيد لظهور الإسلام. فمن الأحناف القريبين لعصر الإسلام زيد بن عمرو بن نفيل.

معتقدات الحنيفية

إن الأسماء التي ذكرها الإخباريون من الحنفاء، كما يتضح مما سلف هـم من قبائل عربية شتى شماليـة وجنوبية، كما أن وجودهم كان في أزمان مختلفـة، وربمـا متباعدة يحتاج معهـا الباحث إلى إيجاد رابطـة أو تسلسل زمني مؤثر في مسيرة الحنيفية، ولكن على العموم يجمع هؤلاء معتقدات قد تتوافر كلها أو بعضها في بعضهم أو جميعهم، وأهم تلك المعتقدات:

١ - عـدم قناعتهـم بعبـادة الأصنام والأوثـان والاعتقاد بوجـود إله واحد، ويؤمنون بالبعث والحساب والثواب.

٢ - وصفـوا بأنهم (التائبون)، وهذا يعكس دعوتهـم إلى التوبة من الشرك وسوء الأخلاق والرجوع إلى القيم الدينية القويمة السابقة.

٣ - يعارضـون وأد البنـات العـادة التـي كانـت تمارس عند بعض القبائل العربيـة قبل الإسلام. كما يعارضون القتـل وشرب الخمر ولعب الميسر والاستقسام بالأزلام وعدم أكل الميتة والمتردية والنطيحة.

٤ - اعتقادهم بالقضاء والقدر من الله الواحد سبحانه.

٥ - اعتقادهـم بالروح عنـد الإنسان، وأن سموه الروحـي هو مقصد الدين والحكمة.

٦ - يمارسون عادة الختان، ويحجون إلى مكة.

وبسبب هذه المعتقدات المختلفة التي حكيت عن الحنيفية ذهب كثير من الباحثين مذاهب شتى في إرجاعهم إلى إحدى الديانات السابقة، فكونهم موحدين للرب أرجعه البعض إلى تأثرهم باليهودية والنصرانية. ولاعتقادهم بالعالم الروحاني، قيل: إنهم متأثرون بديانة الصابئة المندائيين. والبعض غلّب أن يكونوا قد تأثروا بالديانة الإبراهيمية القديمة التي تتبع عادة الختان وحج البيت العتيق الذي بناه إبراهيم الخليل عليه السلام. والقرآن الكريم وصف إبراهيم بأنه كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين. وقد وصف الإخباريون العرب بعض من كان على دين إبراهيم بصفات، منها: عادة الختان، حلق العانة، المضمضة والاستنشاق، وقص الشارب، وفرق شعر الرأس، والسواك للأسنان، والاستنجاء من النجاسة، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط.

أهم من ذكر من الحنفاء

أمية بن أبي الصلت: من قبيلة ثقيف، مات في السنة الثامنة أو التاسعة من الهجرة. وهو شاعر، وعن طريق شعره عرف الأخباريون عقيدته في التوحيد، فقد قال:

يا رب لا تجعلني كافرًا أبدًا	واجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا
الحمد لله ممسانا ومصبحنا	بالخير صبحنا ربي ومسانا

وذكر عنه أنه كان مطلعًا على ما في الكتب الأولى، والتمس غير دين الأوثان وطمع بالنبوة، ولكنه لم يؤمن برسالة محمد ﷺ، وقيل: إنه مات كافرًا بالإسلام.

ورقة بن نوفل

هـو ابن عمة خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وكان مطلعًا على دين النصرانيـة، وبشر بديـن التوحيد. وعند نزول الوحـي لأول مرة على النبي محمـد ﷺ وأصابـه ما أصابه مـن الرعب، ذهبـت به خديجـة إلى ورقة، فوصـف له ما جـاءه، فأخبره بأن ذلـك هو الناموس الذي نـزل على موسى وعيسـى عليهما السلام مـن قبل، وأخبره بأن قومـه سينكرون ما جاء بـه وسيعادونه، ولكونـه شيخًا كبيرًا عند البعثة تمنى أن يمتد عمره لأجل نصرة الرسول ﷺ، ولكنه توفي قبل الهجرة. ومن شعره المروي في التوحيد قوله:

لا تـعـبـدن إلـهًـا غـيـر خـالـقـكـم

فـإن دعـوكـم فـقـولـوا بـيـنـنـا حَـدَدُ

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادله

رب الـبـريـة فـرد واحـدٌ صـمـدُ

لا شـيء ممـا تـرى إلا بـشـاشـتـه

يـبـقـى الإلـه ويـفـنـى المـالُ والـولـدُ

زيد بن عمرو بن نفيل

قيـل: إنه كان متحنثا في غار حراء، هاربًا مـن شباب مكة الذين آذوه بسبب دعوته في الكعبة لترك الأصنام. وقيل: إنه خرج من مكة يطلب الدين الصحيـح دين إبراهيـم ، ، فبلغ الموصـل والجزيرة في العـراق، ولعله قابل القسـس من نصارى العـرب، فرجع إلى مكة ومات فيهـا قبل البعثة بخمس

سنين. ومن آرائه التي نقلها الإخباريون تحريمه الميتة والدم وما ذبح على النصب. وكان يدعي أنه الوحيد على دين إبراهيم، وينقل عنه قوله:

أربًا واحدًا أم ألف رب

أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعًا

كذلك يفعل الجلد الصبور

عثمان بن الحويرث

قيل: إنه أنكر على أهل مكة عبادتهم للأصنام، وكان يسعى أن يسوِّدوه عليهم فأبوا ذلك وتركهم غاضباً إلى بلاد الروم، وهناك اعتنق المسيحية طلبا أن يسوِّده الإمبراطور على مكة، لكن الغساسنة في الشام لم يقتنعوا به، واستسلموا لرأي أهل مكة فيه طمعًا بصلاتهم التجارية ألا تنقطع. قيل: إنه مات مسمومًا بالشام على يد عمرو بن جفنة الغساني.

عبيد الله بن جحش

قيل: إنه كان على الحنيفية، فأسلم وهاجر إلى الحبشة مع زوجته حبيبة بنت أبي سفيان. وقيل: إنه تنصر بالحبشة وتوفي فيها، ولم يرجع إلى مكة.

قس بن ساعدة الأيادي

هو من قبيلة أياد، وقيل: إنه أول من تعبد من العرب، وكان يؤمن بالبعث. وتروى عنه القاعدة القانونية (البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر).

وقيل: إنه عمل أسقفاً نصرانيًا في كنيسة نجران. وقيل: إنه كان من الحائرين في دينهم، واعتنق الركوسية من النصرانية، وقيل: بل أخذ عن الصابئة، وينقل عنه الإخباريون حكماً وأمثالاً وخطبًا قالها في سوق عكاظ منها: (اسمعوا وعوا، وإذا دعيتم فانتفعوا. إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت... ليل داج، وسماء ذات أبراج....). وقد مات قس قبل البعثة[1].



(١) د. عبد الفتاح علي شحاته: تاريخ الأمة العربية. جـ٣ ص١٠٠ - ١٠٦. القاهرة ١٩٦٢م.

الفصل الثاني

يهود يثرب وشمال الجزيرة العربية

إن الدراسات التاريخية لها أهمية كبيرة في دراسة عقائد الفرق وتطورها؛ ولهذا فمن المهم بمكان لأجل معرفة حقيقة تطور الفكر الشيعي الرجوع إلى الجذور الأولى لتاريخ المكان والزمان والرجال، الذين أنشؤوا تلك الأفكار والتعاليم، بما يتفق مع حاجتهم وظروفهم.

إن أسفار العهد القديم (التوراة) جمعت أول الأمر في بابل في العراق في أثناء ما يسمى السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد. وذلك بعد أن قام نبوخذ نصر ملك بابل بحرب اليهود وسبيهم وتهديم القدس وهيكلهم، فساح اليهود بعد ذلك في بابل والعراق، واشتغلوا في البداية عبيدًا تحت أسيادهم، ثم لأسباب سياسية ضد الدولة الرومانية قام الفرس حكام العراق بعد ذلك بإعطاء اليهود الحرية وإقامة أماكن العبادة، واشتهرت مدن فارسية قديمة بتكوين جالية يهودية لها، أحبارها وممثلوها في البلاط الفارسي، واستخدم الفرس اليهود ضد الرومان عيونًا لهم، خاصة في مناطق النفوذ الشمالية[1].

ولهذا، فقد اختلطت التعاليم الفارسية القديمة (المجوسية) (الزرادشتية والمزدكية) بالتعاليم اليهودية، التي جلبها اليهود من الشمال إلى بلاد العراق وفارس. فلما كتب أحبار اليهود العهد القديم اختلطت

---

(١) إيران في العصر الساساني: المصدر السابق.

التعاليم الفارسية القديمة بالتعاليم الموسوية، ولم تكن كتابة العهد القديم في وقت واحد، وإنما كتب على أقسام في أحقاب مختلفة، استكملت في القرن الثالث قبل الميلاد. ومن هنا فهم المؤرخون أن ما ورد فيها تعاليم محرفة، وفيها زيادات ونقصان عما كان في الأصل؛ ذلك أن بين كتابتها وعصر موسى عليه السلام سبعة قرون، وبينها وبين عهد إبراهيم عليه السلام ألف وثلاث مئة عام تقريبًا.

إن دراسة الأفكار والتعاليم الفارسية القديمة، (وهي أقدم مما عند اليهود) ومقارنتها بالتعاليم اليهودية الواردة في العهد القديم وأقوال أحبار اليهود في بابل الواردة في التلمود (التلمود البابلي)، تظهر بوضوح استعارة أحبار اليهود كثيرًا من الأفكار الفارسية، وإدخالها في تعاليمهم، والادعاء أنها من تعاليم موسى أو الأنبياء بعده عليهم السلام.

وأكثر كتبة العهد القديم من النبوءات والآمال التي تمنيهم العودة إلى القدس وإقامة هيكل سليمان مرة أخرى وإقامة دولتهم.

كما أدخل كتبة العهد القديم تعاليم وأفكارًا كانت منتشرة في بيئتهم في العراق، أي من تعاليم السومرية والآشورية والآكدية، إضافة إلى ما كان في الأصل يروى لهم عن موسى عليه السلام وخروجه من مصر، وبعض تعاليم ذات الأصول الفرعونية، التي انتقلت مع من خرج مع موسى عليه السلام إلى سيناء، ثم إلى فلسطين، وعلى الرغم من دعوة موسى عليه السلام وإبراهيم قبله أممهما إلى توحيد الله وتنزيهه عن الصفات البشرية، إلا أن اعتياد هذه الشعوب على العبادة الوثنية وعبادة الأشخاص والملوك والأنبياء تركت أثرًا واضحًا في كتابة العهد القديم.

تسمي التوراة نبي الله إبراهيم بالعبراني الذي ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد منادياً بديانة التوحيد، وترك عبادة الأصنام وعبادة القمر السائدة في بلاد الرافدين، ومع إنكار قومه له سار مع من آمن معه، متجهاً نحو بلاد (الشام) طلباً للخصب والأمان. ومكث وقومه الآراميون غرباء بين الكنعانيين (في الخليل) ثم هاجروا إلى مصر؛ طلباً لعيش أفضل وهرباً من مخالفيهم الكنعانيين، ولكنه أيضاً لم يستمر بمصر، حيث أخرجه ملكها فعاد وقومه إلى (الشام)، وولد لإبراهيم من زوجته سارة إسحاق. ومن زوجته وأمته هاجر إسماعيل، حيث أودعها مكة حاملاً بابنها في أثناء مروره من الشام إلى مصر. وقد توفي إبراهيم في الخليل، وولد لابنه إسحاق يعقوب.

لقبت التوراة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بإسرائيل (عبدالله المنتصر)، وذلك كما تدعي التوراة أنه صارع الله ليلة، وانتهت بانتصار يعقوب، فحصل على هذا اللقب[1].

ويذكر العهد القديم قصة يوسف بن يعقوب، وكيف حكم بنو إسرائيل مصر، ثم أخرجهم المصريون (الفراعنة) بعد (أربع مئة سنة تقريباً). فجمعوا ذهب مصر، وخرجوا به خفية بقيادة موسى عليه السلام فعبر بهم البحر إلى سيناء وفيها تاه بنو إسرائيل، وبعد وفاة موسى عليه السلام، تفرق الإسرائيليون إلى أسباط، ودخلوا في حروب؛ لاغتصاب أرض كنعان (أرض فلسطين)، وظهرت تسمية اليهود في هذه المدة في حكم نبي الله سليمان عليه السلام ثاني ملوك اليهود ٩٦٠- ٩٢٥ قبل الميلاد، حيث بنى الهيكل للعبادة،إلى أن جاء الكلداني نبوخذ نصر من العراق، ودخل أورشليم، وسبى اليهود، وجاء

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢: ٢٥ - ٢٩. (تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً).

بهم إلى بابل عاصمته في العراق، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد. وقد قام الآشوريون العراقيون قبل ذلك أيضًا بدخول مملكة يهودا (إسرائيل) شمالي فلسطين، ودمروا عاصمتها السامرة، وسبوا سكانها، وجاؤوا بهم إلى بلاد آشور في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

ومن هنا نفهم كيف أن الإسرائيليين واليهود فيما بعد تعرضوا إلى مختلف الهجرات والحروب، وجروا على أنفسهم المتاعب والآلام والضياع، وفي هذه الظروف كتب أحبارهم العهد القديم، الذي رشحت منه شخصيتهم وعقائدهم الأصلية والمقتبسة من الأمم، التي حلوا بها أو جاوروها، وادعوا أنها تعاليم من الله، جاء بها موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام منها براء. ولكي يستطيعوا العيش مع مختلف الشعوب فإنهم اضطروا إلى العمل السري وإخفاء ما يبطنون وإظهار النفاق والملق؛ للحصول على مبتغاهم[1].

*****

(١) ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، ص١٣٨. صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ص٥ - ١٠٠، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

يهود يثرب

تظهر آثار الآشوريين ٩٠٠ قبل الميلاد وجود العرب ومشاركتهم في بعض حروب المنطقة، وكان يطلق عليهم البدو، ومن أوائل الإشارات للعرب في العهد القديم الإشارة إلى نبي الله أيوب عليه السلام، وهو عربي، وارتباط هجوم أهل سبأ على الملك أيوب عليه السلام (ربما قرب نجد)[(١)]، وتذكر التوراة أن من بين من قدم الذهب لنبي الله سليمان عليه السلام ملوكًا من العرب[(٢)]. وقد أشار القرآن الكريم إلى بلقيس ملكة سبأ ومجيئها لسليمان عليه السلام.

إن الصلات التجارية تشير إلى انتقال التجار العرب من ممالكهم الصغيرة إلى الأمم الأخرى، ومنهم اليهود في فلسطين، وترد بلدان مثل بصرى وغزة وتيما.. بوصفها منطلقات للتجار العرب، وتجارتهم مع الشمال (الشام) والجنوب (اليمن). وتذكر التوراة العرب بين أقوام كانوا قد هاجموا القدس، ونهبوا ممتلكاتها، وسبوا نساءها[(٣)].

ويشير سفر نحيميا إلى امتناع العرب من (جشم) عن المشاركة في بناء سور أورشليم[(٤)].

وتبدو مملكة الأنباط شمال الجزيرة العربية (البتراء) قد هددت مملكة يهودا (١٦٠ قبل الميلاد) في مناسبات عدة. وكذلك فعل العرب

---

(١) سفر أيوب وجواد علي، العرب قبل الإسلام، ج١، ص ٦٣١.

(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح، ١٠ : ١٦.

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، ٢١ : ١٧.

(٤) نحيميا، الإصحاح: ٦ : ١٠ وما بعدها.

العمونيون (عمان- الأردن). وذكر من ملوك الأنباط الملك (الحارث). وهناك أثر ديني من الأنباط العرب على الديانة اليهودية. فآلهة الأنباط كانت (ذو الشرى)، (واللات)- الآلهة الأولى، إشارة إلى جبال الشراة، المسماة بهذا الاسم إلى اليوم، وأسمتها التوراة (جبل سعير)، حيث أشرق منها الإله يهوه حسب نص التوراة، وهو معبود اليهود. ومما نقل عن تبادل المصالح والتجارة بين العرب واليهود، ما حصل في تدمر في المملكة العربية في الشمال، حيث كان يقطنها كثير من اليهود الذين توافرت لهم الحرية الدينية في عهد الملكة العربية الزباء، التي يذكر أنها كانت متحالفة مع الرومان، ما أوغر صدور اليهود القاطنين في العراق، لتحالفهم مع الفرس ضد الرومان. وحتى هذه المدة لم يكن لليهود وجود في جزيرة العرب إنما كانوا حولها في العراق والشام خاصة، ولكن بعد القرن الخامس قبل الميلاد وبعد السبي البابلي المشار إليه بدأ اليهود دخول الجزيرة العربية والاستيطان في الحجاز شمالاً وفي اليمن جنوبيًا، وفي هذه الحقبة انتشرت التعاليم والديانة اليهودية، وأصبحت معروفة للعرب خاصة في حواضرهم إلى أن جاء الإسلام واستكمل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إخراج اليهود من جزيرة العرب، فانزاحوا إلى بلاد العراق واليمن والشام ومصر، حيث فضل بعضهم الرجوع إلى مواطنهم الأصلية، وسنقوم بتفصيل كل ذلك في موضعه.

إن في التاريخ أدلة كثيرة على اتصال العرب بالعبرانيين واليهود عمومًا، منها الصلات الشمالية (الشام)، فقد ذكر أن نبيت الأوس وهم عرب يتألفون من (ظفر) ومن عبد الأشهل ومن حارثة وقعت بينهم الحرب، فانضمت حارثة إلى الخزرج وتحالفت معها... وأما ظفر وبنو عبد الأشهل فقد اضطروا إلى ترك ديارهم (جنوب شرق فلسطين) والذهاب إلى مكة

والتحالف مع آخرين؛ لمساعدتهم ضد الخزرج، وقد كانوا يسكنون الحرار الشرقية، ثم أفل نجمهم، وقد كانوا على اتصال باليهود، وتحالفوا فيما بعد مع يهود خيبر، إحياء للصلات الشمالية القديمة.

وقد وردت إشارات في التوراة والتلمود إلى العرب تدل على البغضاء، سببها ما كان الأعراب يفعلونه في الإغارة على الحواضر التي كان يسكنها اليهود[1].

ذكر ابن أبي الحديد أنه كان في العرب من كان يميل إلى اليهودية كالتتابعة وملوك اليمن، ومنهم نصارى كبني تغلب والعباديين رهط عدي ابن زيد والنصارى نجران[2]. وفي كتاب المغازي للواقدي ذكر أن عبدًا من اليهود بمكة اسمه عبدالدار بن جبر دخل في ذمة الرسول ﷺ بعد أن سمع منه سورة يوسف، وقد أهانه مشركو مكة على ذلك، ولكن الرسول ﷺ أكرمه حين الفتح، وزوجه من بنات مكة. كما تشير بعض الأحداث إلى اتجار اليهود مع أهل مكة ومرورهم بها أو بالعكس ذهاب المكيين إلى اليهود في خيبر؛ لشراء الذهب خاصة.

وتشير الروايات إلى أن جالية يهودية قدمت من بابل ومن الشام، واستوطنت يثرب وما حولها واشتغلت بالزراعة والصناعة (الذهب)، خاصة وأن العرب يعزفون عن هذه الحرف. ثم امتد سكنى اليهود في وادي القرى والطائف ومقنا وجربا، إضافة إلى فدك وخيبر ويثرب نفسها. ومن أشهر البطون اليهودية التي سكنت هنا بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع.

---

(١) جواد علي: العرب قبل الإسلام، جـ١، ص ١٧٤ – ٢٨٩.

(٢) ابن أبي الحديد: نهج البلاغة، ج١، ص١٢٠.

وقد كتب الرسول ﷺ إلى جماعات من اليهود يدعوهم إلى الإسلام، منهم بنو جنبة وبنو عاديا وبنو عريض[1]. وقيل: إن بعض القبائل العربية أو جزءًا منها قد تهودت قديمًا، وحافظت على سماتها العربية. فبنو جشنة بن عكرمة وهم من قبيلة بلى قتلوا نفرًا من بني ربعة، فهربوا إلى حصن يهودي بتيماء، فأبى اليهود حمايتهم إلا أن يدخلوا في دينهم [2] فدخلوا.

إن الاتصالات التجارية بين العرب واليهود القاطنين بقربهم لا تحتاج إثباتًا لكثرتها، فقد ذكر أن بني كلب الذين حملوا سلمان الفارسي باعوه إلى يهودي في وادي القرى، وهذا اليهودي باعه إلى ابن عم له من بني قريظة. وقد ذكر الإخباريون قبيلة عربية يهودية اسمها بنو زقورا. ويذكر بعض المؤرخين أن عربًا قد تهودوا (قبل الإسلام) منهم بعض ملوك (حدياب) ويقال: إن اليهود في هذه المناطق كانوا يودون دخول العرب إلى اليهودية على مقولة: إنهم أبناء أب واحد (إبراهيم)[3]. أما المصادر التلمودية اليهودية فتذكر تهود بعض العرب من قبائل شتى ومناسبات مختلفة، إضافة إلى روايات الإخباريين، الذين ذكروا تهود حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة.

تظهر الوقائع التاريخية القديمة سوء العلاقة بين الدولة الرومانية التي حكمت الشام وفلسطين واليهود القاطنين، وكانت آخر حركة لليهود ضربها الرومان سنة ٧٠ م، حيث حرموا من دخول القدس، فتشتتوا في البلاد، وجاء بعضهم إلى يثرب على رأي بعض المؤرخين وخيبر وتيماء،

---

(١) ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص٢٧٩.

(٢) جواد علي: العرب قبل الإسلام جـ٦، ص٥٢٥.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام جـ٦، ص٥١٤.

واشتغلـوا بالزراعـة وبعض الصناعات والذهـب. وكان يهود يثرب في ثلاث مجموعـات أو قبائـل: بنـو النضير وبنو قينقـاع وبنو قريظـة. ويذكر المؤرخ اليعقوبـي: إن قوماً من العرب دخلوا في دين اليهـود، وفارقوا دين الأصنام وإن قومًـا من الأوس والخـزرج قد تهودوا؛ لمجاورتهـم اليهود في خيبر. كما ذكر أن قومًا من غسان وخذام قد تهودوا أيضًا[1].

ودخل اليهود في البيئـة العربية، فلبسوا اللباس العربي، وتزوج العرب منهـم كما أنهم تزوجوا من العرب أيضًا، ولهذا السبب فقد انتشرت تعاليم التوراة اليهودية بين أولئك العرب، فكانوا على معرفة بها[2].

وغسـان وقبائـل جنوبية من اليمن، كمـا ذكـروا أن العربي (جبل بن جـوال بن صفوان) من ثعلبة بن سعد بن ذبيان كان يهوديًا فأسلم وعاش في بنـي قريظة. وهذا كله في قبائل شمالية (الحجاز وشماله). أما في الجنوب فيبدو الأمر أكثر وضوحًا وإن كان زمن دخول اليهودية إلى اليمن غير واضح. فيذكر ابن هشام أن ملك اليمن تبع أسعد أبا كرب ملك حمير اصطحب معه راجعًا يهودًا من يثرب.

وتشـير روايـة إلى أن ملك حمـير تبان أسعـد أباكـرب أول من اتخذ اليهوديـة دينًـا. ويذكـر ابن الكلبـي أن همـدان تركت عبـادة صنمها يعوق وتهـودت، كما فعلت حمير بصنمهم نسرا كذلك، وقد أيدت حفريات حديثة هـذه المعلومات مشعرة أن اليهودية في اليمن انتشرت بشكل أقوى مما هو في الشمـال، حيث اعتنق الملوك هـذه الديانة، والناس على دين ملوكهم[3]. كما

(١) اليعقوبي: تاريخ، جـ١، ص٢٥٧.

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٦، ص٢٤.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام جـ٦، ص٥٤٦.

تشير المصادر اليهودية من خارج اليمن (العراق والشام) إلى زيارة بعض أحبار يهود اليمن إليهم وبالعكس. ويذكر بعض الدارسين أن تهود بعض ملوك اليمن كان سببه سياسيًا، وذلك لدفع النفوذ الروماني النصراني عنهم، وهي السياسة المؤيدة من الفرس الذين كان لهم نفوذ في اليمن سابقًا على رغبة الرومان هذه. وعلى أي حال لم تكن اليهودية هي الديانة السائدة في اليمن، إنما كان بجانبها الديانة الوثنية أيضًا، إضافة إلى انتشار النصرانية فيما بعد عند البعض، كما أن الوثنية هي السائدة في بلاد العرب قبل الإسلام وإلى جانبها كثير ممن تهودوا أو تنصروا.

وقد حدث صراع في اليمن بين اليهودية والنصرانية، فحينما اعتنق الملك الحميري النصرانية (٣٥٤م) بدأت هذه الديانة تتسع جنوب الجزيرة العربية خاصة في نجران وقطر وحضر موت وظفار على حساب الوثنية واليهودية معًا. ولكن فيما بعد هال الوضع الملك الحميري ذا نواس وهو على اليهودية، فسار بجيشه إلى نجران وعمل فيها مذبحة كبيرة لكل من تنصر ونصب أخدودًا أحرق فيه خصومه الجدد، وقد أشار القرآن الكريم إلى أصحاب الأخدود كما هو معروف. وقد انتقم النصارى على يد الأحباش (أبرهة) من الحميريين، وأسقطوا مملكتهم، كما حاولوا إخضاع العرب الوثنيين في حملتهم على مكة (حادثة الفيل). ولكن فيما بعد تمكن اليمنيون بقيادة سيف بن ذي يزن وبمساعدة من الدولة الفارسية من طرد النفوذ النصراني وجيشه من اليمن، فكانت اليمن تحت النفوذ الفارسي حتى حررها الإسلام.

ولما غلبت الأوس والخزرج على يثرب دخلوا في حروب مع اليهود، ومنها (يوم بعاث)، (يوم سُمير)، وكله لأسباب اقتصادية، لم يجد اليهود بعدها

إلا مهادنــة الأوســ والخزرج ومحاولــة استعمال الخديعة والحيلــة؛ ليأمنوا غوائلهم، خاصة أن اليهود كانوا عوامل الإنتاج الزراعي والحربي (السلاح) في المنطقــة، والعرب في حاجة إليهم وإلى الاقتراضــ منهم بالنسيئة. فكان يهــود يثرب ومــا حولها لا يختلفــون عن عــادات العرب عامة، حيــث تأثروا بالعــرب لغة وتعامــلاً عدا الاختلاف الدينــي. وذكر لليهــود شعراء كثيرون منهــم السموءل بن عاديــا صاحب حصن (الأبلق) بتيمــاء، وهو جد صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية لأمها، التي تزوجها الرسول ﷺ.

ويتفق العرب واليهود على عادة الختان التي يقال: إن اليهود اكتسبوها من مصر قبل الخروج، فأضفوا عليها مسحة دينية.

اليهود ورسالة الإسلام:

ولمــا صدع رسول الله ﷺ برسالته أنكرتها قريش، فأرسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يسألون اليهود بيثرب عن محمد ﷺ ودعوته، وبــدل أن يؤيــد اليهود دعــوة التوحيد المطابقة لمــا عندهم ناصــروا الوثنية وقريشًــا؛ حفاظًا علــى مصالحهم، في حين مال الأوس والخــزرج إلى دعوة الرسول ﷺ، حيث كانــت (بيعة العقبة) مع رهط من الخزرج (١٢ رجلًا)، فقد كانوا للإسلام وتعاليمه أقرب من وثنية قريش؛ وذلك لمعرفتهم. وتبعت هــذه بالبيعة الثانية مــن ٧٣ رجلاً وثلاث نساء من الخزرج أيضًا على ما هو مبســوط في السيرة النبوية، يضاف إلى ذلــك أن الأوس والخزرج من قبائل الأزد، التــي خرجت من اليمــن على رأي بعض المؤرخين، حيــث كانوا أقرب لعقيدة التوحيد مما كانوا على علم به من يهود اليمن منذ القديم.

تأثير الأفكار اليهودية على مجتمع الأوس والخزرج

إن أهم جذور قديمة كانت مؤثرة في العقل الباطن لمجتمع الأوس والخزرج هي الأفكار اليهودية، التي حملوها معهم من اليمن عند استقرارهم في يثرب ونزولهم على يهود يثرب، الذين فيما يبدو لم يعارضوهم، ويهود يثرب من أصول عربية يمنية، وقسم آخر من أصول فلسطينية جاؤوا بعد السبي البابلي للقدس.

وكان من أثر جوار الأوس والخزرج لليهود أن تعاقدوا معهم، وتحالفوا مدة طويلة إلى أن شعر اليهود بخطورة هذا الجوار عليهم، فتمرد اليهود على هذا الحلف؛ أملًا في الخلاص منه، وكان الكاهنان بنو قريظة وبنو النضير، شوكة اليهود في يثرب. وبعد أن ساد مالك بن العجلان بالأوس والخزرج طلب المدد من الغساسنة في الشام، حيث قام جيشهم بضرب يهود وتأديبهم على نقضهم العهد، وعندها علا شأن الأوس والخزرج، وطلب اليهود التحالف معهم، بعضهم تحالف مع الأوس والآخرون مع الخزرج عدا بني قريظة وبني النضير ظنًا منهم أن حصونهم مانعة لهم.

ولكن برغم كل ذلك فهذا الجوار الطويل بين الفريقين أنتج علاقات فكرية واقتصادية، بل حتى بالنسب.

يدل على ذلك الأحداث والنتائج الآتية:

١- بعض من بني قيلة (الأنصار) كانوا قد تهودوا نتيجة أن المرأة من بني قيلة كانت إذا لم يأتها ولد أو لم يعش لها الولد تنذر إن ولدت أن تهوده؛ كي يعيش لها؛ ظنًا أنهم أهل كتاب يتسبب دينهم في حياة الولد بخلاف أهل الأوثان. وقد نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فلما أجليت بنو النضير، وكان فيهم بعض أبناء الأنصار قال بعضهم: لا ندع أبناءنا[1]، والمشكلة أن هؤلاء الأبناء قد تشربت فيهم العقيدة اليهودية، فحاول أهلهم إجبارهم على الدخول في الإسلام، فأبى أكثرهم، فنزلت الآية الكريمة في حقهم، كما يقول بعض المفسرين: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[2] (البقرة: ٢٥٦)، كما تشير المصادر إلى أن الأنصار كانوا يستضيفون أولادهم كاليهود، فنشأ كثير منهم بين اليهود، وتهودوا نتيجة ذلك إلى أن حدثت تلك المفارقة التاريخية بين الفريقين، وانحاز أبناء أنصار اليهود إلى أهليهم، وسمح المسلمون لهم في البقاء حينها على يهوديتهم، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأبناء لم يكونوا قلة، بل كانوا كثرة مؤثرة فيما بعد، في المجتمع الإسلامي وتطور الأحداث في القرن الأول خاصة.

وتشير صحيفة العهد الذي جرى بين المسلمين ويهود المدينة إلى تقسيم اليهود حسب موالاتهم لفروع الأوس والخزرج: يهود بني عوف، يهود بني ساعدة، يهود بني الأوس، وهذا يدل على شدة تلاصق اليهود بهذه الفروع من الأنصار.

كان بنو قينقاع من يهود يثرب حلفاء للخزرج خاصة، حلفاء لعبادة ابن الصامت، وعبدالله بن أبي بن سلول، أما بنو النضير وبنو قريظة فقد كانوا حلفاء للأوس، وقد سأل عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ أن يستظهر بخمس مئة من اليهود حلفاءه على العدو، فأبى رسول الله ﷺ ونزلت الآية: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ (آل عمران: ٢٨)[3].

(١) السيوطي: أسباب النزول، ص٣٤.

(٢) الواحدي: أسباب النزول ص٥٢. القاهرة ١٩٦٨م.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة، جـ٢، ص٢٥٩.

أما عبادة بن الصامت فقد نبذ حلفه مع يهود، حينما اعتدوا على امرأة من الأنصار، وأما عبدالله بن أبي بن سلول فقد احتج على رسول الله ﷺ قائلًا للرسول ﷺ: (فو الله لا أرسلك حتى تحسن في موالي وعترتي، وأنا امرؤ أخشى الدوائر)، ولهذا كان رأس المنافقين في المدينة.

أما بنو النظير فقد تآمروا على رسول الله ﷺ وهو جالس تحت جدار لهم، فانتدبوا عمرو بن جحاش بن كعب؛ ليلقي عليه حجرًا، ولكن الله سلمه، فنبذ عهدهم (حلفاء الخزرج). وأجبروا على الرحيل من يثرب، برغم معارضة عبدالله بن أبي بن سلول ووديعة بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس[1].

أما بنو قريظة من اليهود فقد تحالفوا مع مشركي قريش، وأغروهم بقتال المسلمين، فجاءت الجموع في غزوة الخندق لحصار المدينة، وكان الأمر شديدًا على المسلمين، يصفه القرآن الكريم: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ (الأحزاب: ١٠)، وكان هذا الأمر من سعي حيي بن أخطب وكعب بن أسد القرظي، وتجمعت الأحزاب من قبائل مجاورة، ولكن المسلمين بادروا بحفر الخندق بمشورة من الصحابي سلمان الفارسي، ثم جاءت ريح صر شتت الأحزاب، وخذلهم أقرب الناس إليهم، فارتحلوا عن المدينة، وتركوا بني قريظة يواجهون مصير فعلتهم ونقضهم العهد[2]. فعمد المسلمون إلى حصارهم، وأرسل الرسول ﷺ إليهم أبا لبابة، حيث تقول المصادر: إن (ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة)، ولعل هذا الأنصاري كان يسترضع اليهود أولاده كما قدمنا، فدفعته أواصر المال والعيال إلى إخبارهم بأن الرسول ﷺ

---

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٣، ص١١٨.

(٢) البخاري. صحيح. باب غزوة الخندق.

سيغزوهم، وقد ندم على إفشاء سر رسول الله ﷺ، حيث ذكرت المصادر أنه قال: (فو الله ما زالت قدماي من مكانهما، حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه)[1].

لقد كان الأوس حلفاء لبني قريظة .. واستعمل الرسول ﷺ عليهم عبد الله بن سلام (من اليهود الذين دخلوا الإسلام) فتواثب الأنصار، وقالوا: يا رسول الله، حلفاؤنا وموالينا. يطلبون الشفاعة لهم، كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي في تشفعه لبني قينقاع. ولكن سعد بن معاذ اقترح قتل رجالهم وسبي نسائهم؛ ومصادرة أموالهم؛ جزاء تآمرهم مع المشركين والأحزاب[2]. وهو ما استقر فعله.

ويبدو مما سلف أن تأثر مجتمع الأنصار باليهود كان بالغًا، ليس فقط إرضاع اليهود لأولادهم كما سلف، بل تأثرهم بعادات اليهود في طريقة مجامعة النساء وطريقة الهيئة والملبس إلى درجة دفعت الرسول ﷺ أن ينهى في مواضع عدة عن التشبه باليهود، وطالب ﷺ بمخالفتهم، حتى في حف الشوارب، وإعفاء اللحى، ويبدو من شدة اختلاط الأنصار، وتأثرهم باليهود، فقد شاع فيما يبدو أن يعير المهاجر ويدعو الأنصاري أيضًا بالقول: يا يهودي. فمن حديث مرسل عن داود بن الحصين عن أبي سفيان: من قال لرجل من الأنصار: يا يهودي، فاضربوه عشرين. وقد أمر الرسول ﷺ بالتعجيل بصلاة المغرب قبل اشتباك النجوم؛ كي لا يحاكي فعل اليهود في وقت

---

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٣، ص١٦٠. تذكر الروايات أن أبا نائلة بن ملكان بن سلامة بن وقش كان أخًا لكعب بن الأشرف من الرضاعة. انظر ذلك عند ابن عبد البر في قصة مقتل كعب ابن الأشرف.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٧٤٠.

صلاتهم، كما وردت الأخبار أن الأنصار من الأوس والخزرج كانوا يجالسون اليهود، ويتحدثون معهم عن مسائل من العقيدة كالقضاء والقدر(١).

وهناك الكثير من العرب أمهاتهم يهوديات، فهم عند اليهود يهود أصلاً، فالقاعدة أن اليهودي هو من خرج من رحم يهودية مهما كان أصل والده، فهذا كعب بن الأشرف اليهودي تشير المصادر إلى أنه عربي الأصل من نبهان من طيئ(٢).

إن هذا الموضوع مهم جدًّا يحتاج من الباحثين إلى مزيد من البحث والتتبع؛ لخطورة نتائج تلك الصلات والوشائج بين بني قيلة ويهود مع الحذر بعدم نسيان فضل الأنصار على نصرة المسلمين والمهاجرين إليهم، فلا يؤخذ المجموع بذنب الأفراد الخارجين عنهم.

لقد كان لليهود في يثرب (مدراس) يدرسون فيه العلوم الدينية، وكانوا يناقشون الرسول ﷺ وأصحابه بمقولاتهم التي كانوا يتداولونها، والتي ذكر القرآن الكريم طرفًا منها، وقد وصف القرآن منهم علماء: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ١٩٧)، أما أسماء أولئك العلماء من اليهود فتذكر لنا الروايات جملة منهم: عمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف، وفنحاص، والربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، وسلام بن ربيع، وحيي بن أخطب، وأخواه ياسر وجدي، والزبير بن بطا، وشاس بن قيس، ووهب بن يهودا، ومالك بن الصيف، ورافع بن حريملة، ورافع بن حارثة، وأرز بن أبي أرز، ولبيد بن أعصم، وكنانة ابن صوريا، والحجاج بن عمرو، وكردم بن قيس، ومحمود بن سيحان، وغيرهم

(١) موسوعة السنة (مجمع البحوث بمصر)، جـ٤، ص١٨٥١، جـ١ ص٢٤٥، جـ٢، ص٣١٢.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٤٦٢.

كثير من اليهود العرب من قبائل عربية شتى، أرجو أن يسلط الضوء والبحث على أثرهم على المسلمين بتتبع مقالاتهم، فقد كانوا هؤلاء يجادلون الرسول ﷺ وأصحابه، ويدافعون عن عقيدة اليهود[1]. وبلغ من أثرهم على المسلمين أن امرأة يهودية ذكرت الأخبار أنها كانت ترقي عائشة رضي الله عنها بالتوراة والإنجيل وبعلم من والدها أبي بكر رضي الله عنه[2]. وينقل لنا خبر آخر أن أبا بكر رضي الله عنه كان يدخل إلى مدراس اليهود، ويسمع منهم بعض علومهم، وقد تجادل أبو بكر مع راهب منهم اسمه فنحاص أدى الجدال إلى خصام رفع للرسول ﷺ من قبل شكوى فنحاص، فأنزل الله تأييدًا لرأي أبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(آل عمران: ١٨١)[3].

والخليفة عمر رضي الله عنه عمد إلى نسخ بعض الكتب من اليهود في رقعة، فلما رآها الرسول ﷺ غضب، ونبه على ترك ما عند أهل الكتاب والاكتفاء بما في القرآن الكريم. وعن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك، قالوا: كنا في مجلس يهود، ونحن نتذاكر القدر، فخرج إلينا رسول الله ﷺ مغضبًا، وانتهر وقطب، ثم قال: (اتقوا الله يا أمة محمد..........)[4].

إن حديث الإفك المشهور على السيدة عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها تولى اليهود والمنافقون نشره، وكان على رأسهم عبدالله بن أبي ابن سلول إلى درجة أن النبي ﷺ قال في خطبته: (.... من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي)[5].

---

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٢، (عداوة اليهود).

(٢) صحيح البخاري: شرح عمدة القارئ، جـ٢، ص٢٦٢.

(٣) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص١٧٧.

(٤) السيوطي: الجامع الكبير، جـ٤، ص٢٩٦٨.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، حديث الإفك، ابن هشام: السيرة جـ٤، ص١١.

٤- الخلافات القبلية وجذورها

عملت الخلافات القبلية في التاريخ العربي والإسلامي دورًا كبيرًا في تشتيت الأمة وانقسامها وضعفها في جمع الأدوار التاريخية التي مررنا بها، ولا تزال هذه الجذور مؤثرة إلى يومنا هذا، ومن المفيد للباحث تتبع الجذور الأولى التي انبعث منها الخلاف والشقاق ومعرفة أسبابه. إن ظاهرة اختلاف الشعوب والأجناس ظاهرة طبيعية لا مفر منها، وقد وجه القرآن الكريم أن يكون هذا الاختلاف مثمرًا للتعاون والبناء لا الهدم والقتال: ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

*****

بعض من القبائل العربية التي قيل: إنها اعتنقت اليهودية

حيثما يتحدث الإخباريون العرب عن ديانة العرب في الجاهلية يذكرون أن أكثر القبائل قبل الإسلام كانت ديانتها وثنية، ويذكرون صنم كل قبيلة. وقد أفرد ابن الكلبي في كتابه الأصنام تفصيلًا عن صنم أو وثن كل قبيلة وعن مكانة عبادته وطريقتها. ولكن بعضهم ذكر أن بعضًا أو قلة من أفراد بعض القبائل العربية من اعتنق الديانة اليهودية، وهم:

١- بعض من بني الديان، وذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب نسبهم العربي، فقال: إنهم بطن من بني الحارث بن كعب بن الحارث[1]. ويعد الشاعر السموءل ابن عاديا اليهودي من بني الديان عند بعض الإخباريين.

٢- بعض من حمير.

٣- بعض من كنانة.

٤- بعض من كندة.

٥- بعض من قضاعة.

٦- ويرى بعض المستشرقين أن السموءل شخصية منتحلة عن صموئيل المذكور في التوراة. وقيل: إن أمه كانت يهودية، أما أبوه فكان من غسان[2]، وللسموءل ابن اسمه شريح أدرك الإسلام، ويذكر أن السموءل هذا هو جد زوج النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب، وأم صفية رضي الله عنها اسمها برة بنت السموءل بن عاديا.

---

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، جـ، ص.

ياقوت الحموي: المعجم، جـ، ص.

(٢) جواد علي: الفصل في تاريخ العرب، جـ١٢، ص١٥٥.

٧- ويــرى بعض الإخباريــين العرب أن اليهودية كانــت أيضًا في بعض قبائل الأنصــار من الأوس وبني نمــير وبعض غسان وبعض جــذام، وورد عن بعضــ المفسرين لآية البقرة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أنها نزلت في قــوم مــن الأنصار كانــوا قبل الإســلام يرسلون أولادهــم لمرضعات ومربيــات يهوديات، فلما جاء الإسلام وكبر هــؤلاء الصغار أراد أهلهم إجبارهــم على اعتنــاق الإسلام وترك اليهودية، التــي شبوا عليها عند مرضعاتهم، فنزلت الآية المذكورة.

٨- ويــرى بعضــ المؤرخــين أن اليهــود الذين وصفــوا بأنهم عــرب هم على صنفين، صنف أصله عبراني شمالي هاجر من الشام إلى الحجاز (بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير). وصنف أصله عربي يماني كأمثال ما ذكر عن بني الحارث بن كعب ويهود كندة وحمير، فهؤلاء عرب تهودوا.

٩- إن أثــر أهل الكتــاب واليهود خاصة في المجتمع العربــي استمر حتى بعد الإسلام، خاصة في مناطق وجود أهل الكتاب: كاليمن والعراق والشام، بدليل ما ذكرناه عنهم في هذا الكتاب.

فلمــا قدم المسلمون إلى يثرب مهاجرين كتب الرسول ﷺ وثيقة موادعة بــين المهاجرين والأنصار واليهــود ضد قريش، ولكن اليهــود ناصبوا المسلمين العــداء، وأنكــروا نبوة محمد ﷺ، وحكى القرآن جميــع نفاقهم، وما يضمرون ضــد المسلمــين، ومحاولتهــم الفتنة بــين الأوس والخــزرج؛ لإضعــاف الدعوة المحمدية، ودخلوا في جدال المسلمين حول صحة عقائدهم، وما ورد في كتبهم.

تشــير وثيقة الموادعة فيما يخص اليهــود إلى مبدأ الدفاع عن المدينة، كمــا تشير إلــى مبدأ حرية اليهود في البقاء على دينهــم، لكنهم استمروا في التشكيك في الوحي، وأدركوا أنهم لم يعودوا وحدهم أصحاب العلم، فدخلوا

في جدال مع المسلمين. ذكر ابن إسحاق: أن عبدالله بن صوريا الأعور الفطيوني (يهودي) قال للرسول ﷺ : إن الهدى ما نحن عليه، فاتبعنا.

وجادلوا المسلمين حول القبلة ﴿مَا وَلَّـٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ (البقرة: ١٤٢). كما جادلوهم عن النسخ وتحريم بعض الأطعمة، وذكر من جملة المجادلين اليهود أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وأزار ابن أبي أزار، وأشيع، ومن علماء اليهود الذين جادلوا الرسول ﷺ كعب بن أسد، وابن صلويا وعبدالله بن صوريا، وشاس بن قيس، وأخيرًا اندفع اليهود إلى التحالف مع المنافقين من أهل المدينة وعلى رأسهم (عبدالله بن أبي بن سلول)، وقد انتهى الأمر باليهود إلى التحالف مع المشركين ضد المسلمين، وفي هذا نقض لوثيقة الموادعة، فنبذ الرسول ﷺ وثيقة التحالف، وبدأ بإخراج بني قينقاع من المدينة بعد غزوهم، فتوزعوا في الشام والعراق[1]. ثم قتل المسلمون كعب ابن الأشرف (أمه يهودية من بني النضير وأبوه من طيئ)، وذلك بسبب هجائه الرسول ﷺ، قتله محمد بن مسلمة، ثم غزا المسلمون بني النضير (داخل المدينة) لإرجافهم وتحالفهم مع المشركين يوم أحد، فأخرجوا من المدينة إلى خيبر، وكان من قادتهم سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، ومن الجدير بالذكر أنه قد دخل في الإسلام من بني النضير رجلان، وهما يامين بن عمر وأبو سعد ابن وهب، حيث بقيا في المدينة. وقد كان الرسول ﷺ يستعمل كتبة يهودًا بالسريانية والعبرية؛ لتبليغ دعوته، فلما أجلى اليهود أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم تلك اللغات.

---

(١) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، الجزء الثاني، ص٩ -٣٩، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

وفي غزوة الخندق أحاطت قريش بالمدينة ومعها أحزابها ضد المسلمين، فنقض بنو قريظة العهد مع المسلمين، فاشتد خوف المسلمين وهؤلاء بين ظهرانيهم، ولكن إرادة الله قد أفشلت تجمع الأحزاب، وقد حفر المسلمون خندقًا حول المدينة بنصيحة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، فبعد تشتت الأحزاب ورجوعهم عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة، وقد نصحهم زعيمهم كعب ابن أسد بالدخول في الإسلام، إلا أنهم أبوا ذلك عدا القليل منهم دخلوا في الإسلام، ذكر منهم رفاعة بن سموءل وثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد عمهم، وعمرو بن سعدي، وبهذا أخليت المدينة من اليهود وصودرت أسلحتهم وبقي يهود في خيبر خارج المدينة، وكان منهم من اشترك يوم الأحزاب في حصار المدينة أو حرض عليه، فعمد المسلمون إلى قتل رؤوسهم، منهم أبو رافع سلام بن أبي الحقيق وأسير بن زارم.

وبعد أن تم للمسلمين صلح الحديبية مع قريش غزا المسلمون خيبر، وكان اليهود قد طلبوا النجدة من بعض القبائل العربية، فهبت غطفان لنجدتهم بزعامة عيينة بن حصن الفزاري، وقبيلة أسد بزعامة طليحة بن خويلد الأسدي، وقد امتنعت بنو مرة بزعامة الحارث بن عوف من الاستجابة، وقد أرسل المسلمون من أخذ يخذل هذه القبائل على نصرة اليهود، وقد كانت حصون خيبر كثيرة، منها الصغير ومنها الكبير، فحاصرها المسلمون وعرضوا عليهم الإسلام قبل خروجهم، وقد وقع بأيدي المسلمين صحائف من التوراة، فأمر الرسول ﷺ بإعادتها إليهم، وفي حصن ناعم قتل محمد ابن مسلمة سلام بن مشكم، وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحارث بن زينب، وتذكر المصادر أن اليهود نزلوا للصلح مع المسلمين مقابل غلاتهم، على أن يخرجوا من خيبر متى أراد المسلمون ذلك، وتبع ذلك سقوط حصون

فـدك ووادي القـرى وتيماء كما هو الحـال بخيبر، وجرد جميـع اليهود من أسلحتهم[1].

ومما لا شك فيه أن هذه الأحـداث تركت آثـارًا لأدوار سرية قام بها اليهود ضد المسلمين.

اليهود في عهد الخلفاء الراشدين:

بقـي عدد كبير من اليهود في الجزيرة العربية، حتى في المدينة وخيبر وفـدك ووادي القـرى وتيماء وجربـا وأيلة ونجران واليمـن، إضافة إلى من ذهـب منهم إلـى الشام والعـراق، ولكنهم يبدون جماعـات صغيرة مشتتة، ولكنهـا بقيت حاقدة على المسلمين، وأنهـم وإن لم يشتركوا في حرب الردة، لكنهـم ناصروا بعضـ المرتدين، فتذكر بعض المصـادر: أن من بين الأسرى المرتدين كانت امرأة يهودية. وقد ذكر أن جماعة من اليهود ناصروا طليحة الأسدي ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ .

بقـي اليهـود في عهد أبي بكـر الصديق رضي الله عنه على عهودهـم السابقة، وأضـاف أبـو بكـر رضي الله عنه عهـده إلـى يهـود ونصـارى نجـران. ويبـدو أن المسلمـين كانـوا يستعملـون أهـل الذمـة ومنهـم اليهـود كتبـة لمعرفتهـم بالكتابـة، فلمـا فتحت العـراق والشام ومصـر، واستكملت تلـك الفتوحات في عهـد عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه أحـس بكـثرة استعمـال أهـل الكتـاب، وخشـي علـى المسلمـين أن يؤتـوا من هـذا الجانب، فبـدأ بتطهـير جزيرة العـرب منهـم؛ تنفيـذًا لمـا أوصـى بـه رسـول الله ﷺ كما يذكـر، فأجلى عمـر رضي الله عنه يهود خيبر وقسمها بين المسلمـين، وكان معهم أربعة أقسام هم:

(١) المصدر السابق: ص٣٩.

فروة بن عمرو البياضي، وحباب بن صخر السلمي، وأبو الهيثم بن التيهان، وزيد بن ثابت، فباع اليهود متاعهم وحملوا معهم ما يريدون إلى سوريا وأريحا، ويقال: إن عمر دفع إلى يهود فدك نصف القيمة، وأبقى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهود تيماء ووادي القرى.

ودخل نصارى نجران ومعهم بعض اليهود في الإسلام، فاستبقوا بمكانهم إلا أنهم كما ذكر ارتدوا بعد ذلك. مع أنه قد كتب لهم أمانًا لمن بقي على دينه، ويبدو أن الفتح الإسلامي قد شجع أهل الكتاب في الجزيرة العربية على الخروج إلى البلاد المفتوحة، ليبتعدوا عن مركز الخلافة، ويتواروا مع جموع أهل الشام والعراق ومصر، حيث إن هؤلاء أكثر تقبلًا لهم لما سبق من سكنى اليهود والنصارى لهذه البلاد واستيطانهم بها وتقبل أهل تلك البلاد لهم ولعقائدهم، وهذا يفسر كيف انتقلت الأفكار اليهودية بسهولة إلى كثير من الفرق الإسلامية، كما سنوضح ذلك.

وقد منع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخول أي سبي إلى المدينة إن كان بالغًا خاصة، وقد كثر السبي بأيدي المسلمين واتخذوهم خدمًا وعمالًا، فكتب له المغيرة ابن شعبة أمير الكوفة يستأذنه إرسال غلام ذي صنعة جيدة، فأذن له، وكان اسمه أبا لؤلؤة وكان فارسيًا، فلما دخل المدينة شكا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شدة الخراج المضروب عليه من الوالي، فلم يجبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاقتناعه بعدالة ما ضرب عليه، لكن الغلام حقد على عمر وهجم عليه وهو يصلي فجرًا وطعنه ثم انتحر، وتذكر الروايات أن الذي شجعه على هذه الفعلة وأمده بالخنجر الهرمزان (الفارسي) وجفينة النصراني (من الحيرة)، وهما بالمدينة منذ زمن، ويقال: إن كعب الأحبار وقد كان يهوديًا من اليمن، فأسلم في عهد

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبق أن تنبأ لعمر بمقتله، وادعى بوجود ذلك وصفته في التوراة، ولكعب هذا دور كبير في إدخال الإسرائيليات قصص وخرافات، تلقفها منه المفسرون على أنها من علم أهل الكتاب، وهذا يدل ربما على علم كعب بما كان مبيتًا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن صحت الرواية، وليس من المستبعد على اليهود وهم أهل دسائس وحيل اشتراكهم في مقتل عمر، حتى تهيأت الإداة الفارسية المباشرة بقتله، فاليهود كانوا أكثر حقدًا وضغينة على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أي من الخلفاء الراشدين.

ولعبدالله بن سبأ والسبئية دور في مقتل الخليفة عثمان بن عفان، ودور اليهود والفرس في مسلسل التآمر ضد المسلمين وخلفائهم واضح، فبرغم دخول ابن سبأ اليهودي اليمني في الإسلام لكن لم يحسن إسلامه، فتظاهر بالتقرب إلى الخليفة علي بن أبي طالب، واندس بين مريديه إلى أن وثق منه الخليفة «حتى أجلسه تحت درجة منبره» كما تقول الروايات، وذكرنا كيف كان هناك دور السبئية في إشعال حرب الجمل بين المسلمين.

وإن من نتائج أعمال ابن سبأ وآرائه التي بثها بين المسلمين مقتل الإمام علي نفسه، فلم يكن ابن سبأ محبًا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآله، فأفكاره التي بثها بالرجعة (علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمت بل سيرجع) والوصاية أن الرسول ﷺ أوصى لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده، وهو أول من قال بالوقف على ما ذكر النوبختي في كتابه فرق الشيعة، والقول: إن عليًا «يجيء بالسحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه» هي نصوص منقولة عن اليهودية في حق إلههم.

إن اليهود الذين دخلوا الإسلام خاصة كابن سبأ وكعب الأحبار وغيرهم أدخلوا كثيرًا مما يسمى بالإسرائيليات في الفكر العربي والإسلامي، لقد

كان الإسرائيليـون يقدسون زيت الزيتون بوصفه شجرة مباركة في موطنهم، فكانوا حينما ينصبون عليهم ملكًا يقومون بمسحه بالزيت علامة على البركة، واتخذت عبـارة المسيح الملك المخلص أو المحرر شعبه من الظلم والاستبعاد، وشاع في كتبهم التنبؤات بظهور مخلص لهم، كما أكثروا من التنبؤات المتعلقة بما يصيب الملوك والأشخاص ووقوع الحوادث والكوارث، حتى التنبؤ بمصير العـالم كله، وأكثر هـذه التنبـؤات وردت في كتاب دانيال الـذي كتب في وقت متأخر (القرن الأول الهجري)، وكان لما ورد فيه أثر على المسلمين من نقولهم منه على اعتبار احتوائه على علوم الكتب القديمة، ويشبهه ما ذكر عن كتاب الجفـر المنسوب عند الشيعة إلـى الإمام علي رضي الله عنه، أو ينسبه بعضهم للإمام الصادق.

وقـد ذكـر أن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه نهى كعب الأحبـار عن التحدث بالإسرائيليـات، وإلا نفاه إلـى أرض القردة، كما تقول الروايـة (إشارة إلى اليمن بكثرة القردة في جبالها).

والـذي يقرأ تفسير القمي هو تفسير شيعـي سبقت الإشارة إليه يجده يحمـل التفسيرات الباطنية والإسرائيليات والتنبـؤات، التي تعزى إلى علوم الأئمة ومصدرها الأصلي تلك الإسرائيليات، التي قال بها اليهود والنصارى، وربما أمم أخرى.

إن ذكر بعض أسماء الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم دفع بعضًا من الشخصيات الإسلامية التي كانت على معرفة بديانة أهل الكتاب، سواء مـن اليهـود ككعب الأحبـار ووهب بن منبـه وعبد الله بن سـلام إلى إعطاء تفاصيـل أكثر لهذه القصص وأماكنهـا وأشخاصها، معتمدين على علومهم

من التوراة والتلمود، وحتى أولئك الذين ولدوا لأبوين مسلمين اعتمدوا علوم أهـل الكتـاب ورواياتهم مثل محمد بـن إسحاق صاحب السـيرة، الذي كان يسمي أهل الكتاب بأهل العلم الأول.

ومحمـد بـن السائـب الكلبي وابنـه أبو المنـذر هشام وغيرهـم نقلوا الإسرائيليـات التي امتلأت بها كتب التفسـير والسير والتاريخ. وقد ذكر أن اليهـودي أبا يعقـوب وكان يهوديًا من تدمر كان يـزور ابن الكلبي وغيره من الإخباريين، ويزودهم بأخبار أهل الكتاب.

وذكر الطبري في تفسيره: أن أناسًا من اليهود كانوا قد كتبوا كتبًا من عندهم يبيعونها إلى العرب، ويدعون لهم أنها من عند الله؛ ليأخذوا ثمنًا قليلًا[1].

وشخصيـة أخـرى لهـا أهميـة في إدخـال الإسرائيليـات وادعاء علم الأقدمـين هو وهب بن منبه، وكان يهوديًا من أصل فارسي، فوالده من هراة بخراسـان، ثم انتقل إلى اليمن بأمر من الملك كسرى أنو شروان، وربما كان قد أسند إليه أمرًا مهمًا في أثناء حكم الفرس لليمن. وقد نشأ وهب بن منبه في اليمـن، وأسلـم على عهد رسول الله ﷺ، وولي القضـاء في عهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وتوفي سنة ١١٤ هـ. ومن البلايا التي نقلها وهب إلى الفكر الإسلامـي مبكرًا القـول بالقدر، حتى ذكر أنه قد رجـع عنه، وجر الحديث بالقـدر إلى الجـبر، وهكذا إلى فروع الكلام المعروفـة، التي شغلت المسلمين وكان مصدرهـا في الأصـل علم أهـل الكتاب وخاصة اليهـود. والمتتبع لكتب التفسـير يقرأ العجب لمـا نسب لكعب الأحبار أو وهب بـن منبه من أساطير وخزعبـلات وأسماء (مثـل أسماء أهل الكهف واسـم كلبهم الذي قال لهم: ناموا سأحرسكم) تقبلها مع الأسف كثير من المفسرين دون إنكار.

(١) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١، ص٢٢٦.

تذكر بعض الروايات أن الجعد بن درهم أخذ القول بخلق القرآن عن أبان بن سمعان، وهذا أخذ القول عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم اليهودي الذي كان يقول بخلق التوراة. كما ذكر أيضًا أن والد بشر المريسي الذي ينسب إليه أيضًا القول بخلق القرآن عند المعتزلة كان يهوديًّا.

تذكر مصادر الشيعة القديمة أن الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه هو من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر ابن هشام في السيرة أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان من أهل مدينة أصبهان الفارسية، وكان يوقد النار في بيت أبيه للعبادة.... ثم تنصر سلمان رضي الله عنه ورحل إلى الشام حيث مركز النصرانية في ذلك اليوم، ثم تنقل بين كنائس الشام إلى أن جاء أرض العرب، فاسترقه من سافر إلى أرض العرب، وباعه ليهودي من المدينة، وقد فاتته موقعة بدر وأحد وهو في الرق، حتى كاتبه سيده، وتخلص من العبودية [1].

لقد ادعى بعض رجال الشيعة الذين تأثروا بتعاليم التوراة أن اسم علي رضي الله عنه جاء ذكره في التوراة والإنجيل والزبور، و... قد سمي عند اليهود (إليا) وعند النصارى (إيلياء)... وجاء وصفه في التوراة بالأصلع المصفر، وقالوا: إن محمد بن علي مذكور في التوراة بالباقر [2].

إن كتب اليهود والنصاري القديمة كانت مملوءة بالتنبؤات، ومنها التنبؤ بالغيبيات، وقد وردت مثل تلك التنبؤات على لسان بعض العرب المسلمين، الذين استقوا تلك التنبؤات من أهل الكتاب، أمثال وهب بن منبه وكعب الأحبار وتميم بن أوس الداري. ومثل تلك التنبؤات ماذكر عن شيوع

(١) ابن هشام: السيرة، جـ١، ص ٢٢٨ – ٢٣٦.

(٢) الصدوق بن بابويه، علل الشرائع، جـ١، ص١٣٦. الطبرسي، احتجاج جـ١، ص٣٠٨، ابن بابويه، التوحيد، ص١٨٠.

الهـرج والفتن آخر الزمان، وما أحيط بخروج الدجال من تنبؤات وقصص. وقـد نقـل في بعض السنن أن رجـلًا يهوديًا من أهل المدينـة اسمه صاف بن الصائـد، قال عنه الرسول ﷺ: «إنه هو الدجال». وكان يقاتل مع المسلمين. وذكـر أن أحد اليهود أخبر الخليفة عمر رضي الله عنه بأن الدجال سيخرج من قبيلة بنيامين (يهودية)، وأن العرب سيقتلونه على باب لد[1].

ونخلص من هذا البحث أن الشيعة ليسوا وحدهم قد وقعوا تحت تأثير الفكر اليهودي، بل إن الكثير من الفرق الإسلامية لم تسلم من ذلك.

لقـد قـام الكثير من رواة الشيعـة بالدور نفسه الذي قـام به وهب بن منبـه وغيره في إدخال معتقدات وأساطير في الفكر الشيعي، أصلها من تلك المذكـورة عند أهل الكتاب، ونسبت مع الأسـف إلى أئمة الشيعة كذبًا وزورًا، وتلقفهـا أهل الحديث ودونوهـا دون تمحيص ودرايـة، ويكشف التشابه بين الأفـكار الزرادشتية والمزدكية الفارسية، إضافـة إلى المعتقدات القديمة في العراق إلى قيام رواة الشيعة بنقل هذه الأفكار إلى الفكر الشيعي خاصة منه الفكر المغالي.

أثر اليهودية والنصرانية على الفكر الشيعي:

إن جميـع الفرق الإسلامية قد تعرضت لتأثـيرات من عناصر أجنبية مختلفـة في مراحل تطورهـا التاريخي، وتختلـف هذه المؤثـرات في قلتها أو شدتهـا، فبعضها يصل إلى حد الاقتباس المباشـر والواضح، الذي لا يحتاج

---

(١) فان فلوتن: السيادة العربية، ص١١٩. ويمكن مراجعة ما صح عن ابن الصائد في كتاب الفتن من صحيح مسلم.

معه إلى برهان، وبعضها يكون بشكل غير مباشر، بحيث تدخل على الفكرة بعض التحويرات والتعديلات المناسبة للمقام ولأصل العقيدة؛ لكي لا تناقضها، فيكون الاقتباس مرفوضًا، فينتهي في مهده ولا يبلغ أثره.

إن الفكر الشيعي قد تعرض لمؤثرات خارجية، خاصة بعد القرن الأول الهجري، حينما دخل في التشيع رجال غير عرب ذوو جذور من أمم مختلفة حملوا معهم داخل التشيع تراث أممهم وعقائدهم القديمة.

ولما كان التشيع قد نبت في العراق وخاصة في الكوفة والمدائن، وحمله بعد القرن الأول أقوام غالبيتهم من الموالي الفرس، فقد دخل على التشيع عناصر من تراث وثقافات الأمم القديمة في تلك المنطقة التي كانت موطن الحضارة الآشورية والبابلية والآكادية والسومرية والمندائية (الصابئة). ثم بعد ذلك دخلت عليها مؤثرات من ديانات سماوية كاليهودية والنصرانية، ولما كان الموالي الفرس قد تشبعوا بتعاليم دياناتهم الفارسية القديمة من زرادشتية ومزدكية، فإن الباحث يجب عليه معرفة هذه الديانات جميعًا وتطورها ومؤثرات بعضها على بعض، ثم دراسة رجال الشيعة الأوائل الذين شاركوا في بناء العقائد والأفكار الشيعية المدونة في كتب الشيعة القديمة؛ لإرجاعها إلى عناصرها الأصلية ودراسة التطورات والتعديلات التي أجراها أولئك الرجال على تلك الأفكار؛ لتلائم حاجاتهم ومنطقهم تمكنًا من رصدها في دراستنا هذه. ولما كان هذا البحث مختصًا بالتأثير اليهودي على التشيع وحيث إن اليهودية بين العرب ليست فقط في يثرب التي سبق دراستها بل في اليمن والعراق فيحسن بنا إلقاء الضوء على هذه المناطق وكيف أثرت على الفكر الشيعي من هذا الباب.



الفصل الثالث

اليهودية في اليمن

نظرة تاريخية

لم يرد إلينا إلا القليل عن القبائل العربية البائدة كعاد وثمود، حاول بعض دارسي اللغة السامية خاصة تحليل النقوش التي عثر عليها علماء الآثار[1].

إن طبيعة اليمن الجغرافية من جبال ووديان جعلت منها قديمًا مجتمعات قبلية منعزلة، ثم تكونت في هذه المجتمعات ممالك صغيرة، أظهرت النقوش المكتشفة وجود مملكة داهس ومهامر وامر وذلك قبل القرن الرابع الميلادي، ولكن بمجيء الملك كرب أيل وتر السبئي سنة ٤١٠ ق. م أنهى هذه الممالك الصغيرة باليمن، وقام بتوحيدها في ظل دولة سبئية واحدة تضم قبائل يمنية عدة. وديانة هذه الممالك قديمًا كانت عبادة الشمس والقمر ونجمة الصباح (عشتر)، وبالنسبة لأصنام هذه القبائل يذكر (ود) و(المقة) خاصة أن نسابة اليهود يسمون جنوب الجزيرة العربية (رعمة)، وقد ذكرت في التوراة كتابة لكوش، ومن أولاد كوش عندهم شبآ (سبأ)، وفي سفر حزقيال من التوراة يذكر تجار من سبأ ورعمة يتاجرون ببضائع مع أهل الصور[2].

---

(١) محمود محمد الروسان: القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة.
انظر العصور: المجلد الثالث، جـ١، ص١٤١، ١٩٨٨م.

(٢) د. منذر البكر: دراسة في تاريخ اليمن، المؤرخ العربي، العدد ٤٠، ١٩٨٩م.

وذكر الإله (ذو سموي)، أي إله السماء يعبد عندهم في مملكة أمر أو أمير، ويوجد له معبد في مدينة (حنان)، وربما كان هذا المعبد يطلق عليه اسم (بقرم) (ذو سموي بعل بقرم)، وقد أعيد بناء هذا المعبد بعد سقوط معين وغزو مملكة أمير من سبأ[1].

إن اليهودية في اليمن كانت منتشرة ومعروفة قبل النصرانية.

يرى بعض الباحثين أن اليهودية أصلاً ظهرت في اليمن، وليس في فلسطين أو الشام، وقد بسطنا هذا الرأي عند استعراض رأي كمال الصليبي.

ويرى بعضهم أن اليهودية دخلت إلى اليمن مع الراجعين مع الملكة بلقيس بعد زيارتها إلى الملك سليمان في فلسطين، وقد حكى القرآن الكريم مقابلة الملك سليمان لبلقيس كما هو معروف، وفي التوراة فسر الملوك تفصيلاً أكثر لهذه المقابلة، وهذا يقدر في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد. وفي رأي آخر أن اليهودية دخلت اليمن بعد خراب هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق.م. وهو ما يسمى بخراب الهيكل الأول، وقيل بل بعد خراب الهيكل الثاني سنة ٧٠ ق.م. حيث تشتت اليهود في الأرض ومنهم من جاء إلى اليمن ، وكل هذا مجرد اجتهاد، ولكن من الثابت والواضح وجود طوائف يهودية في اليمن منذ القرن الثالث الميلادي وانتشارها بين العديد من القبائل[2].

ويذكر بعض مؤرخي التوراة اليهود أن العبرانيين بعدما هاجروا من أور في العراق إلى أرض كنعان (فلسطين) طلبوا من يهود اليمن الهجرة إلى فلسطين؛ للمشاركة في بناء الهيكل الذي هدمه الإمبراطور الروماني تيتوس سنة ٦٣ ق.م.

---

(١) د. منذر البكر: المصدر السابق،

(٢) د. كاميليا أبو جبل: يهود اليمن. ص١٦- ١٧. دمشق ١٩٩٩م.

وذكروا أن هذا ما يشير إليه سفر التكوين (٢١ و٣٤ و٢٦ و١ و٦)، ولكن يهود اليمن رفضوا الاستجابة لنداء هذه الهجرة، فحلّت عليهم لعنات الحاخامات، وسجل هذا اللعن فيما يسمى بدعاء الغضب[1]. ويبدو أنه منذ مطلع القرن الثالث الميلادي وحتى ظهور الإسلام تمتع اليهود في اليمن بحرية التجارة وصلاتهم مع الشام، مما عزز نفوذ اليهود اليمنيين بين القبائل ومستويات مختلفة، ولكن فيما يبدو كان يهود حمير أكثر نفوذاً من غيرهم[2]. وبسبب هذا الامتداد انتشرت اليهودية في جنوب اليمن بعد سقوط الدولة الحميرية، ولكن فيما يبدو أن اليهودية في اليمن عاشت أزهى عصورها في الدولة الحميرية، حيث أصبحت اليهودية في كثير من الأوقات دين الدولة الرسمي[3].

وهذا يعني أن اليهودية صارت ديناً لكثير من عرب اليمن، وأن هؤلاء كانوا على علم بهذه العقيدة، فلما دخلوا الإسلام حق لنا أن نتساءل ما هو أثر عقيدة هؤلاء على الاتجاهات السياسية والفكرية التي حصلت خاصة إبَّان الردة، ثم في القرنين الأول والثاني.

إن وجود اليهود في اليمن مرتبط منذ القدم بنمو التجارة، وكون اليمن تقع وسطاً بين الهند وفارس من جهة والشام والعراق ومصر من جهة أخرى، وما في هذه المناطق من مراكز بحرية ومدنية. ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد قام نبي الله سليمان ببناء أسطول تجاري في البحر الأحمر كان مقره في عصيون جابر[4]، وبعد قضاء الرومان على نفوذ الفينقيين والبطالمة في البحر الأحمر.

---

(١) عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص٢٤، ص١، ١٩٨٨م. سلسلة كتاب المسيرة اليمانية.

(٢) عباس الشامي: المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص٧٠، جامعة الملك سعود.

(٤) د. حسن الباشا: المشكلة اليهودية من عهد سبأ إلى صدر الإسلام، المجلة العدد ٩ سبتمبر ١٩٥٧م، ص٨٨.

كما أضعف الرومان نفوذ السبئيين في اليمن بعد غزوهم سنة ٢٤ ق.م حاول الرومان أيضًا التخلص من نفوذ اليهود، فبدؤوا بتخريب أورشليم ومعابدها سنة ٧٠ م، وأرغموا اليهود على الشتات، فرحل منهم الكثير إلى اليمن، وحاولوا تأسيس دولة يهودية في سبأ بداية القرن السادس الميلادي.

واتصلت تجارتهم ونفوذهم بالجاليات اليهودية في يثرب ونجران، ولكن الرومان شجعوا المسيحية على الانتشار في دولة سبأ منذ سنة ٣٠٠م، وحدث الصدام اليهودي المسيحي في نجران، وقد ناصر ملك الحبشة المسيحي الديانة المسيحية وانتشارها في اليمن عندما غزا دولة سبأ سنة ٣٤٥م. فبنيت كنيسة في ظفار وفي عدن ومسقط ومضيق هرمز، لكن هذا النفوذ لم يستمر، فقد كانت مملكة سبأ تحت نفوذ التبابعة منذ سنة ٣٧٨م.

وقد استعاد الملك تبع حضرموت وريدان ويمنات من نفوذ المحتلين الأحباش: وهذا سبب رئيس في ميل كثير من ملوك تبع السبئيين إلى اليهودية نكاية بالأحباش المحتلين. فمن هؤلاد الملوك: (كرب يهامن) و (شرحبيل بكف). وقد عزز كل ذلك نفوذ اليهود في دولة سبأ مما شجعهم على التفكير في إقامة دولة يهودية في اليمن (أوائل القرن السادس الميلادي)، وفعلًا قام (يوسف اليهودي) الذي سمي فيما بعد بـ ذي نواس سنة ٥٢٢م، فاغتصب عرش سبأ وضيق على المسيحية، فانتشرت اليهودية في عهده، وتحالف مع الفرس ضد الرومان مما دفع ملك الحبشة الأصبح مهاجمة ظفار وهزيمة ذي نواس وهروبه إلى الجبال، ولكن ذا نواس بعد أن رجع الحبشي إلى بلاده عمد إلى مهاجمة ظفار، وخرب كنيستها، وتخلص من مقاومة النفوذ المسيحي في جنوب اليمن، ثم عمد إلى غزو نجران عن طريق أحد قواده المدعو (سرحثل يقبل ذو يرأن). سنة ٥٢٤م، الذي قام بمقتلة كبيرة وتحريق للمسيحيين

(أصحاب الأخدود). ولكن ملك الحبشة (الأصبح) عاد مرة أخرى إلى اليمن وهزم ذا نواس وقضى على الدولة اليهودية في مهدها وقبل أن يستشري أمرها. ومن هنا سقطت دولة سبأ، وانتقل مركز الثقل العربي إلى مكة ويثرب. حيث كانت قد ظهرت أمارات النهضة على يد الحنيفية أو الإبراهيمية[1].

مملكة حمير

كانت حضرموت تعرف قديمًا بالأحقاف، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١) والمقصود بـ (أخا عاد) هو نبي الله هود عليه السلام، كانت حضرموت قديمًا إمارات صغيرة (محافد) يديرها (الأقيال) أي الأمراء، ومن أشهر هذه المحافد شبام وهينن والشحر والعروض ودمون وعندل. فعندما ضعفت دولة سبأ تغلب عليها الحميريون المقيمون خاصة في ريدان (ظفار)، وضموا حضرموت إلى مملكة حمير، أتينا على ذكر هذه النبذة لورود الإشارة في هذا البحث إلى أن من أدلة بعض الباحثين على قدم اليهودية في اليمن وجود أصحاب النبي هود الذي ذكرهم القرآن الكريم واسم اليهودية كما يقولون مشتق من هود[2].

يعود الفضل للحميريين قديمًا في توحيد اليمن تحت سلطة سياسية واحدة، وذلك بفضل نشاطهم التجاري.

واستمرت الدولة الحميرية إلى ما قبل الإسلام بقرنين تقريبًا، فقد سقطت في القرن الخامس الميلادي، وتفككت اليمن بفعل ظهور قوى محلية

---

(١) د. حسن الباشا: المصدر السابق، ص٩٠ وما بعدها.

(٢) انظر آراء كمال الصليبي الواردة في هذا البحث.

كثيرة، ساعدها على ذلك الطبيعة الجبلية لليمن، ولكون الأمطار تسقط صيفًا غالبًا، فقد اهتم الحميريون بتنظيم السدود والخزانات للمياه، فكانت منطقة حمير تنتج الورس في منطقة الكلاع يحصب وشيحان ووادي الجنات، وتنتج الزعفران في جبل صبر ووادي نخلة.

وفي ذمار ينتج ويستخرج الذهب والعقيق والجَزع. وقد كانت صناعة الخرز والحلي منتشرة في صنعاء وظفار. وكانت الأسلحة من أهم صناعات حمير، وقد طوروا صناعة الرماح من الحديد، كما طوروا صناعة الجلود لكثرة ما لديهم من ماعز وأبقار، وبرعوا في صناعة النسيج وتلوينه بالتحبير والوشي.

ذكر أهل الأنساب في منطقة حمير قبائل عدة جميعها نسبت لحمير منها الأصابح في عدن ولحج، والمعافر في جبل صبر، والكلاع في زبيد ورعين، وآل ذي يزن وذي رعين في لحج، ومرخة وعبد كلال والأوزاع في ذمار، والعواسج في جرش، وكل هذه القبائل كانت تدعى بحمير. كان يسكن معهم قبائل أخرى، بعض منهم من كندة خاصة السكاسك والسكون من بطونها، وبعض الأشاعرة (مذحج) في رعين والمعافر، وبعض المهرة وقلة من همدان نخص منهم من آل ذي مران في المعافر. وآل ذي لعوة، وبعض من خولان في مخلاف ذي جرة. وكان النظام القبلي في اليمن قويًا يدل عليه تسمية الدول التي سادت قديمًا بأسماء القبائل ذات السيادة على من حولها: كدولة حمير وسبأ ومعين. وأكثر قبائل اليمن كانت منقسمة بين حضر وبادية.

وأكثر مدن اليمن يتبعها أو يسكن حولها بادية، فمدينة رداع باديتها من الربيعيين والزياديين وبني حبيش في زبيد ومدينة الكدراء باديتها من عك. ومدينة جيشان باديتها من سبأ الصهيب، ولهذه البادية أهمية قتالية،

فإضافة إلى ولائها إلى القبيلة عمومًا لكنها محورٌ قتاليٌّ يستنجد بها الملوك أو المدن حين الضرورة، وهذه البادية عمومًا كانت تشكل ضغطًا سياسيًّا واقتصاديًّا على المدن وعلى الممالك، التي قامت قديمًا لما لهم من روح قتالية تدفعهم لذلك الحاجة والجوع.

واستنتج الدكتور نزار الحديثي[1] أن لفظ «الأحمور» ربما كان يطلق على سكان القرى المزارعين من قبائل عدة، مثل أحمور همدان، فمنهم من دخل في قيالة حمير مثل قيل رعين وقيل معافر وقيل همدان. وذكر أن من قبائل الحمور ذا مرارة وذا لعوة وأذواء همدان. وقيل: بل منهم الصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي حدان وآل ذي رضوان وآل ذي مران.

ويبدو أن كثيرًا من المدن اليمنية والقرى كانت تحوي أخلاطًا من أصول قبلية شتى جمعتهم ظروف التعايش والحاجة، فاشتغل بعضهم في الزراعة والصناعة والحياكة والدباغة وصناعة الأسلحة. وهذه حرف كانت القبائل الشمالية تأنف من القيام بها، وقد ظهر ذلك واضحًا في مجتمع الكوفة، فقد لقب محمد بن أبي بكر الصديق معاوية بن حديج بابن اليهودية النساجة. ووصف الحجاج عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بابن الحايك. ووصف خالد بن صفوان أهل اليمن حينما تجمعوا في حرب ضد قومه: «ما منكم إلا دابغ جلد، أو ناسج برد، أو سايس قرد، أو راكب عرد»[2].

أنتج ضعف الدولة الحميرية ظهور سلطة فارس بالأذواء وهي سلطات محلية في مناطق نفوذ مختلفة، بدأت تسيطر بالتدريج بعد ضعف الحميريين خاصة في عهد الملك ذي نواس، حيث شجع الحال دولة الحبشة على احتلال

(١) د. نزار الحديثي: أهل اليمن، ص٧١.

(٢) د. نزار الحديثي: أهل اليمن، ص٧٥.

اليمـن بالتنسيـق مع الدولـة البيزنطية بعـد حادثة نجران، التـي قتل فيها نصارى نجران. وبالرغم من أن أقيال اليمن من سبأ وكندة وغيرهم تصدوا لغزو الجيش، لكن تم للأحباش السيطرة على اليمن، بل إن بعضهم شارك في الجيش بقيادة أبرهة في حملته ضـد حضرموت، التي كانت بقيادة يزيد بن كبشة. بل ذكر أن بعض الأسر اليمنية صاهرت بعض الأحباش، وقد أنتج هذا الوضع غيـاب السلطة المركزية وتركز قوة القبيلة كل في منطقته، وكان آل يـزن أو ذي يزن أهـم أكبر قوة تصدت للأحباش، ولهذا فقد تحالفت مع الدولة الساسانية الفارسية لطرد الأحباش عن اليمن، وفعلًا طرد الأحباش، لكن ذلك كان على حساب قوة النفوذ الفارسي في اليمن، فكان سيف بن ذي يزن يدفع جزية للفرس مقابل ذلك، وأدت شدته في الحكم إلى تمرد القبائل عليـه، مما دفـع الفرس مجددًا لتجهيز حملة ثانية علـى اليمن؛ لإخضاعها بشـكل مباشـر، وأن تكون تحت حكم نائـب الملك الفارسـي، وتحويل اليمن إلـى إقليم تابع لفارس، ولنائـب الملك جيش من الأساورة الفرس، خاصة في صنعـاء وعدن، ممـا أدى إلى هجرة كثير من الفرس إلـى العيش في اليمن، خاصـة في عدن والجنـد ورداع وأثاث وذمـار والبون في غفـار، وكانت أسر باذان هي الحاكمة تقريبًا يساعدها أسر فارسية أخرى.

لقد وجـدت الديانة اليهودية في عهد الاحتـلال الفارسي لليمن حرية كبـيرة، فانتشـرت اليهودية في بعض قبائـل ككندة وحمير وهمـدان، بل إن بعضـ الأبناء من الفرس اعتنقوا اليهودية، وهـذا يفسر التحالف السياسي الديني بين الفرس واليهود من جهة، وبين النصرانية والدولة البيزنطية من جهة أخرى، وتقاتل الفريقين على النفوذ.

ومع وجود الحكم الفارسي احتفظت قبيلة حمير لنفسها ببعض النفوذ في مناطقها، وخاصة ما يدعى بإذواء حمير مثل سلامة ذي فاش في حصن أرياب، وذي الكلاع وذي يزن زرعة بن عامر، وذي أصبح في لحج وذي رعين.

وأمام هذا التفكك ظهرت سلطة القبائل اليمنية البدوية وشكلت بينها تحالفًا مثل تحالف المنتسبين إلى مذحج من زبيد بقيادة عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن كعب بقيادة الحصين بن فنان بن زيد الحارثي، وبني عبد المدان بقيادة يزيد، وخولان بقيادة عنبسة بن يزيد الخولاني، وقد ضعف نفوذ الفرس في اليمن بتنامي قوة القبائل اليمنية المنافسة لهم، خاصة الأذواء من حمير وغارات قبيلة تميم على طريق التجارة المار باليمامة، وحركة المثنى بن حارثة الشيباني في العراق ضد الفرس، وأمام هذا الخطر حاول الفرس التحالف مع قبيلة همدان، في حين كان تحالف مذحج في نجران ضد الفرس.

كان حليف الفرس عمرو بن الحارث بن الحصين الشاكري البكيلي وعمرو بن زيد بن الربيع الحاشدي، وكلهم من همدان تحالفوا مع باذن الحاكم الفارسي المباشر لليمن، وقد تسبب هذا الحلف في خلاف شديد بين همدان ومذحج، وكانت مراد من مذحج، وكان بين مراد وكندة حلف، هذا إضافة إلى تحالف مذحج ضد الفرس.

وفي أول دخول الإسلام لليمن تم صلح الرسول ﷺ مع نجران، كما يبدو أن الرسول ﷺ ركز كثيرًا على دخول حمير الإسلام، وقد أدرك باذان ضعف القوة الفارسية في اليمن وعدم قدرتها على الصمود أمام التطورات الجديدة، وتذكر الروايات أن كسرى ملك الفرس أمر باذان بأن يرسل من

يقتل الرسول ﷺ . وقد مات كسرى ودخل باذان في الإسلام، وكان موقف همدان منقسمًا، منهم من ناصر الأبناء من الفرس، ومنهم من ناصر المسلمين[1].

أما أرض سبأ (الجوف) التي فيها سد مأرب الواقعة شرقي صنعاء فإنها تقع بين حضرموت جنوبًا ونجران شمالاً، وهي قليلة المياه، ولذا يعمد أهلها إلى عمل السدود والخزانات، وذكر فيها الذهب والفضة في منطقة السر كان يملكها حين ظهور الإسلام ابن المروية شيخ من مذحج، وفيها الطريق التجاري من شبوة إلى وادي حريب إلى مأرب فنجران.

وأهم مدنها مأرب وبراقش (معين) وقرن، وأكثر سكانها كانوا من مذحج، مثل مراد وعنس وسعد العشيرة، وكانت هذه القبيلة قوية دفعت همدان والفرس إلى التحالف ضدها؛ لإبعاد خطرها عن مناطقهم خاصة حينما استوطن بنو عبد المدان وهم من مذحج بعد أرض همدان.

أما تهامة المسماة ببلاد حكم وعك والأشعريين وبني مجيد فهي سهول ضيقة بين البحر الأحمر وجبال السراة، وتنحدر من السراة أودية تصب في البحر الأحمر.

يذكر بعض الإخباريين العرب أن أول من أدخل اليهودية إلى اليمن هو الملك الحميري تبان أسعد أبو كرب، حيث تشير بعض الروايات العربية واليونانية أن هذا الملك عندما غزا مدينة يثرب التقى فيها ببعض أحبار اليهود، ويبدو أنه أعجب بما لديهم من علم، فجاء بهم معه إلى اليمن.

---

(١) المصدر السابق: ص٩٣ وما بعدها.

وشـاع خبرهم بـين اليمنيين، فقيـل: إنهم امتحنوا علمهـم وصدقهم فصدقوهم وبهذا انتشرت اليهودية بين بعض قبائل اليمن[1].

ويذهـب رأي آخـر إلى أن أصـل الوجود اليهودي في اليمـن يرجع إلى هجـرة بعض يهـود العراق، وبعد الغـزو البابلي المعـروف لأورشليم من قبل نبوخذ نصر[2] (٥٨٦ ق. م.).

وفي أوائـل القرن السادس الميلادي وبعد انتشار النصرانية في اليمن أخذ رجال الدين النصارى واليهود كل يتبارى في نشر دينه، ففي عهد الملك الحميري ذي نواس اشتد الهجوم علـى النصرانية، وأعلى شأن اليهودية، وبلغ بهذا الملك أن هجم على نصارى نجران، فأحرقهم في أخدود ورد ذكره في القرآن الكريم.

وذكـر كوركيس عواد خـبر القديس الحارث وشهـداء نجران (راعي كنيسـة نجـران) ناقلًا من نسخـة خطية ضمـن مجموعة في ديـر البلمند بلبنان، وهو خامس ما في المخطوطة المكونة من أربعين صفحة، ترجع كتابتها إلـى القرن الثامـن عشر الميلادي، وهـي رسالة كتبها شمعـون إستيف بيت أرشـم، توضح الاضطهاد الذي لاقاه نصـارى نجران على أيدي يهود حمير سنة ٥٢٤م. نقلها من السريانية إلى العربية الخوري يوحنا جس عزو[3]. ولا يمكـن فصل هذه الحادثة عن الصراع السياسـي القائم آنذاك بين الفرس والبيزنطيـين، حيث توجه الأحباش النصـارى على إثر انكسار شوكة الدولة الحميرية في اليمن إلى بناء كنيسة القليس في صنعاء بجهد من أبرهة الذي هاجم مكة عام الفيل المشهور.

(١) د. كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص١٧.

(٢) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص٦٨. جامعة الملك سعود.

(٣) انظر مجلة المشرق سنة (١٩٥٤) العدد ٣١ (١٩٣٣) ص٣٢١.

مساكن اليهود في اليمن ومواقعهم

إن وجود اليهود في يثرب يرجع عند أكثر المؤرخين إلى الهجرة اليهودية من الشام سنة ٧٠م بعد طردهم من قبل الرومان وتهديم هيكلهم في أورشليم، وقد سبقوا الأوس والخزرج السكن في يثرب، وما حولها من وادي القرى، وبعد انكسار سد مأب ونزوح الأوس والخزرج إلى يثرب لم يرحب بهم اليهود، بل عارضوا نزولهم، وقد قيل: إن مالك بن العجلان الخزرجي ذهب إلى ملك الغساسنة يطلب المساعدة، فعاد إلى يثرب بجيش على رأسه جبلة ابن الأيهم ليؤدب اليهود، وقيل: إنه قتل منهم بضعة وثمانين رجلًا[1].

كما تركز الوجود اليهودي في عدن منذ القدم لما لهذا الثغر البحري من أهمية في التجارة، فقد وجد في عدن تجار يهود يملكون سفنًا تجارية تذهب إلى الهند وإلى البحر المتوسط، وقد امتدت سيطرة اليهود على تجارة عدن حتى الاحتلال البريطاني للخليج العربي، فكان الإنكليز يفضلون التعامل مع يهود عدن شأنهم شأن التعامل مع يهود العراق والبلدان الخاضعة تحت نفوذهم كمصر وغيرها. وتركز اليهود في حي كريتز في عدن، وفي مدينة حضرموت كان يسكن فيها كثير من اليهود.

وكان نقيب التجار يهوديًا يدعى مضمون بن يافث يملك سفنًا للإبحار مع الهند وموانى البحر المتوسط.

وفي صنعاء كان لليهود وجود قديم خاصة في حارة (قاع اليهود) حيث تقع غرب صنعاء، وقد سميت اليوم بقاع العلفي. كما عاش اليهود في ناحية ظليمة التابعة لقبيلة حاشد، وسكنوا أيضًا حول المداير وحول مدينة الحبور.

(١) عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص٣٦ المسيرة اليمانية ط١.

وسكنوا أيضًا في حارة الجاثة في مدينة إب. وسكنوا في قرية خاصة بهم تسمى الجدس، وكذلك كانوا في حارة المكعدة في جبلة قرب مدينة إب. كما سكن اليهود في قرية جحران في فضاء النادرة، واليهود منذ القديم متوزعون في جميع مدن وقرى اليمن، ومن الصعوبة إحصاء تلك المساكن، وقد قدر بعضهم وجودهم في ٣٥٠ قرية يمنية[1].

والسبب في هذا العدد الكبير هو اتساع انتشارهم في اليمن، فلو أخذنا مثالًا على وجودهم في قاع اليهود الذي ذكرناه في صنعاء لوجدناه يحتوي على حارات لهم عدة، وهي: حارة الوادي، وحارة مسعود، وحارة الريشة، وحارة المشماعة، وحارة مسخ ، وحارة البوساني، وحارة الذماري، وحارة الكحلاني، وحارة الصبيرة، وحارة غارقة، وحارة حيارة وغياث، وحارة سيناي، وحارة الشيخ، وحارة الريعاني، وحارة السوق، وحارة صالح، وحارة قارئة الأسطى، وحارة الطيري، وحارة الخارجة والمطيبين.

وهذا يدل على تغلغل اليهود منذ القدم في المجتمع اليمني، وتقبل اليمنيين لهم عمومًا إلا ما جرى على سبيل الاستثناء. هذا وليس من شأن البحث تقصي تاريخ اليهود في اليمن خاصة في العصور الحديثة، طالما أن هدف البحث هنا أن نبين للقارئ الكريم أثر الفكر اليهودي على عرب اليمن أفرادًا وقبائل قبل الإسلام وبعده في القرون اللاحقة، وكيف كان بعض الشيعة العرب اليمنيين خاصة الجسر الذي عبر منه الفكر اليهودي إلى التشيع.

*****

---

(١) المصدر السابق ص٣٩- ٤١. وانظر أيضًا كاميليا أبو جبل: المصدر السابق، ص١٩.

أثر الفكر اليهودي على اليمنيين

لا نملـك الكثـير من المعلومات عـن أوضاع يهـود اليمن الفكريـة إبَّان القـرون الأولى الهجرية، ولكن أوضاعهـم اللاحقة لهذه الحقبة تلقي الضوء علـى ممارسـات يهود اليمن الفكريـة، وحريتهم في العبـادة والعمل، وإقامة المعابـد. وعند تأسيس الإمامة الزيدية في اليمن على يد يحيى الهادي للحق، سمح هذا الإمام لليهود بحرية العبادة والتجارة والزراعة، شريطة أن يدفعوا الجزيـة. وفي هـذه المدة ومـا تلاها من الحكـم الزيدي تمتع اليهـود بحرية التجـارة، فأقامـوا الصـلات التجارية مع يهـود مصر والشـام، حتى وصل نفوذهم إلى أن أصبح نقيب التجار مضمون بن يافث اليهودي ذا نفوذ كبير، يملـك سفنًا تجارية لاستيراد البضائع من الهند والصين ومصر، ومن نتائج هـذه الحرية أن ظهر سنة ١١٧٢م مبشر يهودي ادعـى أنه المخلّص الموعود. ويبـدو أن لهذا الرجل تأثيرًا على مصالح اليهود اليمنيين؛ لأنه أشاع أكاذيب وخرافـات دفعتهم إلى الشكوى إلى مرجع يهودي كبير في مصر، من أجل أن يبطل فاعلية هذا المدعي، وهذا المرجع هو موسى بن ميمون كان رابيًا وطبيبًا لأحـد وزراء صلاح الدين الأيوبي. وقد أسدى ليهود اليمن طيلة ما يقرب من عشرين سنة النصح والتوجيه، فكتب رسالته المشهورة بـ: (رسالة اليمن)[١].

ومع نشـاط اليهود التجاري السالف جلبوا معهم إلى اليمن ما في التراث الفكري اليهودي في الشام ومصر بكلتا اللغتين العربية والعبرية وربما الآرامية، واشتهر في هذه الحقبة يهود منطقة ذمار بالتفسير الرمزي الباطني لما ورد في التوراة خاصة، يدل على ذلك ما كتبه يهود صعدة منتقدين يهود ذمار على هذا المنهـج. وقد أوغـل يهود اليمن منذ القرن السابـع الهجري بالتفسير الرمزي

(١) كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص٢٠، دمشق ١٩٩٩م.

والتأويل الباطني، ساعدهم على ذلك دراسة الفلسفة اليونانية والمنهج الغنوصي القديم في التفسير، وهذا المنهج له أثر كبير على العرب المسلمين من أهل اليمن، الذين اشتغلوا فيما بعد بالعلوم الإسلامية، وخاصة مؤلفي وعلماء بعض الشيعة، الذين سنأتي على دراسة منهجهم فيما بعد.

وفي سنة ١١٧٢م ظهر في اليمن مبشر يهودي أعلن عن نفسه: أنه هو المخلص، وهو جزء من سلالة للمخلصين، ظهرت في اليمن عندما عم الجهل والخرافات المجتمع اليمني، وانتشرت أعمال الشعوذة بين اليهود، فتوجه بعض عقلائهم إلى الحاخام اليهودي موسى بن ميمون الساكن حينها في مصر، طالبين منه المساعدة، فكتب إليهم رسالة نصيحة مهمة[١].

*****

(١) كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص٢٠، دمشق ١٩٩٩م.

رسالة موسى بن ميمون إلى يهود اليمن

ولد ابن ميمون في قرطبة سنة ١١٣٥م، وتعلم التوراة والتلمود والفلسفة والطب وعلوم عصره على يد علماء يهود ومسلمين في الأندلس. وقد نزحت أسرته إلى الميرية، ثم إلى فاس في المغرب إبان حكم الموحدين. ثم نزحوا إلى عكا بفلسطين، واستقر بهم المقام أخيرًا بمصر، حيث كان صلاح الدين الأيوبي وزيرًا للخليفة العاضد الفاطمي سنة ١١٦٩م، وبعدها بقليل سقطت الدولة الفاطمية، وحلت محلها الدولة الأيوبية. وفي هذه المدة اختير موسى ابن ميمون أن يكون طبيبًا للوزير الأيوبي عبد الرحيم البيساني. وفي هذه المدة تولى ابن ميمون رئاسة الطائفة اليهودية، وكان عضوًا في المحكمة الشرعية اليهودية بالفسطاط، وقد تولى ابنه إبراهيم هذا المنصب بعد وفاته.

كتب ابن ميمون رسالة إلى يهود اليمن وهو في مصر بالعربية، وكلف طالبه اليمني يعقوب بن نافانئيل بتبليغ يهود اليمن بما جاء فيها من وصايا. أهمها الصبر على ما جاءهم من مكاره وإكراه الآخرين لهم، وعدم الدخول في مشاكسات مع المخالفين، وفيها بشرى لهم بانفراج الكرب وزوال الغمة عنهم، ويبدو أن رسائل ابن ميمون تلاحقت ليهود اليمن، ردًا على استفساراتهم الدينية والدنيوية، واستمرت نحو عشرين سنة آخرها سنة ١١٩٤م إبان حكم المعز إسماعيل بن طغتكين، الذي قيل: إنه ضيق كثيرًا على يهود اليمن، وربما ألجأ بعضهم لاعتناق الإسلام بالقوة. وهذا كما يقول الهواري مخالفة لما أوصى به الرسول ﷺ معاذ بن جبل، حينما أرسله إلى اليمن: (**ألا يفتن يهودي عن يهوديته**)[1].

(١) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص٨٥، وما بعدها جامعة الملك سعود.

وبعـد الفتح الإسلامـي ودخول اليمن في الإسـلام دخل كثير من يهود العـرب اليمنيين الحميريـين في الإسلام طواعية، حيث كان هؤلاء في الأصل عربًا متهودين أمثال كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ ووهب بن منبه، وهؤلاء أمثلـة وعينـة من العـرب المتهوديـن، الذين كان لهـم أثر فكـري كبير على المسلمين وعلى الفرق الإسلامية عمومًا خاصة الشيعة.

تظهـر مؤلفات الحاخامات اليهود وما سمـي من مخطوطات (جنيزا القاهـرة)، وما كتبه علماء الزيدية في تلك المـدة عن يهود اليمن وأفكارهم وليس بمستبعد أن يدخل كثير مـن يهود اليمن نتيجة الظـروف والمتغيرات السياسيـة أن يدخلوا إلـى الإسلام في الظاهر حمايـة لأنفسهم من العنت، وأن منهم من حسن إسلامه، ولكن منهم أيضًا فئة ظلت تتظاهر بالإسلام، ولكنهـا في الباطن علـى يهوديتها، فلمـا واتتها الفرصة في إظهـار أفكارها وعقائدهـا القديمـة قامت بالاندسـاس في الفرق الإسلاميـة، ومن خلالها أظهرت مقالاتها المعروفة التي سنتعرض لها في هذا البحث.

وقـد ذكـر أن يهود اليمن قد تعرضـوا إلى أن يدخلـوا الإسلام بالقوة والقسـر، وذلك في أواخر القرن الثاني العشر الميـلادي أيام حكم سلاطين بنـي همدان، وخاصة إبان حكـم عبدالنبي بن مهدي المتعصب والمغالي ضد الجميـع، حيث عرفـت سيرته بما يشبه سيرة الخـوارج، ورسالة ابن ميمون إلـى أهـل اليمن تعكس ذلـك، وطلبه بأن يهاجر من يستطيـع أو يصبر على البلاء[1]. ويبدو أن الطالب يعقوب بن نافانئيل يشير لابن ميمون خروج كثير من يهود اليمن عن ديانتهم ودخولهم في الإسلام قسرًا.

---

(١) المصدر السابق: ص٨٦- ٨٩.

وأشار الدكتور الهواري إلى حالات دخول يهود في الإسلام طواعية دون إكـراه أيام حكم الأسرة السنية لمدينة تعـز اليمنية (١٢٢٩- ١٤٥٤م). وفي رسالــة ابن ميمون إلى يهود اليمن نصيحة لهـم بالتمسك بالدين اليهودي، وأن الله قد اختصهم بهذا دون غيرهم، وقال: إن أعمال الطغاة أمثال نبوخذ نصر وأمثاله كان عملهم ضد الإرادة الإلهية.

ونلاحـظ أنـه في أواخر حكم صلاح الدين الأيوبي تمـرد شيعة الشام ضده، وقيل: إنهم مالـؤوا الصليبيين، فكان هذا سببًا للانتقام منهم، ولكن يلاحظ أن الانتقام هذا شمل يهود اليمن، فتعرضوا للمعاناة والمضايقة، فهل اشـترك يهود الشام واليمـن ضد صلاح الدين الأيوبـي، والتقى الجميع مع الشيعة؟

وفي اليمـن ظهـر في هذه الفـترة بين يهودهم مدعـي النبوة مزج بين الإســلام واليهوديـة، يـدل على ذلك مـا أشار إليـه ابن ميمـون في رسالته المذكورة، وأنه نحا باللائمة على هذا المدعي، وحذر اليهود من اتباعه.

كمـا ذكر بـأن عيسى المسيح ابـن مريم سبق أن ادعـى أنه نبي، وعدل شريعـة التـوراة، فانتقـم الله منه، حيث سلـط عليه من قتله، ثـم يشبه ابن ميمون رسول الله محمدًا ﷺ أيضًا بمدعي نبوة، ووصفه بالمجنون في رسالته، وأنــه طالب ملك، وأن النبي دانيال في التوراة قد ذكر ظهوره، وأنه سيغير في الشريعـة، فقـد حذر اليهود من ذلـك؟ وأشار ابن ميمـون في رسالته إلى أن أبنــاء إسماعيل (العرب) هم دائمًـا وراء كل مصيبة تحل باليهود، وما ذلك إلا عقوبة من الله للخارجين من اليهود عن ملتهم وعن أقوال رؤسائهم[1].

---

(١) د. محمد الهواري: يهود اليمن، ص١٠٠- ١٠٨.

دراسة الدين اليهودي في اليمن

مع تمتع يهود اليمن بحرية العيش والتجارة والزراعة ولهم أماكنهم الخاصة، وقد سلموا في سائر الأوقات من أي اعتداء عليهم، عدا حالات استثنائية في تاريخهم، فقد وصفت حالهم بأنها أفضل من يهود أوروبا في العصور الوسطى.

فقد كان ليهود اليمن كنيسهم الخاص بهم في حيهم، حيث يتجه إليه الأطفال من الصباح وحتى المساء لمدارسة التوراة، ووصف كنيس كل حي بأنه يحتوي على ساحة فيها خزائن لأحذية المصلين، وفي الساحة غرفة مرتفعة مفروشة بالحصر للمصلين، وفي الغرفة أدراج تحتوي على صناديق فيها لفائف من حرير، تحوي التوراة مخطوطة مطوية على قضيب معدني، وصناديق أخرى تحتوي على بقية كتبهم وشروحهم، خاصة المشنا والجيمارا. وقد نقل عن شولوم الذي كتب عن يهود عدن أنهم يتجمعون فرقًا ليلًا يتدارسون الكتب المقدسة طوال الليل، وقد شاهد في كنيسهم الكتاب المقدس مكتوبًا على الرق. ويقرأ اليهود التوراة بشكل جماعي في الكنيس، وخاصة في أثناء وقت كل صلاة وبعدها في الصبح وفي الظهيرة والليل، وفي أيام السبت يسرع الأتقياء إلى الكنيس قبل الفجر لتلاوة المزامير، وعند الظهر يقرأ الجميع (الزوهار) و (الراشي) و(الشلخان).

وذكر أن حاخامات يهود اليمن والمدرسين في الكنيس كانوا يعملون لغيرهم في الحرف الزراعية، وقد وصف جاكوب سافير في رحلته إلى اليمن سنة ١٨٥٩م أحد رجال الدين، واسمه يوسف بن سعدية، بأنه على علم جيد بالتوراة حكيم، له اهتمام بالفلك وكتابة التعاويذ والرقى؟ يعطي وصفات أعشاب طبية، يلبس مثل الآخرين، ويعمل حدادًا في ورشة يملكها، ثم يذهب إلى الكنيس ويقوم بتدريس اليهود القادمين بالعربية. فأكثر التراث مترجم.

يهتـم اليهـودي اليمنــي بكتب الديـن، ويحرص علـى اقتنائها في بيته خاصة مـن تعلم منهم القراءة، فكانوا ينسخـون المخطوطات أو يستأجرون من ينسخ لهم، خاصة الأسفار الخمسة والزوهار؛ لأنه يستخدم في الصلاة.

يحرص اليهودي اليمني على تنشئة ابنه نشأة يهودية، حتى إنه يرفض أن يذوق ابنه الصغير حليب الأجنبية، ويقوم بختانه، وفي سنته الثانية يؤخذ إلـى الكنيسـ، وفي السنة الثالثـة يحلق شعر رأسه، فيحتفـظ به طيلة عمره رمـزًا ليهوديته، ويعلم الطفل آيـات الشكر على المائـدة، وفي السنة الرابعة يلحـق بالمدرسة كمستمـع، أو يؤخذ إلى الكنيس للدراسـة، حيث يقضي فيه معظم ساعات النهار.

وفي العصـور المتأخرة من حيـاة يهود اليمن عمدوا إلـى بناء مدرسة لأولادهـم بجوار كل كنيسـ وتسمى (خيدر)، وهي مأوى لكل من لا مأوى له. وقـد يكون الخيدر مجـرد غرفة للتدريس، حيـث يأتي الأطفـال صباحًا ثم يرجعـون ظهرًا للغـداء، ثم يرجعون للدراسة حتى المسـاء، فإذا ناهز البلوغ التحق بالعمل وربما كان مع أبيه، ويظل مترددًا على الكنيس لا يقطع دراسته بالكلية، ولا تذهب الفتيـات إلى الدراسة، بل تقوم أمهاتهن بتدريسهن أمور دينهـن في البيت، ولم يكن للمرأة اليهودية اليمنيـة حظ في العلم كما يبدو، فقـد طبق المثل الشائـع عندهم: (ليس من الصواب تعليـم التوراة للفتاة). وربما كانوا يعدونها ليست مكلفة بأداء الطقوس الدينية[1].



(١) لمزيد من التفصيل انظر: يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية. ص١٥٠- ١٥٧. إصدار جمعية ناطوري كارتا، ترجمة بلقيس الحضراني، مجلة ودراسات يمنية، العدد ١٧ سنة ١٩٨٤م، صنعاء.

الفصل الرابع

يهود العراق

يهود العراق القديم

إن أكثر يهود العراق يرجعون في أصولهم كما يعتقدون إلى أجدادهم العبرانيين، الذين عبروا الفرات إلى أرض كنعان، وأقاموا دولة يهودا والسامرة، إلى أن جاءهم نبوخذ نصر من العراق غازيًا، فهدم (أورشليم)، وجاء باليهود من فلسطين سبايا إلى أرض بابل، فاشتغلوا بالزراعة والحرف المختلفة، وكونوا مجموعات دينية في كثير من قرى ومدن العراق القديم، وكتبوا فيها تراثهم الديني، (خاصة التلمود البابلي) في القرن الثالث قبل الميلاد، فكان اليهود يدعون على بابل بالخراب لما أصابهم من مهانة الذل والأسر والشتات. وقد تنبؤوا بسقوط بابل يومًا، كما ورد في نبوءة أشعيا، وقد فرح اليهود بسقوط بابل واحتلال العراق من قبل الملك كورش ملك الفرس سنة ٥٣٨ ق.م[١].

وقد أمر الملك الفارسي كورش بإعادة بناء أورشليم لليهود، حيث ادعى أن الرب قد أمره بذلك، فتبعه من لا عمل له ولا تجارة من اليهود إلى أورشليم. ونعم اليهود في العراق بعيش كريم في ظل الحكم الفارسي لأسباب كثيرة، من أهمها مساعدتهم للفرس في غزو وإسقاط بابل، وكما ذكر أيضًا أن عطف كورش على اليهود يرجع أيضًا إلى التشابه بين ما ورد في عقيدة زرادشت واليهودية من تعاليم[٢].

---

(١) يوسف غنيمة: المصدر السابق، ص٦٠- ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص٨٠.

ولما استولى الإسكندر الأكبر على بابل سنة ٣٣١ ق. م. عامل اليهود بقسوة إلا أنهم توددوا إليه فيما بعد، ودخلوا جيشه محاربين مع المقدونيين.

لكن النفوذ الروماني لم يدم على بابل والعراق، حيث جاء البرثيون الفرس من خراسان، وأسسوا من جديد الإمبراطورية الفارسية بتوسيع أكبر ونفوذ أقوى. وكان ذلك منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، فعاد لليهود نشاطهم في العراق وفارس عمومًا في ظل هذه الدولة، التي اعتبرتهم عيونًا لها ضد النفوذ الروماني.

ويذكر في القرن الأول للمسيح أن أمير بلدة (حزة) قرب أربيل قد دخل في دين اليهودية، وأن أمه هيلانة قد أرسلت مساعدة لليهود في أورشليم إبان القحط الذي أصابهم.

وتذكر الروايات أن يهود بلدة دعة على الفرات كانوا يرسلون مساعداتهم المادية إلى أورشليم، وكان بها مدرسة (سورا) الشهيرة، وكذلك اشتهرت مدرسة مونية بومبا ديا (جبة)، لكن العداء الطبيعي بين البابليين العراقيين واليهود كان مستمرًا، يظهر ويختفي في حال القوة والضعف من الطرفين، وتكون في هذه المدة عصابات يهودية هاجمت بابل والسريان، مما أغضب اليونان في (سلوفيه) (ويمباديا)، فقتلوا من اليهود أعدادًا كبيرة تشتتوا خلالها في المدن أفرادًا وجماعات صغيرة، وحينما استولى الرومان سنة ١١٥ بعد الميلاد على المدائن عاصمة الدولة الفارسية، قاموا بالتنكيل باليهود بوصفهم حلفاء لأعدائهم الفرس.

وفي سنة ١٣٣ بعد الميلاد ظهر بركوكوبا، وادعى بنو اليهود أنه المسيح المنتظر، وبعد انتشار المسيحية بادر يهود العراق إلى اعتناق المسيحية في ظل

الحكم الروماني خاصة، حماية لهم من بطش الرومان المتقدم، فكان أول معتنقي المسيحية هم من اليهود[1].

ولكن الساسانيين الفرس استعادوا نفوذهم على المدائن، واتخذوها عاصمة لهم، فاستعاد يهود العراق حريتهم المفقودة طوال المدة السابقة.

وكان اليهود في الدولة الساسانية يدفعون الضرائب والجزية للدولة، وكان رئيسهم رأس الجالوت مقربًا لدى البلاط الساساني في المدائن، فهو الذي يباشر منصب القضاء بين اليهود حسب شريعتهم.

كانت اليهودية معروفة لعرب الجاهلية خاصة في كل من يثرب واليمن، حيث تذكر الروايات أن يهود اليمن كانوا قد جاؤوا إلى اليمن من أورشليم بعد سقوط مملكة سليمان الحكيم، وقيل: إن أول انتشار اليهودية كان في عهد ملوك حمير، قيل: إن الملك ذا نواس كان أول من اعتنق اليهودية ونشرها في قبائل حمير ونمير وكنانة وبني الحارث بن كعب وكندة[2]، وكان من بين العرب اليهود شعراء عرف وشاع شعرهم بين العرب، منهم أوس ابن دني من بني قريظة. والربيع بن الحقيق وكعب بن الأشرف وأبو الأناد اليهودي، كما كان منهم صاحب القصر الأبلق الشاعر السموءل بن عاديا.

وعند فتح المسلمين للعراق دخل كثير من اليهود في الإسلام، وبقي بعضهم على يهوديته يدفع الجزية، واستعمل بعض عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهودًا كانوا يحسنون الكتابة، منهم عامله أبو موسى الأشعري والي عمر على البصرة، وقد كانت الحيرة في هذا الوقت موطنًا لكثير من

(١) المصدر السابق: ص٩٠ - ٩٤.

(٢) يوسف غنيمة: المصدر السابق ص١١٨.

يهود العراق ونصاراه. وقد ذكر الواقدي أنه في سنة ٢٠ هـ تم إجلاء يهود نجران إلى الكوفة، وقد عمل اليهود بالتجارة، وأصبح منهم أثرياء، يستلف منهم الخلفاء بعض المال إذا نقصهم[١].

في العصر العباسي في بغداد والكوفة والبصرة تمتع اليهود بحرية العقيدة والعمل والتجارة، حتى وصل بهم الحال إلى أن يتنافسوا فيما بينهم على منصب رأس جالوت، وقد اتفق أن عنان اليهودي الذي شاغب على رأس الجالوت سجن مع الإمام أبي حنيفة، حيث توسط له فيما بعد، وأنقذه من القتل[٢]

وقد مر يهود العراق بعده بأدوار من الحرية والضيق، وانقسموا على أنفسهم خاصة ما يسمون بالقرائين والربانيين، وهم جماعة الالتزام بالنص النوراني فقط، وعلى خلافهم جماعة الأخذ بالرأي والتأويل.

وفي عهد المأمون كان لهم نشاط علمي وديني، اشتركوا مع بقية الفرق في الترجمة التي كثرت في عهد المأمون.

وكان من أطباء العراق يهود خدموا الخلفاء والأمراء، منهم فرات بن شحنانا الذي خدم الحجاج بن يوسف. ومن المنجمين ما شاء الله اليهودي الذي خدم عند المنصور، ومن الشعراء أبو عبيدة اليهودي صاحب كتاب المثالب. ومن علماء النحو هارون بن موسى البصري اليهودي.

ومما تقدم يتضح تاريخيًّا أن اليهودية دين وعقيدة لها زمن حدوث معروف للباحثين، وأما الإسرائيليون منهم أحفاد إسرائيل (إسحاق) الذي

(١) المصدر السابق: ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٢٣.

يرجع نسبه إلى إبراهيم الخليل عابر الفرات من العراق إلى أرض كنعان (فلسطين)، فكان الكنعانيون وهم شعب سام يقطنون هذه البلاد من أمد طويل، رجع إليهم الغزاة الإسرائيليون الخارجون من مصر، فاحتلوا بلادهم إلى أمد، وهذه حقيقة تاريخية أشار إليها أكثر المؤرخين، منهم المؤرخ البريطاني توينبي، مما يفضح ادعاء اليهود بأن فلسطين هي أرض أجدادهم، فقد كانت السيادة للكنعانيين على مر قرون التاريخ ما عدا غفلة من الزمن.

إن وادي الرافدين كان قديمًا أول مهد للحضارات الإنسانية القديمة، وأول أرض عرفت الكتابة والتدوين، وهي أهم وسيلة تعرفنا من خلالها على السومريين والبابليين والأكديين، ومن الكتابة تلك علمنا أول الشرائع الوضعية وهي شريعة حمورابي أول قانون إنساني مدون، ويعد سجلًا للأعراف والعادات والأنظمة التي عن طريقها تم ضبط المجتمع القديم، أضيفت عليها عادات وأعراف وعقائد أمم شتى غزت العراق في العهد القديم، واستوطنت بعض أجزاء منه، فالتقت بذلك العقائد الفارسية القديمة والهندية والسنسكريتية، كل ذلك دفع الدارسين إلى القول: إن ما دونه يهود العراق في بابل وما حولها بخصوص شروحات التوراة وتأويل نصوصها، أو ما تعلق بتعاليم الربان وأقوالهم، كان ذلك تدوينًا شاملًا لما تركته تلك الأقوام القديمة في وادي الرافدين بدليل اختلاف التلمود البابلي عن التلمود الأورشليمي، وتشابه تأويلات وتفسيرات ربان اليهود العراقيين القدماء مع عادات وأعراف شعوب وادي الرافدين جنوبه وشماله.

كما يدل على ما ذكرنا قبور ومدافن من ذكر أنهم من أنبياء اليهود أو من رجال دينهم المؤثرين، منهم ما يذكر عند قبر عزرا أو العزير الموجود في ناحية العزير على دجلة، ويذكر اليهود أنه كان كاتبًا لشرائعهم ورائدًا لإرجاعهم من

أورشليم إلى أرض سومر واكد، هكذا يدعون بوصفهم أبناء إبراهيم الخليل، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذا القبر في مادة «ميسان».

ومن قبور اليهود القديمة قبر حزقبال أو ما يدعى بالنبي ذي الكفل، الموجود في ناحية الكفل قرب الفرات، وتذكر الإسرائيليات أن النبي ذا الكفل قتل من قبل بعض اليهود، ودفن في أرض أو في مغارات إبراهيم الخليل، وهي نفس المغارة التي دفن فيها سام جد إبراهيم، كما تدعي الأسطورة.

ذكره ياقوت في معجمه، وقال: إنه قرب الحلة، ومنها قبر يوشع في جانب الكرخ من بغداد، وبقربه قبر الشيخ معروف الكرخي، ويلقب عند اليهود بالكاهن العظيم.

ومنها أيضًا قبر الشيخ إسحاق الغاووني في الرصافة ببغداد قرب سوق حنون، ويقال: إن هذه المنطقة كانت حارة لليهود، وفيها كنيس باسم هذا الشيخ، ويذكر اليهود أن هذا الكنيس كان رهين صيرفي كان يعمل صيرفيا لدى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعد هذا الكاهن من شراح التوراة الذين توسعوا في شرحها، وهو من طائفةالغاوونيم، الذي كان منهم أساتذة في مدرسة بومبادينا وسورا مع كهان النصارى الآخرين.

ومنها فرار ناحوم الألقوشي. وقيل عنه: إنه كان قد تنبأ بزوال نينوى (الموصل) قديمًا عاصمة الآشوريين، ذكر مرقده السائح نيبور، وقال عليه كنيس يهودي قديم[1].

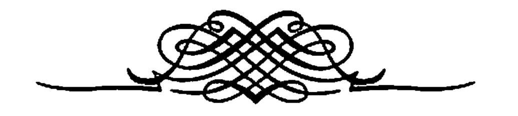
هذا، وللطائفة الموسوية اليهودية تاريخ طويل في العراق الحديث خاصة بعد تأسيس الدولة العراقية، وقد تبوأ اليهود الصدارة في التجارة والصيرفة

(١) يوسف غنيمة: المصدر السابق: ص٢٥٠ وما بعدها.

وسادوا بما لهم من علاقات مع شعوب الدول الأوروبية خاصة تلك الدول التي كانت تخطط، وتقود الحضارة الغربية، وليس من هدف هذا البحث تتبع آثار وعقائد اليهود في العصر الحديث[1].

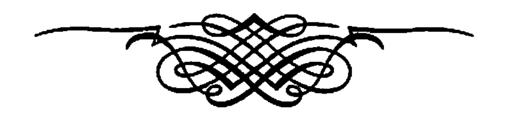


(١) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي. ص٢٢- ٢٥، بيروت ١٩٩٩م.



الباب الثاني

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة



الفصل الأول

تسرب الإسرائيليات إلى التفاسير ومرويات المسلمين

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن أسباب انتشار الإسرائيليات وقصص التوراة والتلمود، يعود إلى كون العرب أمة بداوة متعطشة لعلم أهل الكتاب، ولكونهم أمة أميّة لا تقرأ، فقد كانوا يكثرون سؤال أهل الكتاب، ومن قام أول بهذه العملية اليهود العرب، خاصة من قبيلة حمير كما يذكر؛ وذلك لانتشار اليهودية في حمير قديمًا في اليمن، كما ذكرنا، واستغرق بعض المفسرين للقرآن باستعارة المعلومات الواردة عن اليهود فيما يخص مثلًا أصحاب الكهف: عددهم، أسماؤهم، واسم كلبهم، ولونه؛ كذلك مثلًا عصا موسى من أي الشجر هي؛ وهكذا...

يمكن تتبع مرويات كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وأمثالهم من اليهود العرب الذين دخلوا الإسلام في أوائل القرن الأول الهجري، فنقل المفسرون لروايتهم التي استمعوها مما تعلموه من التوراة، وشروحها من تلمود وميشنا وجيمارا. فتقبلها كثيرًا من المسلمين بالقبول والتصديق، ثم اتسع هذا المنهج في العصور اللاحقة، فعم كثير من الفرق الإسلامية، وأخذت تنسب هذه الآراء في تلك الروايات ليست لليهود ومصادرهم، بل ينسبونها إلى أئمتهم وعلمائهم، وقد خصصنا هذا البحث لأثر تلك الأفكار اليهودية على الفكر الشيعي.

وبخلاف ذلك، فقد تأثر بعض اليهود ببعض قواعد الشريعة الإسلامية، وإنه - وإن كانت هذه الفكرة تخرج عن هذا البحث - لكن يحسن بنا الإشارة إليها؛ لإيضاح أن الفكر الإنساني دائمًا عرضة للتأثر بما حوله من مؤثرات.

أثر الإسلام على بعض اليهود

لوجـود اليهـود بـين المسلمين وحصـول أوقات مـن الانتعاش العلمي والحرية، فلم تسلم الديانة اليهودية المتأخرة من التأثر بالقواعد الإسلامية.

وقـد بحث الباحث اليهودي تغتالي منيدر، هـذا الموضوع، وخلص إلى أن: كتـب فقهاء اليهود في العصور الإسلاميـة تأثرت أولًا بالترتيب الفقهي، والتبويب الذي سلكه علماء الإسلام.

ولكـن أهـم الأمور التي سلط عليهـا الباحث الضوء هو مـا قام به ابن ميمـون وابنـه إبراهيم من إدخـال بعض العـادات والشعائـر الإسلامية في الوضوء، والصلاة، والطهارة مثلًا، فأصبح اليهود يقومون بها بوصفها جزءًا مـن الديانـة اليهوديـة، وهي لم تكن في الأصـل من دينهـم، أو أنها كانت قد نسيـت وتركت لسبـب أو آخر، ومن ذلـك غسل الجنابـة، والوضوء للصلاة خاصة غسل الرجلين، أو لسبب تمتع اليهود بالحرية في عبادتهم بين المسلمين في ذلـك الحين، ألغيت صلاة السـر، وأصبحت الصلاة جماعية، وفيها إمام للجماعـة، فقد نمـت هذه بجهـود موسى بن ميمـون، وأدخلـوا في صلاتهم السجود الذي لم يكن يمارس في اليهودية، وكذلك بسط اليدين في الدعاء[1].

وفي موضعه من البحث سنسلط الضوء على موسى بن ميمون اليهودي ورسالته إلى يهود اليمن لاتصالها بانتشار اليهودية، بين عرب اليمن، بحيث أصبحوا الجسر الذي عبرت منه التعاليم اليهودية إلى التشيع.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في المقالة التي كتبها الصديق د. هاشم الملاح: التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية. مجلة الجامعة، العدد ١١، سنة ١٩٧٣ ص ٣٧٠ وما بعدها. (جامعة الموصل بالعراق).

أثر اليهودية في عقائد الفرق الإسلامية عمومًا

مقدمة

لقد تأثرت الفرق الإسلامية بعقائد الأمم السابقة من مجوسية، ويهودية، ونصرانية بشكل عام، وبعض هذه التأثيرات كانت واضحة للدارسين، وبعضها الآخر أدخل خلسة في ثنايا الحجج والادعاءات بين الخصوم.

ولم تخلُ الفرق الإسلامية من التأثر بالديانة اليهودية، وفق مستويات مختلفة، ولما كان هذا البحث طويلًا يخرجنا عن البحث الأساسي هنا، نشير إلى مسألة خلق القرآن بوصفه أحد الأمثلة:

قيل: إن بدعة القول بخلق القرآن، التي جاء بها المعتزلة، وأصبحت عنوانًا لمذهبهم الفكري كان أصلها يهوديًّا، من فكرة خلق التوراة التي نادى بها قديمًا لبيد بن الأعصم اليهودي، وقيل: إن أول من صنف في خلق التوراة هو طالوت اليهودي، ختن لبيد بن الأعصم.

وأخذ القول هذا عن طالوت أبان بن سمعان، وأخذ عن أبان الجعد بن درهم، من أوائل شيوخ المعتزلة، وأخيرًا وصلت إلى القاضي ابن أبي دؤاد المعتزلي[1].

وقد رصد ابن خلدون أقوال بعض من أسلم من اليهود، فأدخلوا في تفسير القرآن الكريم ما هو عندهم من شروح وتفاسير للتوراة. (تساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المقولات)[2].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٢٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٦٧.

موضوع الإسرائيليات

تتمحـور موضوعـات الإسرائيليـات في كتـب تفسير القـرآن الكريم أو الحديث الشريف، حول ما ذكرته تلك المصادر مجملًا، ومقارنته مفصلًا بما ورد في التـوراة أو التلمـود من ميشنا، وجيمـارا، وشروحها، وقد تتجاوز ذلك عنـد الكذابين إلى إضافات وخزعبلات ومعجزات وخوارق لا يصدقها العقل، بل فيها من اختراع الخيال الإنساني الكثير، وأهم تلك الموضوعات تدور حول:

١ - خلق الكون: خلـق السماوات والأرض، مدة هذا الخلق، السنة، والشهر، واليوم، وما هي وظيفة السماء، ومم تتكون السماوات وما عددها.

٢ - خلق الإنسان: مادة خلق الإنسان، كيفية الخلق هذا؛ زمان ومدة هذا الخلق، أحـوال آدم وحواء، وكيف خلقت منه حـواء؛ الشيطان وكيف وسوس لهما ودفعهما إلى الأكل من الشجرة المحرمة؛ الصعوبات التي حلت بهما جراء هـذا العصيـان، دور الشيطان والحية في هذه الخطيئـة والغواية، تمحور الغواية حول المرأة وخطيئتها، ما هذه الشجرة المحرمة؛ وماذا أكلا منها، كما تذكر أسماء الأنبياء وأقوامهم وما حصل لهم في دعوتهم.

ليس من أهدافنا في هذا البحث الدخول في هذه الموضوعات، وسأترك الخوض فيها إلى العرض الذي سأعرضه حولها من مصـادر الشيعة؛ لأن ذلـك هو الجديد في البحث، أما مباحث تلك الموضوعات عند السنة فكثيرة هـي ومفصلة، تناولها العلماء قديمًـا وحديثًا، وعلماء المسلمين لم يروا بأسًا من رواية الصحيح من الإسرائيليات، وإنما كان عتبهم على نقل أكاذيب أهل الكتاب، على الأنبياء والافتئات على الله سبحانه في الخلق، وذكر الخرافات والخوارق.

الإسرائيليات في كتب التفسير

كتب التفسير أصناف من حيث موقفها من الإسرائيليات، فمنها:

١ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدها. أي سلسلة رواتها، وتترك للقارئ حرية الحكم على السند والمتن، ومن أمثلتها: (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن جرير الطبري.

٢ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدها ثم تعقب عليها بالنقد والتمحيص، سواء برفضها بسبب السند أو المتن أو قبولها، فمثلًا لاتفاقها مع ماجاء في القرآن الكريم وهكذا، ومن أمثلة ذلك: (تفسير القرآن العظيم) للحافظ ابن كثير.

٣ - تفاسير تذكر الإسرائيليات دون سند ولا تعقب عليها، بنقد ولا تمحيص، ومن أمثلتها، تفسير مقاتل بن سليمان، الذي حوى الكثير من الخرافات والخوارق الخارجة عن حكم العقل، وقد يذكر سند بعضها، ويكون السند مطعونًا به ولكنه لا يبين ذلك، بل يسكت عن ذلك، ومثله كذلك تفسير الثعلبي، وتفسير الخازن[1].

٤ - تفاسير تذكر الإسرائيليات، ولكن تنتقدها وتكذب غير الصحيح منها، وتنبه القارئ إلى ما فيها من خرافات وخزعبلات، وتحذر من تصديقها، ومن أمثلتها: تفسير روح المعاني لأبي الثناء محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ومن هذه التفاسير أيضًا تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، الذي ينتقد رواة الإسرائيليات بشكل عام، وفي رأي الذهبي أنه كان عليه أن يتبين ويدقق في الراوي، ومدى الوثوق به، حيث

(١) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص١٨٠-٢٢٠.

أنكـر الذهبـي على رشيـد رضا هجومـه على كعب الأحبـار، ووهب بن منبه، ولم يمحص مروياتهم الصحيح منها والسقيم، وأن الناس ربما كذبوا عليهم، ونسبوا لهم إسرائيليات لم يذكروها، فصاحب المنار عند الذهبي يطعن حتى في بعض الصحابة الذين نقلوا بعض الإسرائيليات كأبي هريرة[1].

*****

(1) محمد حسين الذهبي: المصدر السابق، ص ٢١٩، وقد أحالنا الذهبي إلى تفسير المنار، جـ١. ص٨.

تفاسير الشيعة والإسرائيليات

تفاسير الشيعة كثيرة، سنعرض نماذج للتفاسير التي تعكس أفكار الشيعة الغلاة، ثم نذكر نموذجًا لتفاسير المعتدلين، ولا نريد أن نستغرق في هذا الأمر هنا؛ لأننا سنذكرهم بالتفصيل حينما نستعرض مسألة تحريف القرآن الكريم، وموقف تفاسير الشيعة منها، كما أننا سنستعرض موضوع الإسرائيليات عند الشيعة، حينما نتناول بالتفسير تأثير الفكر اليهودي على آراء وأفكار الشيعة، فتحيل القارئ لهذه المواضع خشية التكرار، ولكن يستحسن أن نذكر هنا في عجالة جملة من تفاسير الشيعة الاثني عشرية والتعريف بها، إجمالًا، فمنها ما نهجت منهج الغلاة وتأثرت بمروياتهم، ومنها ما هو معتدل نسبيًا، مع احتفاظه بأركان وأسس الاعتقاد عند الإمامية.

١ - التفسير المنسوب للحسن العسكري من إملاء ابن سيار وابن زياد، يتناول تفسير الفاتحة وأغلب سورة البقرة، وهو يرشح بالغلو لآل البيت، وفيه من المعجزات والخرافات ما لا يصدقه العقل، وأكثر تركيزه على عقيدة الإمامة بأنها بالنص لعلي، وأن الإيمان بها هو أساس الاعتقاد، ومن دونها تفسد جميع الأعمال مهما كانت خيرة.

تذكر رواية عن الإمام الباقر، أن اليهود في المدينة كادوا للنبي ﷺ ولعلي، منهم مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف، وحيي بن الأخطب، وأبو ياسر بن الأخطب، وأبو لبانة بن عبد المنذر، وقالوا للنبي ﷺ: (لا نؤمن بك حتى ينطق هذا البساط الذي تحتنا، وهذا السوط بيدنا، وهذا الحمار الذي أمامنا! فرد النبي ﷺ: (ألا يكفيكم ما نطقت به التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم بنبوتي، وذكر وصية أخي علي بن أبي طالب، فأنطق الله

الثلاثة بذلك، ومع ذلك لم يؤمن هؤلاء، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦)[1].

يتبين للباحث هنا أن رواة الشيعة قد استخدموا أسماء يهود المدينة والكتب المنزلة لغرض أساسي هو ولاية الإمام علي، وتعضيدها بالتأويل الباطني بالقرآن والكتب المقدسة، فقد كان هذا في متناول اليد، وقريب من أفكار أولئك الرواة.

وإنصافًا للحق فإن كثيرًا من علماء الشيعة من رفض نسبة هذا التفسير إلى الإمام العسكري، وتجاهل النقل منه كثير من مفسري الشيعة.

٢ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧ هـ)، ومن شيوخ الكليني صاحب الكافي؛ لذا فهو مكثر من النقل والرواية عنه، وأكثر علماء الشيعة الإمامية على توثيق القمي مع ما أورده في تفسيره من تحريف للقرآن الكريم، وأكثر التحريف الوارد عنده متعلق بإمامة علي ابن أبي طالب، حيث يضيف الاسم إلى الآيات، من أمثلة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ (يا علي) فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: ٦٥)، وهكذا يقحم اسم الإمام علي رضي الله عنه، ويستبدل مكانه ربما المعنى في الآية عيسى ابن مريم.

ويؤول الآيات الواردة عن فرعون وهامان بأن المعني بهما: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما.

إن القمي ورواته مثلهم مثل الرواة الآخرين المتأثرين بالأفكار اليهودية الواردة في التوراة وشروحها، ففكرة الرجعة يدلل عليها القمي بآيات قرآنية

(١) محمد بن الحسن العسكري: تفسير القرآن، ص ٣٤.

كثيرة في تفسيره منها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: ٨٥)، وفسر القمي قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ (النحل: ٢٢) أي لا يؤمنون بالرجعة[١]، وسنتناول الرجعة عند اليهود وعند الشيعة، مقارنة في مصادر أخرى غير تفسير القمي.

والأثر اليهودي على تفسير القمي، وما ينقل من إسرائيليات، حورها رواة الشيعة، ووضعت بفم الأئمة مثل تأويله الآية: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان: ٤) إلى فكرة التفويض إلى إمام الزمان إلى ما كتبه الله للخلائق، ومنها أن الأئمة يعلمون الغيب بدليل الآيه: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٦ - ٢٧)، وأشرك القمي الإمام علي بعلم الغيب مع الرسول ﷺ بدليل هذه الآية[٢].

كما فسر القمي بعض الآيات أنها دالة على ظهور الإمام القائم مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج: ٣٩)، وظهور المنقذ آخر الزمان، أوردتها التوراة كما سنرى تفصيلاً[٣].

وذهب القمي بالتأويل الباطني إلى معانٍ بعيدة، ولكنها تخدم غرض الشيعة عمومًا، فعند تفسيره لقوله تعالى الموجه صراحة لبني إسرائيل: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ (الإسراء: ٤)، إنما يعني بها أمة محمد ﷺ؛ لأن الإمام الصادق في زعمه قال: (إن القرآن نزل بإياك أعني، واسمعي يا جارة)، فالمعنى ليس بني إسرائيل[٤].

---

(١) علي بن إبراهيم القمي: التفسير جـ١، ص٣٨٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي ١٩٩١م.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٩٠، وص١٤ - ٢٠.

(٣) المصدر السابق: جـ٢، ص٨٤ - ٨٥.

(٤) القمي: تفسير، جـ١، ص١٤ - ١٦.

والقمـــي مثل علمــاء بني إسرائيل، الذين خصـــوا اليهود وحدهم بمغفرة الله، وخاصـــة لعصاتهم، قال في تفسير الآيـــة: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه:١٠٨)، أن النبـــي يشفـــع لعصـــاة الشيعـــة، فكلهـــم يدخل الجنـــة[١]، والآيـــة: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ (غافر:٢)، أنهـــا خاصـــة بشيعة علي رضي الله عنه. وهذا هو النهج الذي صار عليه شراح التوراة والتلمود من علماء اليهود.

من هو مؤلف تفسير القمي[٢]؟

هـــو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي مـــن علماء القرن الثالث الهجري، ينســـب لمدينة قـــم في إيران، التي قصدهـــا المسلمون عند فتـــح فارس، وسكنها الأشعريون، وكثير من كندة، وكان فيها كثير من الأشاعثة، وكانت موطنًا لبعض الغـــلاة مـــن الشيعة، لدرجة أن أهلهـــا طردوهم منها في ذلـــك الوقت، لقد كان الأشعـــث بن قيس من أوائـــل ولاة هذه المنطقة قبل ولاة الإمام علي رضي الله عنه، حينما تولـــى الخلافـــة، ويبدو أن القبائـــل اليمانية ضاربـــة السكنى السكـــن فيها منذ تمصيرها، روى الكليني عن القمي كثيرًا في كتابه الكافي.

والـــد علي إبراهيـــم كان كوفيًا، وانتقل إلى قـــم في أوخر القرن الثاني الهجـــري، ويبـــدو أنه من نقلة حديـــث الشيعـــة الكوفيين إلى قـــم، ولعلي بن إبراهيـــم ابن اسمه أحمد، نقل عنه الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي الكثير من أحاديث الشيعة، ولعلـــي بن إبراهيم مؤلفات كثيرة غير هذا التفسير في موضوعـــات شتى، ومن هـــذه الكتب: كتاب الشرائع، فضائـــل أمير المؤمنين، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء.

---

(١) القمي: تفسير، جـ٢، ص٦٤.

(٢) انظر مقدمة ناشر الكتاب ص ٣-١١، (مؤسسة الأعلمي).

وهـذا التفسـير عبارة عن روايـات أكثرها عن الإمـام الصادق أسند القمي الرواية عن أبيه إبراهيم في كثير من الأحاديث.

والرواية عن الصادق تنتهـي إلى زياد بن يحيى الأزدي، أما الروايات عن الإمام الباقر فتنتهي إلى أبي الجارود.

يعـد هـذا التفسير عند كثـير من الشيعـة الإمامية مـن الأصول التي قعدت المذهب.

وتفسـير القمي يرويه تلميذه أبـو الفضل العباس بن محمد بن حمزة، ويقـول الناشـر: إنه هو الذي أدخـل روايات الإمام الباقـر التي أملاها على أبـي الجارود في أثناء هذا التفسير، كما أضاف بعض الروايات المناسبة عن بعض مشايخه، كما يقول الناشر.

وهـذا يعنـي أن التلميذ قد أدخـل نصوصًا جديدة علـى نص شيخه، ويبـدو أن هـذا التلميذ هو الـذي كتب مقدمـة الكتاب، التـي تناولت أصول التفسـير وقواعـده وليته التزم بها. وذلك بعد أن بـين مكانة القرآن وما فيه مـن عبر وحـلال وحرام، وما نقله في هذا المعنى مـن كلام الإمام علي رضي الله عنه المنسـوب إليه، وقـال: إن القرآن خاطب الأئمـة بقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا (القرآن) لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ (أنتم يا معشر الأئمة) شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨).

ثـم ذكـر أن القرآن منه ناسـخ ومنسوخ و ... ومنه علـى غير ما أنزل الله ... ومنـه آيات بعضها في سورة وتمامهـا في سورة أخرى. ومنه... ومنه تأويلـه قبـل تنزيله، ومنـه... ومنه رخصـة ظاهرها خـلاف باطنها، يعمل

بظاهرها، ولا يدان باطنها، ومنه ... ومنه مخاطبة لقوم وهو لقوم آخرين، ومنه... ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة، ومنه... ومنه مخاطبة الله ﷺ لأمير المؤمنين والأئمة، وما ذكره الله في فضائلهم، ومنه خروج القائم وأخبار الرجعة... ثم قال: وأما ما كان هو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فقال الصادق لقارئ هذه الآية: (خير أئمة) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين، يريد بذلك، كيف يكونون خير أمة وقد قتلوا أولئك الأئمة! وقال: أما ما هو محرف منه فهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (في علي) وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧). قوله ... وأورد جملة من آيات ادعى أنها محرفة.

وذكر أن ما تقدم تأويله على تنزيله، فآية الظهار وآية اللعان معروفة، ثم ذكر أن القرآن فيه ردود على جميع أصحاب المقالات والفرق، وبسط تفصيل ذلك، لكنه لم يذكر أي رد على مقولات الشيعة المعروفة، وإن تعددت فرقها، مع أنه ذكر الرد من القرآن على المعتزلة[1].

ثم يأتي نص تفسير القمي بادئًا ببسم الله ثم أحاديث يرويها في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا...

ويبدو أن القمي قد كتب تفسيره قبل استقرار الآراء الفقهية للشيعة الإمامية؛ لأنه يورد الكثير من الآراء على خلاف ما عليه أو ما استقر في مذهب الاثني عشرية، مثل تفسيره للآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، قال: أي متى شئتم، وأن العامة (السنة) قد ذهبوا

(١) انظر مقدمة الكتاب ص١٢ – ٣٩.

في تفسيرها حيث شئتم في القبل أو الدبر، وهكذا يدل من القمي، إما على قلة علمه، أو أنه تعمد إلصاق التهمة هذه بالسنة[1].

والقمي يروي عن رجال مطعون فيهم من أصحاب علم رجال الشيعة، أمثال أبو الخطاب، (انظر الرواية عنه في جـ ١. ص ١٠٥).

وذكر القمي لتحريف القرآن الكريم كان في مواضع كثيرة خاصة تلك التي تصدق مع عقيدة الشيعة، فمثلاً عندهم أن الأئمة الاثني عشر هم المفضلون عن العالمين عند الله، وحينما يأتي إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٣)، يقول: إن ذلك: في وقتهم فقط؛ لأنه قد حصل تحريف وأورد النص الآتي: (قال العالم عليه السلام ننزل وآل عمران وآل محمد على العالمين فأسقطوا آل محمد من الكتاب)[2].

*****

(١) انظر مقدمة الكتاب. ص١٢- ٣٩.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٠٨.

بعض الإسرائيليات في تفسير القمي

خلق الإنسان

في تفسيره للآية: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤). ينسب الرأي للصادق: أن الله أمر الملائكة بعد خلق آدم بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس، حسد آدم على هذه المكرمة. وكان الله قد خلق في الأرض خلقًا غير آدم، فأفسدوا فيها، فبعث الله الملائكة فقتلوهم، وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء. وقال المؤلف في رواية أخرى: إن الملائكة تعجبوا، واعترضوا كيف يجعل الله في الأرض خليفة من جنس يفسد في الأرض، بينما هم لا يفسدون، أي إنهم يصلحون أن يكونوا خلفاء بدل خلق آدم. فرد الرب إني أعلم ما لا تعلمون. فأبعدهم الله من العرش، ولكن نزلت عليهم رحمة الله، ووضع لهم البيت المعمور، ليطوفوا فيه، فهو توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، وقال المؤلف: إن الله بعد أن تاب الملائكة من اعتراضهم، عزم على خلق آدم، فأخذ غرفة من الماء العذب، فخلق منه الأنبياء والأئمة الصالحين و ... ثم أخذ غرفة من الماء المالح، فخلق منه الجبارين وإخوان الشياطين، قال: وشرطه في ذلك البداء، ولم يشترط في أصحاب اليمين.

ثم نسب المؤلف القول للإمام أبي جعفر أنه وجد في كتاب الإمام علي ، أن إبليس تحاور مع الرب في طلب غواية بني آدم، وأن يجري بهم مجرى الدم إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ذلك.

وأورد روايــة أخــرى أن آدم اعترض على ما أعطــى إبليس من تمكين، وســأل آدم الــرب مــاذا تعطيني؟ فأجابــه الــرب: الحسنة بعشــر أمثالها، وسيئتكم بمثلها، والتوبة لك ولولدك حتى تبلغ الحلقوم.

ثــم أورد روايــات أخرى يعكس فيهــا أن إبليس هو الــذي وسوس لآدم وحــواء أن يــأكلا من الشجرة المحرمــة، طلبًا للخلد والملــك، فلما أكلا منها سخــط الله عليهما، وســأل جبريــل آدم: لم عصيت الله؟ فقــال: إن إبليس أقسم بالله ولم أعلم أنه يكذب علي.

كمــا أورد الكاتب روايــة أن موسى سأل أن يجمعه بــآدم، فتم له ذلك فسألــه: لم عصيت ربك؟ فرد موسى عليه، (بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التــوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنــة، قبل أن خلق الله آدم قال هو ذلك، قال الإمام الصادق: حج آدم موسى عليه السلام.)[1].

وأورد المؤلف رواية كيف أن آدم حينما جاءه الغم بعد طرده من الجنة، وشــكا ذلك إلــى جبريل، طلب جبريل من آدم أن يقــوم بمناسك الحج لمكة، ويتوب ويدعو، فعرض له إبليس عند العقبة، فأمر جبريل آدم أن يرمي إبليس بعشر حصيات[2].

وفي تفســير الآية المتعلقة بطلب موسى لبني إسرائيل أن يذبحوا بقرة. قــال المؤلف: إنــه كان في بني إسرائيل ولد صالح خطــب امرأة، فحسده ابن عمــه وقتله غيلة، فجــيء بالقتيل لموسى وهم لا يعرفــون قاتله. وكان في بني إسرائيل أيضًا؛ ولد صالح لديه سلعة يريد بيعها، وقد حضر المشترون، ولكن

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩.

مفتاح البيت تحت وسادة أبيه النائم، فكره إيقاظه وفات عليه البيع والربح، فلما استيقظ الأب سأل ابنه: هل بعت سلعتك؟ فأخبره أنه كره أيضًا إيقاظه لأخذ المفتاح من تحت وسادته، فأهدى الأب للولد بقرة عنده، ولأجل معرفة موسى للقاتل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة، بذات صفات تلك البقرة، فاشتروها بذهب كثير من ذلك الابن الصالح، وطلب موسى بعد ذبحها، أن يضرب بذيلها القتيل، فلما فعلوا ذلك تكلم الميت، وقال: قتلني ابن عمي فلان[1].

وفي معرض جملة من الآيات قال: إنها نزلت في اليهود منها: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، عن عذابهم بالنار، قال: أين الأيام التي عبدوا فيها العجل. كما أورد الآيات التي توصم اليهود بتحريف التوراة وهم يعلمون، وذلك لهوى في أنفسهم.

ويضع المؤلف الرواية أن عطاء بمكة، فسأل الإمام أبا جعفر عن الملكين هاروت وماروت، الواردين في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، فقال: إن الملائكة كانوا ينزلون إلى الأرض، فوجدوا فيها العصيان والكفر والقتل، فضج أهل السماء بما فعل أهل الأرض، فتعجبوا ألا يبغض ذلك الرب سبحانه، فأوحى الله لملكين أن يهبطا إلى الأرض، بعد أن جعل فيهما طبع الشره للطعام والشرك بالله، والزنا، وكل ما جعله من طبع لبني آدم، فهبطا ناحية بابل، فوجدا امرأة وقعت في قلوبهما فراودوها فأبت، إلا أن يسجدا لصنمها، ثم أن يشربا الخمر، ففعلا فدخل عليهم رجل، فطلبت منهم المرأة

(١) المصدر السابق: جـ١، ص ٦٠.

قتله كي لا يضجعها، فقتلاه ثم هربت المرأة، ولم يتمكنا منها، فقال لهم رب العـزة: كيف تشركان بـي وتشربان الخمر، وتقتلان الرجـل، وتنويان الزنا، وكنتمـا تعترضان على فسـاد أهل الأرض، فاختارا عـذاب الدنيا، أو عذاب الآخـرة، فاختارا عذاب الدنيا، فكانا يعلمان السحر ببابل؛ ليفرقا بين المرء وزوجه، ولم يزالا في العذاب معلقين في الهواء إلى يوم القيامة[1].

وفي تفسـيره لقولـه تعالى حاكيًا عـن بعض بني إسرائيـل الذين قالوا لنبيهـم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (البقـرة: ٢٤٦)، نبيهـم، المقصود بقوله إنه إرميا والملك المتسلط عليهم هو جالوت من القبط.

فبعـث الله لهم طالوت ملكًا، وكان قويًّا ولكنـه فقير، فاعترضوا كيف يكـون له الملك، ولم يؤتَ سعة من المال، ولكن الله نبههم أن آية ملكه عليهم، أن يأتيهـم تابوت موسى فيه سكينة لهـم في الحرب، وهو كما يقول: التابوت الـذي وضعت أم موسى صبيها فيه، وبقي عند موسى يضع فيه الألواح، التي أوحى الله له فيها من تعاليم لبني إسرائيل، وقال: إن هذا التابوت أهمله بنو إسرائيـل بعد موسـى حتى غدا لعبة للصبيان، فرفعـه الله إليه ثم أنزله في وقت طالوت.

وأورد المؤلف تفاصيل عن الحرب بين طالوت وجالوت، ولباس أصحاب طالـوت درع موسى، وكيف ابتلاهم الله بنهر، وهم في فلاة عطشى، فأمروا ألا يشربـوا، وقـال: إن الذين شربوا من النهر ستون ألـف رجل، وهؤلاء هم الذين قالوا: لا طاقة لنـا اليوم بجالوت، ثم يورد تفاصيل القتال بالحجارة، وكيف قتل داود جالوت، وانتصروا[2].

---

(١) المصدر السابق: جـ١، ص٦٦ – ٦٨.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص٨٨ – ٩١.

وفي تفسيره لآية الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). يرفع الرواية عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي رضي الله عنه، أن الكرسي أوسع من السماوات والأرض، وأن كل ما فيهما هو في جوف الكرسي، وأن الكرسي يحمله أربعة من الملائكة، أحدهم على هيئة الآدميين، وهو أكرمهم عند الله، والثاني في صورة ثور، وهو سيد البهائم، والثالث في صورة النسر، والرابع في صورة الأسد، وكل يطلب الله الرزق لبني قومه. ويضيف - والكلام منسوب للإمام علي رضي الله عنه - أن الثور كان أحسن الصور، ولذا عبدته بنو إسرائيل، فخفض الثور رأسه استحياء من الله[1].

ويجاري القمي حقد بني إسرائيل على نبوخذ نصر، وذلك عند تفسيره للآية: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، في تفاصيل طويلة، مفادها أن نبي الله إرميا أمره الله أن يعذب بني إسرائيل الذين عنده، بسبب فسقهم، فقال: إن فيهم الطفل والضعيف، فكيف أفعل ذلك؟ فمر على امرأة بغي تطعم ولدًا مرميًا في مزبلة خبزًا منقوعًا بحليب الخنزير، فكان ذلك الغلام؛ هو نبوخذ نصر، الذي سلط على بني إسرائيل وهدم هيكلهم، وفيما بعد أخبر دانيال نبوخذ نصر أنه سيقتله رجل من فارس، وهذا كما تقول رواية القمي: ما حصل حيث قتل نبوخذ نصر وجميع من حوله، فخرج دانيال بين القتلى الكثيرين، وتعجب كيف يحيي الله هذه الأرض بعد تلك المذبحة، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، وأراه الله كيف يحيي عظامه وعظام حماره[2].

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٩٠ - ٩٢.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص٩٧ - ٩٨.

ويعرض القمي محاورة بين الإمام أبي جعفر، وأحد رجال الدين من أهل الكتاب، يكرر فيها سيادة علم أبي جعفر وشهادة الحبر النصراني على علمه، وأنه من الأمة المرحومة[1].

٣ - تفسير العياشي

هو محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) الكوفي السمرقندي، روى عنه الكشي صاحب الرجال، وعند أكثر رجال الشيعة أن العياشي ثقة صدوق، عده النوري من جملة القائلين بتحريف القرآن مثل القمي[2]، وقد ذكر العياشي في تفسيره قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ (البقرة: ٩٠)، [3] والعياشي على رأي، أن القرآن زيد فيه، وأنقص منه، وينسب ذلك رواية للإمام الصادق، ولو تتبعنا مواضع تحريف القرآن عند العياشي، لطال بنا البحث، وخرج عن هدفه.

وقد شابه العياشي شراح التوراة، حينما قام بتأويل كثير من الآيات، للطعن في الصحابة ﷺ، وخص أبا بكر وعمر ﷺ[4].

كما ذهب في تفسير بعض الآيات لمعانٍ فيها غلو بالأئمة كنسبة معرفة الغيب لهم ومعجزاتهم المكررة في كتب الشيعة[5].

---

(١) المصدر السابق: جـ١، ص١٠٧.

(٢) حسين النوري: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ص٢٦.

(٣) العياشي: تفسير، جـ١، ص٢٣٢.

(٤) العياشي: تفسير، جـ١، ص٧٢ - ٧٣، وص٢٥٥ - ٢٥٧.

(٥) العياشي: تفسير، جـ١، ص١٢، وص٦٢، وص٣٣٠، وج٢ ص١٤٢.

وسنتناول المقارنة بين ما ورد في اليهودية من أفكار نقلها رواة الشيعة، متأثرين بالإسرائيليات وشروح علماء اليهود.

٤ - تفسير التبيان

لمحمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) والطوسي هو تلميذ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، وقد شرح كتاب الفقه للمفيد المسمى (المقنعة)، وسماه كتاب تهذيب الأحكام، وذلك عن طريق جمع روايات الأحاديث الدالة على أبواب الفقه، والطوسي هو مؤلف كتاب الاستبصار، وهذان الكتابان يعدان من الكتب الأربعة (إضافة للكافي ومن لا يحضره الفقه)، وله مؤلفات كثيرة، ولذا سموه بشيخ الطائفة.

وعمومًا فإن تفسيره التبيان، يعد من التفاسير المعتدلة، يخلو من الادعاء بالزيادة والنقصان، فلم يتابع شيخه المفيد، حتى إن بعض علماء الشيعة عد تفسير التبيان من مؤلفات الطوسي التي جامل وداهن فيها العامة، وقد صرح الطوسي في تفسيره: أنه لا يحيد عن معاني اللغة العربية[1]، ولم يجنح أو يساير المتأولين، ولم يدعِ بأن للآيات معاني ظاهرة وباطنة، كما هو الحال في التفاسير الثلاثة السابقة، التي ألفها شيعة القرن الثالث الهجري التي يتضح فيها الغلو كما عرضنا، وربما يعود سبب اعتدال الطوسي في تفسيره هذا لكونه كان شافعيًّا حينما كان في طوس (الشهد)، ولما انتقل إلى الكوفة وبغداد والنجف انقلب شيعيًّا، فتأثر الحكم البويهي للعراق وإيران في هذه المدة، وحين احتلال السلاجقة العراق هرب الطوسي من بغداد إلى النجف، وقد انتهبت كتبه أو أحرقت كما قيل.

---

(١) الطوسي: التبيان، مقدمة الكتاب في الجزء الأول ص١٥-١٧.

ولا شك أن الطوسي قد تعرف إلى تفاسير علماء الشيعة قبله، التي يقول فيها مؤلفوها بالهوى والتشهي، يقول الطوسي: (ينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعي أسباب نزول الآية، على ما روي، ولا يعول على الآراء والشهوات)[1]، ولا يفهم من هذا أن الطوسي يتخلى عن أركان عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشر، خاصة تلك المتعلقة بالإمامة، يذكر الطوسي أن سبب نزول الآية: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: ٥٧)، أي يصدون عن ولاية علي رضي الله عنه، كما يراها الطوسي[2].

٥- كنز العرفان في فقه القرآن

للمقداد بن عبدالله السيوري الحلي (من علماء القرن التاسع الهجري)، وهذا التفسير خصه كاتبه بالأحكام الفقهية فقط، وفيه انتصار لأفكار الشيعة الاثني عشرية في كيفية الوضوء (مسح الرجلين)، ومسألة الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلقة واحدة، وهو مبدأ معروف ومشهور في الفقه الجعفري. وفي ذلك أيضًا الحكم بنجاسة أهل الكتاب، نجاسة عينية لا حكمية؛ لأنهم مشركون، وكل مشرك يعد كافرًا، ويدخل في ذلك كل من أنكر الإمامة إذا بلغته وجوبها عليه بالنص، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

وفي الصلاة على النبي ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، الصلاة واجبة في أثناء الصلاة المكتوبة على الرسول ﷺ، وعلى الأئمة، أما في غيرها فمستحب.

---

(١) المصدر السابق: جـ٩، ص٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: جـ٩، ص٢٠٩.

وهـذه من الزيـادات التي زادها الشيعـة الاثنا عشريـة على الصلاة المكتوبـة وجـوب الصلاة علـى الأئمة المعروفـين عندهم، وهـو لم يقله بقية المسلمين، ويعلل الكاتب ذلك لأنهم معصومون مثل الرسول ﷺ[1].

٦- تفسير شبر

وهـو للسيد عبدالله شـبر (ت ١٢٤٢ هـ). وهذا التفسير وإن لم يساير أقـوال الشيعـة في تحريف القـرآن الكريم صراحـة، إلا أنـه ينتصر لمبادئ الاثنـي عشرية في التقيـة والرجعة والإمامة والعصمـة... إلخ، ففي تفسيره للآيـة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، أي ولتكن منكم أئمة وهم الاثنا عشـر، كما يساير شبر التفاسير التي تطعـن في الصحابة، وخاصة الخلفاء الراشدين، والسيدة عائشة ﷺ، فالآية المتعلقة بليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القدر: ٤)، تنـزل الملائكـة على النبي، والأوصيـاء بعده. والآية القائلـة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: ١)، أي بعـذاب واقـع بالمنافقـين، الذين أنكروا يوم الغدير ولاية علي ﷺ[2].

٧- تفسير الصافي

وهـو لمحمد بن المرتضى المدعو بمحسـن، انتهى من تأليفه سنة ١٠٧٥هـ، جمع فيه مؤلفه أقوال الغلاة من الشيعة، وخاصة ما تعلق منها بتحريف القرآن الكريم، ثم رجع في ذلك لكتب التفاسير قبله، وكتب الحديث أيضًا، وفي تفسيره

---

(١) كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد بن عبد الله الحلي. ص٨ – ٢٢، ص٧٠ – ٨٠.

(٢) تفسير شبر: السيد عبدالله شبر، ص٩٦ – ٩٧، ص١٤٥ وما بعدها، ص٢٣٨، ص٢٠٤، ص٥٣١، ص٥٦٢.

هجوم على صحابة الرسول ﷺ، ويرميهم بالنفاق، ويدعي أن مصادره في التفسير ترجع إلى الأئمة الاثني عشر.

وذكر أن المنافقين أسقطوا الكثير من القرآن، وقدر في بعض الأماكن سقوط ثلثه، وقد رد على بعض علماء الشيعة القائلين بتمام القرآن وعدم تحريفه، أمثال الشيخ الطوسي والصدوق والطبريسي، وينقل آراء من سبقه من المفسرين الشيعة[1]، خاصة تفسير القمي، وما ورد فيه من القول بتحريف القرآن الكريم.

٨- البرهان في تفسير القرآن

وهو لهاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، يرى البحراني أن القرآن الكريم لم يجمعه أحد كما أنزل إلا الأئمة، وفي هذا التفسير آراء للغلاة من مفسري الشيعة، وقد نهج منهج المتأولين الباطنيين، فقد ذكر رواية عن الإمام الصادق بأن القرآن قد نزل بـ (إياك أعني واسمعي يا جارة)، وهذا سبيل من سلك من الشيعة بالهجوم على الصحابة ﷺ أجمعين، وركز المؤلف كثيرًا في تأويل الآيات الصالحة للاحتجاج، لإمامة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفضيله بل والمغالات فيه، والقول: إن الظالمين قد اغتصبوا حقه.

وتفسيره الباطني بعيد إلى درجة مثلًا يفسر آية: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤)، أي أنتم يا معشر أمة محمد ﷺ. وأما تفسير: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، فهم الشكاك في دين الشيعة. ويقوم بتحريف الآيات مثلًا، فيقول: (كتاب علي لا ريب فيه)، زاعمًا الآية هكذا أنزلت[2].

(١) تفسير الصافي: محمد بن المرتضى، جـ١، ص١٨ - ٢٠، وص٣٠، جـ٤، ص١٣٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني، ص١٥ - ٢١، وص ٣٤-٣٧، ص٤٧ - ٥٢.

٩- تفسير (الميزان في تفسير القرآن)

وهو لمحمد حسين الطبطبائي، وهو من التفاسير الحديثة، وهو أقرب للاعتدال منه إلى الغلو، مع أنه يورد بعض الروايات التي كان أصحابها يستدلون بها على التحريف، ولكنه يوردها على سبيل البيان والتفسير، أي إنها ليست من نص القرآن، بل هي تأويل له وإيضاح، ولما كانت الولاية ركن عند الاثني عشرية من أركان الدين، لا يصح دين المسلم إلا بها، فإن الكاتب يستغرق في تأويل الآيات التي سبقه مفسرو الشيعة في تأويلها، على أنها دالة على ولاية الإمام علي رضي الله عنه، فعنده مثلًا طاعة الله والرسول واجبة، أما أولو الأمر فهم الأئمة الاثنا عشر، فهم أولو الأمر المعصومون في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩).

وصاحب الميزان يورد الروايات الإسرائيلية، ولكنه كغيره من علماء الإمامية ينسبها إلى الأئمة خاصة الإمام الصادق، وهذا هو شأن تفسير القمي، ويستخدم الرواية هو ورواته الذين ينقل عنهم في الاحتجاج لولاية وعصمة الأئمة، ففي موضوع أكل آدم من الشجرة المحرمة، ومحاولة آدم الحصول على الخلد، قال: إن الله قال لآدم ارفع رأسك. فنظر آدم إلى الساق فوجد مكتوبًا عليه اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة وبقية الأئمة!

وهكذا فإن الروايات الإسرائيلية التي نجدها مثلًا في تفسير الطبري وابن كثير نجدها هنا محورة كثيرًا، منسوبة للأئمة، ويدخلون فيها معاني وأقوالًا لم يسبقهم أحد إليها، وذلك لمجرد الانتصار لرأي المذهب في الإمامة.

والروايات الإسرائيلية مثلًا عند الطبري وغيره حينما يتحدثون عن تأويل الآية: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧)، فإن صاحب

الميـزان كغيره ممن سبقه من الاثني عشرية يقـول: إن الكلمات التي تلقاها آدم بالتوبـة بعـد أن سأل بحـق محمد وعلي والحسـن والحسين، فشفع الله لآدم بهم، وغفر له خطيئته[1].

١٠- التفسير الكاشف

وهو لمحمد جواد مغنية، وهو تفسير حديث ابتعد فيه صاحبه عن الغلو المعهـود في تفاسـير الشيعة، وقد التزم فيـه الأخذ غالبًـا بالمعنى الظاهري الذي تقتضيه قواعد اللغة العربية، وعمد إلى تفسير القرآن بالقرآن، كمنهج إذا أمكن ذلك، وألا يرجع إلى الأحاديث الثابتة عنده عن الأئمة، مع ابتعاده عن روايات الغلاة والأساطير غير المعقولة، التي لا يتحملها الزمن الحديث، وقد مرت على علماء الشيعة السابقين، على شكل روايات عن الأئمة من رواة كذبـة، مع الأسف يكذبون على الأئمة، وينقلون عن التراث التوراتي، كما هو مبين في هذا البحث.

والاعتدال واضـح في منهج المؤلف، فهو حينمـا يتعرض لتفسير الآية: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ (البقرة: ١١٣)، قال: هذه أمم تكفر بعضهم بعضًا، فما بال المسلمين اليوم يكفر المسلم أخاه المسلم، وهو يتلو كتاب الله سبحانه، وذكـر وجوب التأسـي بالإمام علي بـن الحسين زين العابديـن، حينما دعا للمهاجرين والأنصـار بالرحمة، وكأن الكاتب يرد على من يقول من الشيعة بكفر وردة أكثر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

---

(١) تفسير الميزان: للطبطبائي ج١، ص٩ - ١٢، ص١٤٤ وما بعدها.

ولكون موضوع الإمامة والولاية ركن في الدين عند الاثني عشرية، فإن الكاتب لا يخرج عن هذا المفهوم العام حينما يتعرض للآيات المتعلقة بأولي الأمر، أما تلك التي تشير في رأيه إلى الإمامة، ويبدو أنه يعتقد بما أورده من حديث منسوب للإمام علي رضي الله عنه عن القرآن الكريم: (ذاك القرآن الصامت وأنه القرآن الناطق). وهو يعتقد بعصمة آل البيت وإمامتهم كما هو في المذهب[1].

من هم رواة الإسرائيليات

يبدو أن نقلة الإسرائيليات من رواة القرن الأول الهجري، كانوا قلة؛ لعدم الانشغال كثيرًا في تفسير القرآن الكريم والكتابة فيه، بخلاف الحديث الذي اتسع نقله وكتابته في أواخر القرن الأول وما بعده، ونقلة الإسرائيليات من الصحابة قلة، وهم بلا شك عدول صادقون، وما نقلوه يعد غاية علمهم ومعرفتهم، أما من التابعين فكانوا في العدد أكثر؛ لاتساع النقل ودخول الناس في الإسلام وتوالي الفتوح، وهذا أمر طبيعي، وسنلقي الضوء سريعًا على حملة الإسرائيليات عمومًا، ولكن البحث سيركز على بعض رجال الشيعة الذين نقلوا الإسرائيليات، وتأثروا بها في رواياتهم ومدوناتهم.

ثم عمومًا أثرت اليهودية على التشيع وليس الإسرائيليات وحدها، فهي فرع صغير من الأثر اليهودي على بعض المسلمين.

إن نقلة الإسرائيليات منهم الثقات الذين ينقلوه ما قرؤوه صحيحًا، وقد يكون عندهم رأي ثاقب في رد هذه الإسرائيليات وتكذيبها، أو ربما

(١) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، جـ١، ص١٦ - ٣٥، ص١٨٠، ص١٩٦ - ٢٠٠.

السكـوت عنها؛ لعدم قدرتهم على الحكم عليها، وقد يكون الرواة أولئك من الكذبـة الذين يسخرون الإسرائيليات لمقاصدهـم الفكرية، لإقناع الآخرين وتبنـي وجهـة النظـر اليهودية، ومـن هنا تأتي الخطـورة على ثقافـة الأمة وعلومهـا، حيث يتزيد بعض الرواة، فيزيدون من عندهـم أفكارًا على تلك الإسرائيليـات، معززيـن وجهـة نظرها، وهـذا ما حصل عنـد بعض الفرق الإسلامية، وخاصة عند بعض فرق الشيعة، حيث سنأتي على تفصيلها.

*****

من الصحابة

١ - عبدالله بن عباس (ت ٥٨هـ)

كانت سن ابن عباس حين وفاة الرسول ﷺ بين العاشرة والثالثة عشرة، على اختلاف الروايات، وكان ذكيًا من بيت النبوة لا يرد سائلًا، اشتهر بالعلم والجرأة في الفتيا، ولهذا تعرض إلى نقل الإسرائيليات عن علم بمصادرها، ولكن يبدو أن المنسوب لابن عباس من الإسرائيليات كثير ربما لم يقله، وإنما تقوله عليه بعض الرواة، والكتّاب في العصر العباسي؛ تقربًا لسلطان بني العباس؛ لأنه جدهم.

تذكر الروايات أن مصدر ابن عباس، كان أبو رافع القبطي، مولى رسول الله ﷺ، وقيل مولى للعباس بن عبدالمطلب،، أسلم أبو رافع قبل غزوة بدر، ولم يشهدها.

روى عنه ولده رافع وتوفي بالمدينة، ولا يبعد أن يكون علم ابن عباس بالإسرائيليات، من أبي رافع ذي الأصل النصراني، ومن بعض الصحابة خاصة أبا هريرة رضي الله عنه، المشهور في نقل الإسرائيليات، فقد نسب إليه الكثير[1].

ذكر الشيخ محمد أبو شهبة عن مرويات ابن عباس أن فيها الصحيح والحسن والضعيف، بل الموضوع شيء كثير[2]. ونشير إلى أن الضعف أو الكذب لم يأتِ من طرف ابن عباس رضي الله عنه فهو ثقة، ولكن العلة منصبة على من نقل

(١) ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، جـ٤، ص٩٢، وجـ٧، ص٦٥.

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص٩٠، القاهرة ١٩٨٤.

مـن ابن عباس من جهة، أو من روى تلك الإسرائيليات من مصادرها الأصلية، وهـو يعلم بفسادها، وكذب أصحابها، وأنها مجـرد خرافات، وشأن ابن عباس هذا شأن كثير من الصحابة والتابعين الذين نقلوا أو رووا تلك الإسرائيليات.

٢ - عبدالله بن عمرو بن العاص

هو من صغار الصحابة سنًّا أسلم قبل أبيه، قيل: إنه كان يقرأ التوراة، وذكـر أنـه كان يعرف اللغـة السريانية، اشترك في معركـة اليرموك، وغنم حمل بعيرين مـن كتب أهل الكتاب، حيث استهواه ما فيها من علوم وأخبار، وهذا مصدر واضح لنقله للإسرائيليات[1].

٣ - عبدالله بن سلام

أصـل اسمـه الحصين بن سـلام بن الحـارث اليهـودي الإسرائيلي، ويكنى بأبي يوسف، سماه رسول الله ﷺ عبدالله بن سلام وبه اشتهر، وكان حـبرًا لليهود في المدينة قبل إسلامه، فهو ضليع بعلم التوراة والإسرائيليات، وقـد حسن إسلامه، وقيـل: إن الآية الكريمة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (الأحقاف: ١٠)، نزلـت فيـه، إن عبدالله بن سلام لم ينسـب له رواية عـن النبي ﷺ، ذكر فيها إسرائيليات، وإنما روي عنه هو مباشرة قصص وأحداث وردت في التوراة، وهذه إن كانت إسرائيليات، لكن ابـن سلام صحيح فيما نقل ثقة، ولكن ابن سلام لم يدعُ إلى بدعة وردت في الإسرائيليـات، أو أنـه تبنى رأيـا يهوديًا مخالفًا لما عليه القـرآن والمسلمين، وهذا شأن الصحابة جميعًا.

---

(١) ابن حجر: الإصابة، جـ٤، ص١١٤.

٤ - أبو هريرة: هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي[1]

قدم على الرسول ﷺ من اليمن، وأسلم عام خيبر، عن ثمانٍ وعشرين سنة، وصحب رسول الله ﷺ وكان فقيرًا معدمًا، أكثر الحديث عن الرسول ﷺ، فرد عمر وعثمان وعائشة بعض مروياته، وقيل: إنه كان يروي عن الصحابة في كثير من الحالات، وليس عن الرسول ﷺ مباشرة. ذكر أنه كان يصرع في المسجد من شدة الجوع، وذكر أن أبا هريرة لا يكتب، وأنه كان يروي الكثير؛ لأنه كان يسأل عن الكثير، يسأل الرسول ﷺ، ويسأل من عنده علم من الصحابة ﷺ، ولا شك أنه كان صادقًا عدلًا، ولكنه كأي بشر يعتريه ما يعتري أي إنسان من ضعف ومرض وشيبة ونسيان، وكان أبو هريرة يسأل كعب الأحبار الذي قدم من اليمن بحصيلة كبيرة من العلم بالإسرائيليات، ومن كثرة ما تعلمه أبو هريرة من أخبار التوراة، فقد شهد له كعب الأحبار، حسبما تنقل بعض الروايات، أنه برغم عدم قراءته للتوراة فهو عالم بما فيها، حسبما نقل الذهبي في تذكرة الحفاظ. توفي أبو هريرة عن ثمان وسبعين سنة، وهذا العمر المديد يفسر كل رواياته.

*****

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ. ابن سعد: الطبقات، جـ٢، ص٢٦٤

رواة الإسرائيليات من التابعين

١ - كعب الأحبار

هــو كعب بن ماتع الحميري اليمني، قــدم المدينة من اليمن في خلافة أبي بكر، وقيل: بل عمر ﷺ، وفيها أسلم وكان يهوديًا، ولهذا ينسب بالأحبار، وقــد والى العباس بــن عبد المطلب، اتصلت صحبته بأبــي هريرة الذي أخذ عنه كثيرًا من الإسرائيليات، وأخبار التوراة كما قدمنا.

ثــم أيضًــا هو صاحــب لابن عباس هــو الآخر مهتم بعلــم كعب ورواية الإسرائيليــات كما قدمنا، وقد قيــل: إن كعبًا أسرف في رواية الإسرائيليات، ووجــد حوله أنــاســ متعطشون للعلم لا سابقة لهم، في علــوم أهل الكتاب[1]، قيــل: إنه إضافة لختمه لقراءة القرآن فإنه كان يختم قراءة التوراة، في ستة أيام ويدعو من يسمعه في يوم ختمها، حيث يدعي نزول الرحمة، وربما نسب لــه آراء غــير معقولة، مثل ســؤال معاوية له: أنت الذي قلــت: إن ذا القرنين يربط خيله بالثريا؟ فرد عليه بالآية: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤)، ولم يقــل: إن ذلك وجده عند أهل الكتــاب[2]، وقد شهد كعب الأحبار بغزارة العلــم الصحابي أبي الــدرداء فقال: (إن عند ابن الحمــيري لعلمًا كثيرًا)، بينما تذكر بعض الروايات أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هدده بالنفي إلى أرض القردة.

٢ - ابن أبي فروة الأزدي

مختلــف في اسمه، قيل: هو أبــو الجلد الجوني (حي من الأزد)، وقيل: اسمه جيلان بن فروة، كما ورد في بعض المصادر: أبو الخلد غيلان بن فروة،

---

(١) ابن سعد الطبقات، جـ٧، ص٤٤٥، وما بعدها.

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٤٤ - ١٤٥.

ذكــر أنه قرأ كتب اليهود والنصارى، وقد طعن بعض رجال الحديث بروايته عن رسول الله ﷺ، وقيل: إن ابن عباس كان يسأل عن بعض الأمور[1]، وربما تعدى السؤال إلى الإسرائيليات، ما زال عالمًا بالتوراة والزبور كما ذكر، وذكر المستشــرق جولد زيهر أن ابن عباس كان يســأل أبو فروة عن الإسرائيليات، وأن ابنــة أبــي فروة ذكــرت أن أباها هو الــذي يختم القــرآن في سبعة أيام، وبالتوراة في ستة؛ طلبًا للرحمة[2].

٣ - عامر بن عبدالله بن عبدالقيس العنبري

تذكــر المصادر علمه بالتــوراة وعلوم أهل الكتاب وشغفــه في روايتها، ونقــل عنه أنه يتشبه بإبراهيــم الخليل، فلا يأكل اللحم ولا السمن، وهو أمر قــد ورد في شروح التوراة، ويعد كعب الأحبار من شيوخه، وقد شهد له مالك ابن دينار، أنه راهب هذه الأمة مع معرفتهم لا رهبانية في الإسلام[3].

٤ - وهب بن منبه الصنعاني (٣٤ هـ - ١١٤هـ)

قيل: إن أصل أبيه فارسي من هراة، أرسل إلى اليمن في جيش كسرى، وعلــى كل حال يبــدو أن علم وهب بن منبه بالإسرائيليــات واليهودية عمومًا كان في اليمــن لإشاعة علوم اليهود فيها، كما ذكرنا، ونقل عنه أنه يذكر عن نفسه أنه جمع علم عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، ذكر له كتاب في القدر، وربما بث من خلاله كثيرًا من الإسرائيليات.

---

(١) ابن حجر: الإصابة، جـ٤، ص١٨٢.

(٢) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص١٠٧، ص١٠١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، جـ٧، ص١٠٤ وص١١٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ٢، ص١٠٢

ويذكر أنه أسرف في رواية الإسرائيليات، وهي مبثوثة في كتب التفسير والحديث والمغازي والملاحم التي نقلت عنه، وكما هو معلوم فإن الذين شغلوا بالقول بالقدر كانوا متأثرين بما عند اليهودية من أقوال حول الموضوع، وقيل: إنه رجع عن القول بالقدر، ووثقه بعض المحدثين[1].

٥ - مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)

رواياته أكثرها مبثوثة في تفسير القرآن الكريم؛ ولذا سمي بالمفسر، أشار ابن خلكان إلى أن أكثر المحدثين لا يوثقونه، وأنه كان يفسر القرآن الكريم بما جاء عن اليهود والنصارى صراحة، قال عنه أبو حاتم: إنه يأخذ من اليهود والنصارى، ونسب له بعض الأقوال في تشبيه الخالق على ما عند اليهود، قال عنه الذهبي: إنه متروك الحديث، ونقل عن الشافعي أنه يوثق تفسيره، توفي مقاتل سنة ١٥٠ هـ في البصرة[2].

٦ - محمد بن إسحاق بن يسار

أسرف ابن إسحاق في رواية الإسرائيليات، خاصة المتعلقة بخلق السماوات والأرض وتواريخ الأنبياء وأخبارهم، مفسرًا بذلك ما ورد مجملًا عن ذلك في القرآن الكريم، قال الذهبي: إنه كان يحدث عن أهل الكتاب، اتهمه بعض المحدثين بالتدليس، وأنه كان يحدث عن يهودي اسمه يعقوب، ويبدو أنه متأثر بما عند اليهود من تشبيه للخالق تعالى الله عن ذلك، نقل عن الإمام مالك أنه كان يعد ابن إسحاق كذابًا، ويبدو أن لمالك رأيًا في نفي ابن إسحاق وطرده من المدينة، وقد اتهم ابن إسحاق بأنه يتشيع وينسب له

(١) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٤٨.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٢٥٦، الذهبي: الميزان، جـ٤، ص١٧٥.

القـول بالقدر، وأنه يدلس في الحديث، ولكن قبل كثير من الرجال روايته في المغازي والسير، ولكنه ليس حجة في الحلال والحرام[1].

ذكر أن ابن إسحاق يروي عن أبي الزناد، وهو متهم عند الإمام مالك، وهو الـذي يروي عنه: (أن الله خلـق آدم على صورته) وهذا نص قـد ورد في التوراة وشروحهـا عند اليهود، ويظهر لنا في كثير من المصادر السنية القديمة والشيعية خاصة عند من يسمون بالمشبهة أو المجسمة الذين سنذكرهم في هذا البحث.

٧ - ابن جريج: وهو عبدالملك بن عبدالعزيز (٧٠ هـ - ١٥٠هـ)

قيـل: إنه من أصل رومـي، وهي إشارة إلى نصرانيـة أصله، وهو عند المحدثـين مدلس، أي يسقط الراوي عـن الرسول ﷺ، لا يذكره، وإنما يذكر من بعده ممن لم يروا الرسول ﷺ ولم يسمعوا منه، ضعفه الإمام أحمد، كان يـروي حلّيّـة المتعة، وقيل: إنه تزوج كثيرًا من النسـاء متعة، وإنه كان يحتقن طلبًـا للمتعة، وقـد سكن ابن جريج البصرة، وأكـثر الطبري في تفسيره من نقل الإسرائيليات عن ابن جريج[2].

٨ - الواقدي: هو محمد بن عمر المدني

صاحب تصانيف كثيرة في التاريخ والمغازي والفتوح وأخبار الردة، تذكر بعض مصـادر الشيعة بأنه سيـئ الحفظ حتى في القـرآن الكريم، كما توثق رواياتـه، ومنها، أن عليًا رضي الله عنه، معجزة من معجزات الرسول محمد ﷺ، كما العصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى، وتعده هذه المصادر من أوائل الشيعة.

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١، ص٢٢٦.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ١، ص١٧٢.

أما رجال السنة فلم يوثقوه: قال عنه أبو حاتم: إنه كان يروي معضلات (لا تصدق)، وقال الذهبي: مجمع على تركه، وقال عنه المديني: إنه من الوضاعين للحديث، وقال عنه البخاري: متروك الحديث، وإنه مدني سكن بغداد، وعند أحمد أنه كذاب، وعند أكثر المحدثين أنه متروك الحديث، ونقلوا عن الشافعي، أن كتب الواقدي كلها كذب[1].

٩ - لوط بن يحيى الأزدي الغامدي أبو مخنف

ذكره النجاشي[2] في رجاله وقال: إنه صنف كذبًا كثيرًا في المغازي وهو في الكوفة، وتعد بعض المصادر الشيعية أن أبا مخنف الغامدي من جملة رجال الشيعة[3]، وتذكر المصادر أن أباه كان من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، وقيل: إن جده مخنف كان صحابيًّا شهد الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو حامل راية الأزد حيث توفي فيها سنة ٣٦ هـ، هذا وقد توفي أبو مخنف لوط سنة ١٥٧هـ، وقد نقل عنه الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل في التاريخ.

لكن علماء الرجال السنة لم يوثقوا أبا مخنف: قال عنه ابن حجر: إخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال عنه الدارقطني: ضعيف، وقال عنه ابن عدي: شيعي محترق، وذكره العقيلي في الضعفاء من الرواة[4].

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ٩، ص٣٦٣، وما بعدها.

(٢) النجاشي: رجال، ص٢٢٤.

(٣) محسن الأمين: أعيان الشيعة، جـ١، ص١٢٧.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ٢، ص٣٦٠.

١٠ - ابن السائب الكلبي

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشير الكلبي. تذكر مصادر الشيعة أن أباه محمدًا كان من أصحاب الإمام الباقر، كتب ابن السائب في المقاتل بين المسلمين، كما كتب في المثالب، كما يعد أكثر مصادر الشيعة ابن الكلبي، وأباه من أصحاب الأئمة الباقر والصادق[١].

ذكر أنه كوفي عالم بالأنساب، قيل: إن جده كان مع علي في الجمل وصفين، كما ذكر أن السائب قتل في جيش مصعب بن الزبير، وقيل: إن أباه محمدًا شهد موقعة الجماجم مع ابن الأشعث ضد الجيش الأموي، وهو كوفي يؤمن بالرجعة، كان الإمام الصادق يقربه إليه، وذكر أنه أصابته عكة، نسي العلم بعدها، فشكا ذلك للصادق فسقاه كأسًا أعادت إليه ذاكرته كما يدعي[٢].

أما مصادر السنة فتقول عن الأب محمد: إنه من كذابي الكوفة، مثله مثل السدي، قال عنه البخاري: تركه يحيى بن معين وابن مهدي، ذكر أنه قال عن نفسه: أنا سبئي، وروي عنه حديث منكر، يتعلق بالوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي أثناء ذلك قام من مقامه، فجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه يوحى إليه، ورجال الحديث مجمعون على ترك حديث محمد ابن السائب، ورواياته مبثوثة في التفاسير، خاصة الإسرائيليات، توفي الأب محمد بالكوفة سنة ٤٦ هـ، ولكنه عند الجميع (السنة) متروك الحديث، وعند بعضهم أنه كذاب، وابنه هشام ينقل عنه ولهذا لم يوثق هشام، ويعده الإمام أحمد صاحب سمر ونسب، أما حديثه فمتروك، غير ثقة، يحدث عن أبيه الذي ينسب لابن عباس تفسيرًا لم يصح، وإنما هو من الإسرائيليات[٣].

---

(١) الطوسي: رجال، ص٢٨٩.

(٢) النجاشي: رجال، ص٣٠٥.

(٣) ابن حجر: التهذيب، جـ، ص١٧٨، وما بعدها.

وهناك أسماء يهود دخلوا الإسلام، ثم ارتدوا، ولم يتم تسليط الضوء عليهم من قبل المؤرخين، لكشف أدوارهم في ترويج الإسرائيليات، ودس القصص الخرافية والمقاصد المضمرة، في تمزيق الأمة وتكوين الفرق ذات المقالات المنكرة، فمن ذكر هؤلاء عبدالله بن صوريا الأعور القطيوني، أنه أسلم، ثم ارتد إلى يهوديته[1].

وقد أكمل القُصَّاص دور المروجين للإسرائيليات، حيث ذكر أن بعض القصاص كانوا يجلسون في المسجد، يسمعون الناس بعض القصص والسير في تاريخ السابقين، وعن هذا الطريق تدخل الإسرائيليات في قصصهم، خاصة إذا تعرضوا لقصص الأنبياء، وهي كثيرة في القرآن والتوراة وشروحه، ذكر ممن جلس في المسجد في المدينة القاضي تميم بن أوس الداري في عهد عثمان رضي الله عنه، وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهاه عن ذلك، وقيل في رواية: إنه قد استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فأذن له، وقد أدى القُصَّاص دور سياسيًا بين أصحاب علي ومعاوية رضي الله عنهما، كل يأتي بما يؤيد موقف صاحبه من الناحية السياسية.

وقد اشترك في هذه الحلبة، وكانوا فرسانها من سمي بمسلمة العرب، من يهود ونصارى عرب، دخلوا الإسلام وكانوا على علم سابق بعلوم التوراة، فكانوا عاملًا مساعدًا في نشر الإسرائيليات، والزيادة عليها من خيال القصاص، حيث تلقفها بعض الرواة على أساس أنها جزء من العلم، فكتبوها أو رووها للآخرين، وبمرور الوقت أصبح لها موضع في التراث في بيئة عربية متعطشة لمعرفة العلم، بعد استقرار من البداوة إلى الحضارة، كما يقول ابن خلدون.

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص١٧٦، محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص٢٤، ١٩٨٤.

الفصل الثاني

من آثار اليهودية على الفكر الشيعي المغالي

إن ابـن بابويه القمي (ت ٣٨١) فيما يبدو هو أو رواته على علم بما في التـوراة، فهو ينقل عـن بني إسرائيل أن من علامـات تقبل القربان عندهم أن تأكلـه النار[١]، كما يـورد روايات يبدو فيها متأثرًا بما عند اليهود في كون الذبيـح هو إسحاق وليس إسماعيـل، وأن إسحاق كان قد تمنى أن يكون حقًا هـو الذبيـح، فسماه الله ذبيحًـا لصدقه وصبره، وذكر ابن بابويـه أيضًا أن أنبيـاء بني إسرائيل كانوا يجأرون بالتلبية بالحج، وأن موسى فعل ذلك عند صفائح الروحاء، بل إن سليمان حج البيت في الجن والإنس[٢].

بـل حتى موعد السفر عند ابـن بابويه يستحب أن يكـون يوم السبت، فـإن لم يتمكـن فيـوم الثلاثاء؛ لأنه اليـوم الذي ألان فيـه الحديد لنبي الله داود[٣]، وعلـى هذا النسق يشير ابن بابويه في كتابـه واضعًا ما أمكنه العلم الذي ينقله عـن الأئمة، مسندًا لما كان عليه الحال في بني إسرائيل واليهود، حتى استحباب أخذ العصا عند السفر (إشارة لعصا موسى)، وأن إبراهيم وإسماعيل كانا قد روضا خيل العرب بعد أن كانت وحشية[٤].

ويبـدو أن الشيعـة أو بعضهـم كانوا يخالطـون اليهـود والنصارى في مجتمعهم، فقد أورد ابن بابويه في كتابه السالف جواز أن ترضع اليهودية أو النصرانية أو المجوسية الصبي[٥].

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٢٨٣.
(٢) المصدر السابق: ص٢٩٢ - ٢٩٣.
(٣) المصدر السابق: ص٢٠٧.
(٤) المصدر السابق: ص٢٢٨.
(٥) المصدر السابق: ص٥٩٤.

وقد استعار الشيعة ما ذكر عند اليهود بالتابوت الذي كانوا يحملونه معهم، وفيه تعاليم الألواح، يحملونه خاصة في الحروب، تبركًا وطلبًا للنصر، وقد استعار المختار الثقفي في ثورته بالكوفه على الأمويين كرسيًّا، ادعى أن الإمام عليًّا رضي الله عنه كان يخطب عليه، وأخذ جيشه يحمل الكرسي؛ كما كان اليهود يحملون التابوت، طلبًا للسكينة والنصر، وقد وردت أحاديث كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة تشبه السلاح الذي عند الإمام بالتابوت عند بني إسرائيل، وأنه علامة للملك والإمامة[1].

ومن الغريب عند الشيعة الإمامية قولهم: إن الإمام الغائب إذا ظهر فسيملأ الأرض عدلًا، ويحكم بشريعة سليمان وداود، لا يسأل البينة، وهذه استعارة صريحة وضعت من فم الإمام الصادق، ادعوا أنه قالها[2]، وفيها إعلاء شأن بني إسرائيل وشريعتهم، وأن القرآن شريعة العرب لا تصلح حينذاك.

وكأنما يود الشيعة لو أن الإمام عليًّا رضي الله عنه أخذ بشريعة موسى وعيسى صراحة: أورد الكليني حديثًا عن أبي بصير[3]، عن رسول الله ﷺ، أنه خاطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن فيك شبهًا من عيسى ابن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي، ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، لقلت فيك قولًا لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدمك يلتمسون بذلك البركة...»[4].

---

(١) انظر ثورة المختار في كتابنا جذور التشيع. وانظر الكليني الأصول، ص١٣٦.

(٢) الكليني: الأصول، ص٢٣٦.

(٣) الحديث مكذوب، وأبو بصير الشيعي ليس في عصر الرسول ﷺ.

(٤) الكليني، المصدر السابق، ص٦٩٩.

وينقل الطبرسي في كتابه الاحتجاج مناظرات بين رجال الشيعة وعلمائهم، وبين بعض رجال الدين من أهل الكتاب، تدل هذه المناظرات على اطلاع رجال الدين الشيعة على تعاليم اليهودية والنصرانية، وبعض هذه الاحتجاجات وضعت في فم الأئمة لإعطائها وزنًا أكبر، ومن تلك المجادلات ما تقبله الطبرسي من احتجاج الإمام الرضا على الجاثليق، في أمور قد أقرتها نصوص التوراة في صالح الرسول ﷺ أو تعاليم الإسلام عمومًا، أريد بها الانتصار خاصة لدعاوي الشيعة بخصوص الإمامة، والبداء، ومعجزات الأئمة من إحياء الموتى و...[1].

وينقل علي بن إبراهيم القمي في كتابه (تفسير القمي) تأويله للآيات القرآنية، الواردة في سورة البقرة الخاصة بنبوة موسى عليه السلام، وتنزيل الألواح في طور سيناء، وعبادة بني إسرائيل العجل، ينقل تفصيلًا وشرحًا من أفكار اليهود الواردة في شرح التوراة المتعلقة بتلك الأحداث، أو إيراده القصة التي دارت في بني إسرائيل، عن طلب موسى منهم أن يذبحوا بقرة، وما مبررات أن تكون بقرة بعينها، موصوفة بتلك الصفات الواردة في القرآن[2].

وفي تفسير القمي هذا تفاصيل وخرافات عن سوء منبت نبوخذ نصر، منذ كان طفلًا ترضعه أمه الزانية من حليب الخنزير كما يدعون، ولا شك أن كل ذلك من آثار كراهية اليهود لنبوخذ نصر الذي هدم أورشليم، ويذكر

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج، جـ٢، ص٤١٧ - ٤٢٤.

(٢) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، جـ١، ص٦٠، بيروت ١٩٩١م، وهو من علماء القرن الثالث الميلادي، كان أبوه كوفيًا، ورحل إلى قم بعد سنة ٣٣٩هـ تقريبًا، وعلي يروي عن أبيه إبراهيم، والكليني روى عن علي هذا، والظاهر أنه وأباه من ناقلي الغلو الذي دخل على التشيع في إيران.

تفاصيل عن أنبياء بني إسرائيل، إرميا، ودانيال، وعلاقة كل واحد بمأساة هدم أورشليم [1].

وهذه القصص والأساطير سبق أن سطرها علماء بني إسرائيل في شروحهم للتوراة والتلمود، خاصة التلمود البابلي، وهؤلاء الرجال يغرفون من ذلك الميراث عن علم أو عن جهل.

وتوضع هذه القصص والمجادلات للانتصار غالبًا للإمام الصادق، وإظهار خصمه النصراني أو اليهودي غير ذي علم، بينما المعلومة أساسها قد ورد في شروح التوراة مثل سؤال الصادق للنصراني عن رجلين من بني إسرائيل، حملتهما أمهما في رحم واحد، ووضعتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة، وفي قبر واحد؟ قال: هما عزير وعزيرة [2].

والعتب ليس على الشيعة وحدهم، فجميع الفرق الإسلامية غرفت من إناء واحد، ولكن كل فرقة تؤول النقل حسب مرادها، والشيعة دائمًا معروفون بالتأويل لصالح إمامة سيدنا علي رضي الله عنه وأولاده وعصمة الجميع، ومعرفتهم العلوم وخلقهم من طينة غير تلك التي خلق منها بقية البشر.

وفي تفسير القمي للآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ (البقرة: ١٦١)، نزلت في أعداء آل محمد ﷺ، ويقصد بهم مجموع الصحابة والسنة أو النواصب منهم، وأما قوله تعالى في ذلك: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران: ٩٢)، أي حتى تردوا على آل محمد كلهم من الخمس [3].

---

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص-٩٥ ٩٧.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٠٧.

(٣) القمي: تفسير، جـ١، ص١١٥.

وإذا كان علماء الشيعة القدماء أمثال القمي عاشوا في عصر الجهالة، بالنسبة إلى عصرنا الحاضر، فما بال بعض العلماء الشيعة ينشرون، وينقلون في خطبهم ومقالاتهم ويرددون تلك القصص والخرافات نفسها والاحتجاجات غير المقبولة؟

يستغرق علماء اليهود قديمًا في شرح ما ورد في باب التكوين من التوراة، فيضيفون على النص تفاصيل من اجتهاداتهم، فيفصلون أن الله في كل يوم من أيام الأسبوع خلق كذا من خلقه أو كونه، ففي يوم الأحد للخلق، والإثنين والسبت عطلة، وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي للقرآن حينما يفسر الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٧)، ذكر القمي أن الله خلق الهواء، ثم القلم ثم الظلمة والنور، ثم الماء والعرش و... ثم بدأ يفصل خلق الأشياء حسب أيام الأسبوع، فذكر خلق السماوات والأرض والملائكة يوم الخميس، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين، والشجر والأنهار يوم الثلاثاء، وخلق الجان يوم السبت، وخلق الطير يوم الأربعاء، وخلق آدم في ست ساعات من يوم الجمعة[1]، وعند ابن بابويه أن يوم السبت عطلة (راحة الخالق)[2] كما في التوراة.

ولم يبالِ رواة الشيعة ومصنفوهم؛ حينما ينقلون تلك التفاصيل عن أصحاب العلم الأول، كما سماهم الإخباريون العرب، لم يبالوا حتى في تلمس نقل الصيغة اللغوية، التي تلفظ بها نبي الله نوح مثلًا حينما اشتد الطوفان، وتاهت السفينة، قال القمي: (فرفع نوح يده، فقال: يارهمان اخفرس وتفسير

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٢٣.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٨٠.

أحسن)، ويستغرق في تفصيل قصة الطوفان، واضعًا تلك التفاصيل قولًا في فم الأئمة[1]، وعلى هذا المنوال يسير القمي في تفسير سورة يوسف، وما فيها من تفاصيل وجدوها في شروح التوراة المتراكمة على مر السنين[2]، ومفسرو الفرق الأخرى يفعلون الشيء نفسه، ولكن الفرق أن الشيعة يضعون هذه التفاصيل على شكل أحاديث ينسبونها إلى الأئمة، في حين ينسب الآخرون غالبًا تلك التفاصيل والنقول إلى رواة من العرب اليهود أو النصارى الذين أسلموا، أو ينقلون مباشرة من شروح التوراة، ويعترفون أنهم وجدوها هكذا عند أصحاب العلم الأول (أهل الكتاب)، إن أكثر تفاسير علماء الإسلام حينما يتعرضون إلى اسم الذبيح من ولد إبراهيم يقولون: إنه إسماعيل، لكن الناقلين من كتب اليهود مباشرة، يتابعون اليهود في قولهم: إن الذبيح هو إسحاق، وهكذا فعل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، حينما تعرض لتفسير الآية: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢).[3]

ابن بابويه القمي المسمى بالشيخ الصدوق (٣٨١) والمولود بالري كتب كتابه، علل الشرائع، فكانت موروثات الفكر اليهودي المضمنة في شروح التوراة والتلمود معينًا عذبًا، ففي ذكره العلة التي من أجلها عبدت النار بلا شك، كان يستطيع أن يذكر السبب الشائع، بين الفرس في عبادتهم الزرادشتيه للنار المتعلقة بالنور والظلمة، لكنه وجد في شروح التوراة أن هابيل حينما قدم قربانه الجدي المشوي بالنار تقبل منه، بخلاف قابيل الذي قدم قليلًا من الحبوب، إذن النار كانت سببًا مقدسًا لقبول القربان، لكن ابن بابويه جعل

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٢٩.
(٢) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٤٠.
(٣) القمي: تفسير، جـ٢، ص١٩٧.

قابيل أيضًا يوقد النار التي عبدها الضالون مثل قابيل قديمًا[1]، لكن فكرة النور وقداسته تظل في الفكر الشيعي المغالي الذي يستمد أصوله من التراث الزرادشتي القديم، فيرجع ابن بابويه ويذكر أن العلة في تفضيل الأئمة الإثني عشر على الملائكة، أنهم خلقوا من نور قبل خلق الملائكة[2]، ومن هنا جاءت ضرورة المزج بين التراث اليهودي، والتراث الزرادشتي الفارسي.

وينقل ابن بابويه في علل الشرائع عن بعض رواته أنهم ينقلون أو يروون مباشرة من صحف موسى بن عمران[3]، أن ابن بابويه ورواته بارعون في سد الباب على الفرق التي أباحت نكاح المحارم، ممن انتسب للإسلام بفارس قديمًا، وذلك لرجوعه إلى علة زواج أبناء آدم من أخواتهم من أول الخليقة، وللهروب من ذلك ابتدع ابن بابويه ورواته القول: إن الله أرسل من جنته حوريات إلى كل من شيث ويافث كي يتزوجوهن، وإن جميع بني آدم من تلك الزيجة[4].

ورواة الشيعة يعكسون حقيقة أخذهم من التراث اليهودي وعموم أهل الكتاب، بل يضعون ذلك من عمل أئمتهم؛ لأنهم قد ورثوا علم أهل الكتاب، وما في الصحف الأولى، ففي حديث يرويه ابن بابويه عن الصادق أنه (صحفي) أي يقرأ ما في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، وحديث آخر يحتج به على أبي حنيفة في مسألة القياس، ويسأله هل ورث شيئًا أو علمًا مما في الصحف الأولى، حتى يتصدى للإفتاء بالكوفة ويستعمل القياس[5].

---

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٢ مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٨م.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٦.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٢٤.

(٤) المصدر السابق: جـ١، ص٣٢.

(٥) المصدر السابق: جـ١، ص١١١ - ١١٢.

وأخذ الشيعة عند اليهود العرب من الرواة يظهر واضحًا في كثير من مروياتهم، ومن أمثلة ذلك يتردد اسم عبدالله بن سلام، وما يرويه عنه ابن بابويه، في علل الشرائع[1]. ومرات أخرى يروي ابن بابويه في علل الشرائع عن يهودي دون ذكر اسمه[2]، وفي بعض الأحيان بعد أن يذكر ابن بابويه تلك العلوم التراثية القديمة، ينسب إلى الإمام أبي جعفر مثلًا: (وجدناه في كتاب من كتب علي عليه السلام)[3]، كما يروي ابن بابويه عن وهب بن منبه قوله: (إنه وجد في التوراة كذا وكذا...)[4]، ويسرد ما فيها من شروح اليهود.

والشيعة تعد الرسول محمدًا ﷺ يقرأ ويكتب، وإنما سمي بالأمي نسبة إلى أم القرى مكة، فإذا كان يقرأ ويكتب فنحن نسأل ماذا كان يقرأ ويكتب؟

إن هذا التصور يسهل على رواة الشيعة وعلمائهم نسبة العلوم والمعرفة إلى الرسول ﷺ وإلى الأئمة بعده[5]، ومن ثم يسهل عليهم نسبة علوم أهل الكتاب وما فيها من علوم نقلوها من مصادرها أن تكون تلك العلوم معروفة ومقروءة للنبي ﷺ، مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، ورواة ابن بابويه يودون، فيما يبدو من أسئلتهم التي سطرها المؤلف، لو أن الرسول ﷺ كان مثلهم يقرأ ما في الصحف الأولى، لتأييد ما جاء به، فقد سأل الرواة إمامهم عن قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ (يونس: ٩٤)[6]، وينقل

---

(١) المصدر السابق: جـ١، ص١١٧.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١١٩.
(٣) المصدر السابق: جـ١، ص١٣١.
(٤) المصدر السابق: جـ١، ص١٣٤.
(٥) المصدر السابق: جـ١، ص١٥١.
(٦) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٥٦.

ابن بابويه القمي عمن رواه أن بعض الناس وجدوا كتابة غير عربية على حجر فجاؤوا بها إلى وهب بن منبه، فترجمها لهم وكان مدلولها، يحث على الزهد في الدنيا[1].

وينقل ابن بابويه القمي عن رواته، أنهم وجدوا في أوراق وهب بن منبه أن ذا القرنين فعل كذا وكذا، تفاصيل مما وردت في شروح التوراة، ثم قال: إن ذا القرنين بعد أن سار عشرين سنة: (إذ وقع على الأمة العادلة الذين هم قوم موسى، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.)[2].

وينقل ابن بابويه القمي، أسماء أنبياء بني إسرائيل وما يقابلها بالعربية، فيقول: إن إسرافيل هو يعقوب، ويوشع هو ذو الكفل، (انظر يهود العراق)، والخضر هو إرميا، ويونس هو ذو النون، وعيسو هو المسيح عيسى[3]. وهذا يدل على صريح النقل والعلم بما في التوراة وشروحها من قبل أولئك الرواة.

ولكون موضوع ولاية الإمام علي رضي الله عنه، ووجوب الإيمان بها ضرورة للمذهب، فقد أوردت المصادر القديمة عند الشيعة، أن ولاية علي رضي الله عنه والنص عليها مذكورة في جميع الصحف المنزلة من الله[4]، وتهتم مصادر الشيعة خاصة القديمة منها بنقل أو ما روي من أحاديث أو أسئلة دارت بين رجال يهود، مثل عبدالله بن سلام، أو مجموعة من اليهود قامت بطرح أسئلة على الرسول ﷺ[5].

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٧٦.
(٢) المصدر السابق: جـ٢، ص١٨٤.
(٣) المصدر السابق: جـ٢، ص٣٢١.
(٤) المفيد: الاختصاص، ص١٨.
(٥) المفيد: الاختصاص، ص٣٣، ٤٣.

وهـذه المرويات تلقاها كثير مـن علماء الشيعة بالقبـول، رغم الطعن الـوارد علـى رواتها عنـد محدثي الشيعـة أنفسهم، فعلى سبيـل المثال ينقل الشيـخ المفيـد في كتابـه (الاختصاص)، مرويات جابر بـن يزيد الجعفر، وبريدة العجلي، وزرارة بن أعين وغيرهم، ولم ينكر عليهم مقولاتهم المغالية في الأئمة، بل مدحهم بوصفهم أول من أظهر علم الأئمة، بعد أن كان الرواة يخافون نشره[1].

ويبدو أن إدخال اليهود أو علمائهم في أسئلة موجهة لأئمة الشيعة، يعزز في رأي الـرواة والعلماء، أحقية هؤلاء الأئمة بالعلم؛ لأن اليهود هم أصحاب العلـم الأول، وهـم أهل المعرفة، فإذا صادق اليهود علـى أقوال الأئمة، أو ما ينقـل فقد تعزز رأي الفقيـه الشيعي وأعطاه ثقلًا علميًّـا كبيرًا، فهنا الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣ هـ)، ينقل في كتابه (الاختصاص)، إجابـات طويلـة ليهودي سأل الإمام علي رضي الله عنه، وكلها مـن المسائل التي يريد المفيد أن يتعزز فيها رأي الشيعة مثل دعوى وصية النبي ﷺ لعلي ومعجزات كثـيرة، تدفع في رأي المفيد القـارئ أو المتلقى لتصديقهـا[2]، ويسند الشيخ المفيد للراوي (مثلًا رفاعـة) عن الإمام الصادق مباشرة أن في التوراة كذا وكـذا[3]، بل يصدق الشيخ المفيد ما ورد في التـوراة حتى في تكفيرها للملك نبوخذ نصر[4]؛ لأنه عند اليهود هو الذي هدم أورشليم وسبى اليهود، وجاء بهم عبيدًا إلى بابل.

---

(١) المفيد: الاختصاص، ص٦٦.
(٢) المفيد: الاختصاص، ص١٦٣ – ١٧٠.
(٣) المفيد: الاختصاص، ص٢٢٦.
(٤) المفيد: الاختصاص، ص١٦٥.

إن علماء الشيعة القدماء حاولوا بناء رابط وصلة بين رهبان المسيحية ورجالهم، فرواية الشيخ الطوسي في أماليه تذهب إلى درجة أن الراهب الذي قابله علي رضي الله عنه بعد رجوعه من حرب الخوارج، بارك نزول الإمام علي رضي الله عنه وجيشه حول تلك الصومعة، قائلًا: إنها أرض لا ينزلها إلا نبي أو وحي، فهل أنت أصلع قريش؟[1]، وفي موضع آخر يظهر الطوسي الجدال بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من جهة، وجاثليق النصارى القادم من نجران، بكثير من ضعف حجة الاثنين حتى يأتي الإمام علي رضي الله عنه فيباشر الكلام مع الجاثليق الذي يظهر له علو الشأن والمعرفة والتصديق[2].

ذكر البرقعي في كتابه (كسر الصنم) عدم صحة أحاديث الكافي، وأن رواتها مطعون فيهم عند رجال المذهب نفسه، وقد حصرت أكثر من مئة وعشرين راويًا من بينهم رواة الكافي في كتابي جذور التشيع، وأوضحت أسباب الطعن في هؤلاء الرواة في نظر رجال حديث الشيعة الإمامية، ولكن من وثق الكافي ادعى أن الكتاب عرض على الإمام الغائب، فاستحسنه وقال: كافٍ بشيعتنا.

ولا أدل من أن رجال الشيعة كانوا يلتمسون في أفكارهم وردودهم على خصومهم ما كان عند الأمم السابقة من يهود ونصارى: ذكر الكليني أن هشام بن الحكم احتج في الدفاع عن أفكاره ضد خصمه (عمرو بن عبيد إن صح النقل) فلما عرض هشام حجته على الإمام الصادق، رد عليه الإمام: (هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى)، إذن القوم يأخذون من

---

(١) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٢٠١ - ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٣.

علــوم التوراة والتلمود وينسبونها بوضــوح إلى الإمام[1]، وحتى أولئك الرواة الذيــن ربما يسمعون مــن إمامهم علمًا لا ينقلونه كما سمعــوه، إنما يزيدون عليــه أو ينقصون، حسب مقتضياته. روى الكليني في الكافي أن أحدهم سأل الإمام الصادق (أسمع الحديث منك، فأزيد أو أنقص؟...)[2].

*****

(١) الكافي، الأصول: ص٩٦، الأعلمي، بيروت ٢٠٠٥م.

(٢) الكافي، الأصول: ص٣٣.

أفكار وإسرائيليات يهودية استعارها التشيع

مقدمة

١- لا بـد من نبـي يخلف موسى، ولكل نبي خليفة إلى جانبه في حياته، فكان خليفة موسى هو يوشع بن نون عليهما السلام، وهكذا [1].

وقـد استعـار الفكـر الشيعي مـن اليهودية القـول: إن عليًّـا هو وصي محمد ﷺ في حياته وخليفته من بعده، وقالت الشيعة: إن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو مستور (إمام غائب)، ولو خلت الأرض منهم لساخت.

٢- إن كثـيراً مـن الـرواة الذيـن وصمتهم كتـب الرجال عنـد الشيعة بالغلـو والكذب والارتفـاع، هؤلاء كان سبب غلوهم وكذبهـم أنهم ادعوا على الأئمة أقوالاً اقتبسوها أو سمعوها من أهل الكتاب، وزحفت هذه الأقوال على أحاديث تلقفها مدونو الحديث دون تمحيص، ونستعرض هذه الأفكار وقربها مما قاله أهل الكتاب.

فدعـوى صالـح بن محمد الهمـداني القائـل: إن الإمام أبـا جعفر هو الـرب، أو دعـوى سعيد بـن طريف الإسكافي بـأن الإمام الصـادق لم يمت، وإنمـا غـاب وسيرجع فإنما هو المهـدي[2]. كما أن أفـكار الخطابية والمفضل بـن عمـرو الجعفي (جماعتـه وأفكار النصيريـة نسبة إلى محمـد بن نصر النمـيري الفهـري) الذي ادعـى أن الإمام علي بن أبي طالـب ﷺ هو الإله، وأن النمـيري هـو النبي، هؤلاء وأضرابهم قالوا بكثير مـن الآراء المشابهة لما

(١) فان فلوتن، أحزاب المعارضة، ص ١٧٢.

(٢) النوبختي، فرق، ص ٨٧.

عند أهل الكتاب يهوداً ونصارى، وقد تسللت أحاديث هؤلاء إلى كتب حديث الشيعة وتراثها مبثوثة في الكتب القديمة خاصة، مثل الكافي والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه وكتاب المحاسن [1] و... غيرها.

ذكر الكشي في رجاله أن محمد بن سنان شكا إلى الإمام الرضا وجعًا في عينه، فأرسله إلى الإمام أبي جعفر، فجعل يرفع رأسه ويقول: ناخ ناخ، فذهب كل وجع في عينه، فقال ابن سنان لأبي جعفر: جعلت فداك شيخاً على هذه الأمة، كما جعل عيسى ابن مريم شيخاً على بني إسرائيل [2].

٣- فكرة توحيد الله: يؤمن الشيعة كبقية المسلمين بوجود إله واحد معبود فرد صمد لم يلد ولم يولد، وقد تواتر النقل من رواة الشيعة والإمامية خاصة على وحدانية الله سبحانه وتعالى والنهي عن الإشراك به[3]. وقد أفرد كثير من فقهاء الشيعة الإمامية كتباً كاملة في التوحيد[4]. لا مجال لبسطها، لكن روايات الغلاة، وهي استثناء بطبيعة الحال يرى فيها الدارس خروجاً على أصل التوحيد وتفسيراً يخرج عن مقتضى المعنى الواضح، وما ذلك إلا اجتهاد من هؤلاء الرواة للاحتجاج لعقيدة المذهب وتمييزها عما يقوله الآخرون. فبرغم وضوح الآية القرآنية في التوحيد القائلة: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٥٦)، مقتضى التفسير الواضح والظاهر حسب قواعد اللغة العربية أنها تعني: إن أشركت بالله إلهًا آخر فإن عملك مهما كان حسناً فإنه غير مقبول. جاء في تفسير القمي أن الآية تعني: إن

(١) النوبختي، فرق، ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) الكشي، رجال، ص ٥٨٢-٥٨٣. (مع اختيار معرفة الرجال للطوسي).

(٣) كتاب توحيد المفضل: للمفضل الجعفي.

(٤) القمي. تفسير ج١ ص٢٥١. المجلسي. البحار. ج٢٣. ص٣٩١. الكليني الكافي ج١ ص٤٣٧.

أشركت في الولاية غيره[1]. يعني إن أشركت مع.... في الولاية غيره فقد كفرت، وهكذا أدخلوا تأويل الشرك بالولاية مع أن النصوص المتعلقة بالشرك بالقرآن لا تذكر ولاية ولا علاقة لها بذلك. وهذا التأويل البعيد شجع أبا الخطاب والغلاة أضرابه إلى تأويل أبعد من ذلك، فقد نقل عنه تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ﴾ (الزمر: ٤٥)، يعني إذا ذكر الإمام علي وحده. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ يعني فلانًا وفلانًا، يعني بذلك أبا بكر وعمر ﷺ. وقد تبرأ الصادق من هذا التأويل حينما نقل إليه[2]. إذًا الولاية لها أهمية كبيرة في العقيدة الشيعية تقرب من أن تكون صنواً للتوحيد، فمن لا يؤمن بولاية علي ﷺ وبقية الأئمة المنصوص عليهم عندهم فهو في مرتبة من أشرك بالله. وذكر الطوسي في أماليه عن رسول الله ﷺ: (لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأعمال الجبال، ولم يجئ بولاية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لأكبه الله ﷺ في بالنار). ونقل هذا كثير في التفاسير وكتب الحديث[3]. والمناقض له أو المخفف لهذه الغلواء أيضًا يرد في بعض التفاسير. والنتيجة أن يرتفع الاهتمام بالأئمة إلى مرتبة فوق الناس العاديين، فيبني الغلاة على ذلك أن الأئمة معصومون عن الخطأ بخلاف البشر، وأنهم يعلمون متى سيموتون، ولديهم علم المغيبات عن باقي الناس وما إلى ذلك.

وهكذا يبالغ رواة الشيعة في صفات الأئمة إلى درجة أن يعدوهم واسطة بين العبد وخالقه، فهم وسيلة الهداية. لقد عقد المجلسي في بحاره بابًا (أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله...) وروى المجلسي عن الصادق أنه قال: (نحن السبب بينكم وبين

(١) القمي: تفسير البرهان. ج٤. ص٧٨.

(٢) الطوسي. أمالي ج١، ص٣١٤.

(٣) المجلسي. البحار. ج٢٧. ص١٧٢.

الله ﷻ)[1]. كل ذلـك والقـرآن الكـريم صريح في عدم وجـود واسطة بين العبـد وربه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ويـذكـر القـرآن مقولـة علـى لسـان المشركين عن عبـادتهـم للأصنـام، فقـال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ودفـع هـذا الانحراف والغلو إلى أن يستغيث العبد بالأئمة، وينسى الله أو لا ينساه، وإنما يعـده واسطة وشفيعًا. وقـد أورد المجلسي في بحاره أدعيـة عدة كلها ترشح بالاستغاثـة بالأئمـة[2]. وقد دفعت هـذه الأقوال والأفكار عامـة الشيعة إلى التعلـق بقبور الأئمة والحج لها، وطلب الحاجـات والمغفرة منهم، أو من الله عن طريقهم، كل ونيته المقصودة.

تدعي روايات عن بعض الرواة الشيعة أن الله قد اختار الشيعة أولياء لعلـي بن أبـي طالب ﷺ وبقية بنيه مـن الأئمة. وتذهب روايـات شيعية إلى القـول: إن الله قد ناجى عليًا يـوم الطـائف ويوم عقبة تبوك ويوم حنين[3]. وسمـع صوتًا من الجبـل تحت الرسول محمد ﷺ وعلي ﷺ معـه، فسأل: ما هذا الصوت؟ فقال: (إن الله يناجي عليًا)[4].

نقـل المجلسي مـن كتاب (خص الاختصاص للشيـخ المفيد) عن كتاب سليم بن قيس الهلالي..... قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك، فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد.... قال...(ثم سأل أبـو الطفيل الإمام عليًا ﷺ عن الآية:.....﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ .... قـال أمير المؤمنـين ﷺ: هي دابة تأكل وتمشي في الأسواق وتنكح النساء،

(١) المجلسي. البحار. ج٢٣ ص٩٧-٩٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسي. البحار. ج٣٩. ص١٥٤. الشيخ المفيد الاختصاص. ص٣٢٨.
(٤) محمد بن النعمان المفيد. الاختصاص. ص٢٠٠

فقلت: يا أمير المؤمنين، من هو؟ قال: هو رب الأرض الذي تسكن الأرض به...)[1]. وتتفق أكثر تفاسير الشيعة على تفسير هذه الدابة في الآية: أنها هي علي رضي الله عنه.

٤- إله اليهود وتعاليم التوراة والتلمود: إن اليهود لم يستطيعوا الاستقرار على إله واحد معبود، كما دعا إليه موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل. وهم في عقيدتهم يتجهون كما ذكرنا إلى تجسيم الإله الذي أمرهم موسى عليه السلام بعبادته. ولما كانوا قد تأثروا بعبادة العجل مذ كانوا بمصر قبل الخروج أعادوا عبادة العجل كما تقرر التوراة ذلك، حيث تقول: إن هارون هو الذي عمل لهم العجل بطلب منهم حينما غاب موسى عليه السلام؛ وتقول التوراة: إنهم استبشروا بهذه العبادة حيث خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب. كما عبد بنو إسرائيل الحية؛ لكونها مقدسة عندهم، فهي رمز الحكمة والدهاء والانسياب. وهي الحيوان الوحيد الذي يلتقي طرفاه. ترسم التوراة في أسفارها الخمس صورة بشرية للإله يهوه له طول وعرض وله يد ورجلان، والإله يهوه يأمرهم بأن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم عند الخروج من مصر، كما يذكر العهد القديم من تعاليم الإله في معاملة غير اليهود: (لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم). فيهوه إله قاسٍ شديد البأس حتى ضد شعبه، فيذكر العهد القديم أن يهوه غضب على شعبه مرة فراجعه موسى وطلب منه الرجوع عما أضمره ضد شعبه، وقال له موسى: (ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟... فندم الرب على الشر الذي أضمره[2]. وبدا له غير ما قرر. وبعد بناء الهيكل في أورشليم أضحى الإسرائيليون لا

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص٢١٧.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، آية ١٠ - ١٤.

يذكــرون إلههم يهــوه بالاسم، حيث تنكر التعليمات عــدم تسميته باسمه، بل بالإشــارة فقط ثــم استعاضوا بذلك إلى عبادة الهيــكل نفسه على أساس أن فيــه روح الإله يهوه[1]. إنه ممنوع على غير اليهود عبادة معبودهم أو الدخول في الهيــكل للصلاة، فقد أضحت ديانتهم ديانــة عنصرية خاصة بهم فقط، أمــا بقية الشعــوب فهم أنجاس لا يستحقــون الرحمة، بــل إن أموالهم (وما قدرتم أخذه حلال لكم)[2].

وتذكــر التــوراة أن موسى صنع لشعبــه تابوتًا، وضع فيــه الألواح التي تسلمهــا من الــرب، وهي من كتابــة الــرب، وفي التابوت المذبــح الذي يوقد فيــه نار للبخــور صباح مساء، ووضــع في التابوت ذهباً وفضــة، وكل ما غلا ثمنــه بقصد حفظــه، وقيل لهــم: لا يجوز لأحــد أن يمس التابــوت؛ لأن فيه روح الــرب يهــوه. وقد تركزت تعاليم عدم مسح التابــوت عند أحبار اليهود، وذلــك كما يقول الدارسون، ليحفظوا الأشيــاء الثمينة، وادعوا أن من يمسه - كمــا هو نصــ التوراة - فإنه يمــوت حالاً، ويكون مصــيره كمصير الرجل الذي مات حينما مسه دون علم وقصد منه. وتذكر التوراة أن إله يهوه يحب القرابــين من الخراف المشوية. والقرابين والنذور التي تقدم لا تكون مقبولة إلا إذا كانــت علــى يــد الكاهن، بل توبة العبــد لا تقبل إلا على يــده. وأصبح الكهنــة حول الهيكل يمثلون قوة في العقيــدة اليهودية، فقد كانوا معفيين من الضرائب، وتقسم بينهم النــذور والقرابين التي تقدم، وقد كان يقدم للإله حتــى القرابين البشريــة حيث قدمت للذبح ابنته حيــة، ثم في مرحلة لاحقة

---

(١) ذكر المجلسي في البحار المجلد ١٣، ص٣٩ النهي عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر، بل يذكر بأسماء الكنى، الحجة، القائم، المهدي، الفقيه، م ح د، صاحب الزمان، صاحب العسكر، الناحية المقدسة حرسها الله، انظر جـ١٣، ص ٢٣٧ – ٢٤٢.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٤، آية ١٣ - ١٨.

اكتفوا بتقديم الضحايا البشرية لمجرد الخدمة في المعبد، وقد اكتفي بتقديم جـزء من الأعضاء البشرية، فبدل أن يضحـى بالإنسان كله يقطع منه جزء علامة على انقياده للإله وهو الختان الذي كان رمزاً عندهم لهذا العرف[1]. يدعي اليهود أن إلههم يهوه قد وعد آباءهم بتميزهم عن بقية الشعوب؛ لأنه اختارهـم من دون الآخرين: (..... بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم)[2] ويقول التلمود بالتناسخ أيضاً.

ويـرى الباحثـون أن هذا من الأثـر الفارسي على الديانـة اليهودية، حيـث قام حاخامـات بابل الذيـن كتبوا التلمـود البابلي إلـى تكرار فكرة التناسـخ، فأرواح اليهود هـي جزء من الله، كما الابن جزء من أبيه، وهذا يعنـي أن اليهـود خلقـوا بشكل مختلف عـن بقية الشعوب كمـا يفسر ذلك أحبارهـم. وفي بعض أحاديث الشيعة أنهم خلقوا من طينة غير طينة آدم.

ويكـرر التلمـود مـا ورد في التوراة من كـون الرب يغـير رأيه في بعض الأحيـان. فمرة كما يذكر التلمود غضب الرب واستولى عليه الطيش، فحلف بحرمـان شعبه من الحيـاة الأبدية، لكنه ندم بعد ذلك؛ لأن غضبه كان ضد العدالة. وهذا يشبه إلى حد كبير فكرة البداء التي بثها كثير من رواة الشيعة.

يـرى اليهـود أن نصـوص التلمود في أهميتهـا وقدسيتها: كنصوص التـوراة، مع أنهم يعلمـون أن التلمـود مجـرد أقوال رجـال الديـن جمعوهـا فيما بعـد، وهـم يقـولـون: مـن يقرأ التوراة بغـير المشنا والجيمارا (التلمود) فليـس لـه إله؛ لأن قول الحاخامـات هو قول الله الحي، بـل إن الرب يستشير الحاخامات عندما تواجهه معضلة لا يمكن حلها في السماء.

---

(١) يوحنا ١٨: ٣٠، الملوك الثاني، ١٦: ٣ و٨: ١ – ٦ و٦: ١٤ – ٢١. الخروج، ٣٠: ١–١٠.

(٢) سفر التثنية ، ٧: ٦–٨.

لليهودي الإنسان منزلة كبيرة في الفكر اليهودي، فهو عندهم معتبر عند الـرب أكثر من الملائكـة؛ لأن اليهودي جزء من الله. إذا قام آخر غير يهودي بضرب يهودي فكأنما ضرب الرب نفسه. أما غير اليهود فلا يجوز إطعامهم وهم أقل من الحيوانات. وفي مجال السلوك يجب على اليهودي ألا يغش يهوديًّا مثلـه، أما مع غير اليهودي فلا تكـن طاهراً مع الدنسين. ولا يجوز أخذ الربا من اليهودي، ويجوز مع غيره. أما الأرضون والأموال فهي ملك للرب واليهود هـم المالكون للأرض والأموال نيابة عن الرب. وأعد التلمـود أن سرقة المال من غير اليهودي يعد استردادًا للمال من سالبه. وأجاز الحاخامات أن يحلف اليهـودي ويغش غير اليهودي البيع ويعطي الأيمان الكاذبة. ولا يجوز لليهودي رد المـال المفقـود من غير اليهـود. جاء في التلمود: (محرم علـى اليهودي أن ينجي أحدًا من غير الأميين من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها). وأجاز التلمود لليهودي ارتكاب المحرم مع المرأة النصرانية؛ لأنها غير مؤمنة. كما لا بأس من الحلف زورًا عند الحاكـم؛ لإنقاذ يهودي من خصمه غير اليهودي؛ لأن هناك يوم الغفران ستمحى فيه جميع ذنوب السنة الماضية.

الحيض والولادة تدنسان المرأة كما الخطايا تدنس الإنسان، لكن الهدايا والقرابين يكفران تلك الخطايا على أن تقدم للكاهن مع الاعتراف بها.

لا يجـوز زواج اليهوديـة مـن غـير اليهـودي. والرضاعة ليسـت سببًا للتحريم. اليهودي من خرج من رحم يهودية فقط.

٥- تحمل ذنوب الأمة: إن كثيراً من رواة الشيعة اتهموا بالغلو؛ لأخذهم بأفـكار أهـل الكتب، ونسبوهـا إلى الأئمة. فكثـيراً ممن ينتمـون إلى فرقة

الخطابيـــة الشيعية انتحلت أفكاراً من النصرانيــة، وصاغوها بشكل حديث نسبوه لأحد الأئمة، ونجد تسرب هذا الحديث أو ذاك في كتب حديث الشيعة الإمامية.

مــن هؤلاء المفضل بن عمــرو الجعفي الذي ذهب بــه الغلو حد القول: إن الأئمــة تقــدر أرزاق العباد، فلما علم منه الإمــام الصادق ذلك تبرأ منه ولعنه[1].

كما عدّه النجاشي فاسد المذهب برغم ما ذكر له من مصنفات[2].

ذكــر المجلســي أنــه وجــد في أحد كتــب الشيعــة: (لم يذكر الكتــاب ولعله أحــد مصنفــات المفضــل) بروايــة المفضل بــن عمرو أنه ســأل الإمــام الصادق عــن المهــدي.... ثــم سألــه عــن المتعــة وذكــر قــول علــي ﷺ في تحريمهــا من قبــل عمــر ﷺ، ثــم يذكــر قــول الصــادق: (.... ثــم يقــوم جــدي (علــي ﷺ) فيشكــو للرســول ﷺ الظلــم الواقــع علــى الأئمــة مــن قبل الخلفــاء، فيرد الرسول ﷺ: الحمد لله الذي صدقنا وعده.... ثم يقول ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال الإمام الصادق: يا مفضل، إن رسول الله ﷺ قال: اللهم، حملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدم منها ومــا تأخر إلى يوم القيامــة، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا، فحملــه الله إياها وغفرها جميعها. قال المفضــل: فبكيت بكاء طويلاً وقلت: يا سيــدي، هــذا بفضل الله علينا منكم. قال الصادق: يــا مفضل، ما هو إلا أنــت وأمثالك بلى، يا مفضــل، لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنــا، فيتكلون على هذا الفضل ويتركون العمل...). قال المجلسي في آخر

---

(١) الكشي. رجال. ص٢٧٤.

(٢) النجاشي. رجال. ص٢٩٥.

هـذا الخبر: أقول: روى الشيخ حسن بن سليمـان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا[1].

ونقـل المجلسـي أيضـاً عـن (كنـز= كنز جامـع الفوائـد وتأويـل الآيات الظاهـرة).. أنـه سـأل الإمـام أبـا الحسـن الثالـث عـن قـول الله ﷻ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال: وأي ذنـب كان لرسول الله ﷺ متقدماً أو متأخراً؟ وإنما حمل الله ذنوب شيعة علي رضي الله عنه ممن مضى منهم وبقي ثـم غفرها لـه[2]. هذا وقد اقتبس رواة الشيعة فكرة تحمـل الرسول ﷺ ذنوب الشيعة من فكرة تحمل المسيح ابن مريم ذنوب أمته، فقدم نفسه قرباناً ليطهرهم مـن الذنوب. تعتقـد النصرانية أن عيسى عليه السلام قد قدم نفسـه لأن يصلب فداءً لذنـوب أمته. وقد تكررت هـذه الفكرة واستعيرت بطرق شتى وتبريرات مختلفة عنـد معالجة كثير من مصـادر الشيعة لموت الإمام الحسـين رضي الله عنه. إنه كان يعلم مصرعه مقدماً، ولكنه أصر لأن يقدم روحه الطاهرة فداءً للأمة[3].

٦- نقـل الجنائـز ودفنهـا في النجف: تـرى اليهوديـة أن أفضل مكان لدفن اليهودي هو سفوح جبل الزيتون. ويرون أن النبي زكريا مدفون هنـاك، وكثـير من أوليائهم كانوا ينقلون موتاهم للدفن في هذا الموقع على دعوى أن النبي ﷺ سينفخ يوم البعث ببوقه ليخرج الموتى من قبورهم[4].

لقـد أشرنا إلى الأحاديث الشيعية التي تروى في تقديس أرض كربلاء التـي دفن فيها الإمام الحسين رضي الله عنه . وتذهب بعض الأحاديث إلى حد أن من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص٢٠٠-٢٠٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧ ص١٤٧.

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. في مواضع عدة أحاديث مروية كثيرة بهذا المعنى. انظر: عزاء الحسين في هذا البحث.

(٤) الإنسكلوبيديا اليهودية (جبل الزيتون).

دفـن بجـوار الإمام علي ﷺ فإن محنة عذاب القـبر لا وجود لها، كما يروى عـن الإمام الصـادق أن الدفن بجوار الإمام علي ﷺ يعـادل يومه سبع مئة يوم من العبادة[1].

وكان شيعة إيران منذ القدم يتوقون لدفن موتاهم في النجف؛ واستمر نقـل الجنائز من إيران، واتخذ أهميـة اقتصادية ومهمة تبدأ من النقل إلى الدفـن. وكانت أكـثر اتفاقيات الصفويـين مع العثمانيين تنصـ على حرية الإيرانيين في دفن موتاهم في النجف؛ لما لذلك من أهمية دينية.

وقـد انتقد بعض علماء النجف نقل الجنائـز ودفنهم في النجف، منهم هبـة الديـن الشهرستاني الذي ذهب إلـى حد التشكيـك في صحة الأحاديث المروية في الدفن في الأماكن المقدسة، وذهب إلى أن الرسول ﷺ أمر أصحابه بالدفـن حيثما يمـوت المسلم. وأشـار الشهرستاني نفسه إلـى أن الإمام علي حذر أتباعـه من الاقتداء باليهود ونقل أمواتهـم للدفن في معابدهم. وأوضح قبـح مـا يفعلـه البعض من تأمـين دفن الجنائـز في مكان ثم نقـل الجثة إلى النجـف؛ لما فيها من انتهـاك حرمة الميت. وقد لاقـى الشهرستاني الأذى من أهـل النجف بسبب فتواه هـذه وطرد منها وذهب إلى الهنـد مدة سنتين عاد بعدهما إلى كربلاء. وبهذا فقد إمكانية ترشيحه لأن يصبح مرجعاً أكبر. وقد أنكـر من علماء الشيعة نقـل الجنائز ودفنها في النجف علماء غير هبة الدين الشهرستـاني مثـل السيد محسن الأمين ولكن لم تلـقَ دعواتهم آذانًا مصغية مع الأسف[2]. وهذا يوضح مدى تأثير العامة على العلماء في هذه الحقبة التي

(١) محبوبة. ماضي النجف جـ١ ص١١.

(٢) الطوسي. المبسوط. ج١. ص١٨٧. هبة الدين الشهرستاني. تحريم نقل الجنائز. بغداد. ١٩١١. الآداب. عبدالله النفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. ص٧٩.

فقـدوا فيها قدرتهم على التوجيه ما دفع أكثر علماء الشيعة إلى عدم معاكسة تيار العامة والوقوف ضد عاداتهم الدينية، وإن لم يكن لها سند من الشرع.

٧- فكـرة التثليـث: ذكر الكشي في كتابه "الرجـال" الذي لم يصلنا، وإنمـا وصلنا ما اختاره منــه الطوسي، فأسماه اختيـار معرفة الرجال. قال الكشـي: إن بشـار الشعـيري ادعى، فقال: هــي مقالة العلياويــة يقولون: إن عليًـا هــرب أي (هرب مــن الربوبية في عالمهــا)، وظهر بالعلويــة الهاشمية وأظهروا به وعبده ورسوله بالمحمدية، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخـاص: علـي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ. وأن معنى فاطمـة والحسن والحسـين ﷺ الأشخاصـ الثلاثة تلبيس، والحقيقة شخص علي ﷺ؛ لأنهم الأول في الأمانة، وأنكروا شخص محمد ﷺ وزعموا أن محمداً ﷺ عبد وعليًّا ﷺ رب...

وذكـر الكشي أن الإمام الصادق كان قـد اشتكى من هذا الإنسان[1]؛ لأنه أغوى أصحابه. وقد تبرأ الإمام الصادق من هذه المقالة حينما بلغته.

٨- البـداء: روى الطبري أنـه كان في الكوفة امرأتان ناعطيتان: إحداهما تسمى هند بنت المتكلفة الناعطية والثانية ليلى بنت قمامة المزنية يمنيتان، وكان يجتمـع إليهما غـلاة الشيعة في الكوفة أيام المختار، وقـد قامتا ببث أفكار غلاة الشيعـة مناصرة للمختــار. وكان عبدالله بن نوف قائد سرية المختار في حروراء يـتردد على الناعطيتين، فلمـا انهزم جيش المختار في حــروراء لقي عبدالله بن شريك النهدي عبدالله بن نوف، فقال له: ألم تزعم يا ابن نوف، أننا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب الله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

(١) الكشي. الرجال. ص١٩٨-٤٠١، ج٢ ص١٠٤.

فـلا بد أنه قد تلقى مثل هذه الأفكار من تلكمـا الناعطيتين اليمنيتين اللتين ربما كانتـا على دراية باليهوديـة وأفكارها السائدة لـدى عرب اليمن ممن سكـن الكوفة بعد الفتح[1]. وقـد أوضحنا فيما سبق أن فكرة البداء كانت في الفكر اليهودي، قال بها المختار.

وقـد ذكر أن هند الناعطية ادعت النبـوة. وقد رمي الشاعر بشار بن برد بالتناسخ على طريقة ليلى الناعطية[2].

٩- التابـوت والكرسـي: تذكـر الروايـات الإسرائيليـة أن نبـي الله موسى عليه السلام بعد أن تسلم الألواح من ربه، التي فيها تعاليم الرب، قام فوضعها في تابوت؛ للمحافظة عليها من التلف. وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل الله علـى بني إسرائيل، وتنزل التابوت الذي فيـه بقية من بني إسرائيل؛ ليضفي عليهـم السكينة والأمان. وقد استعـارت الكيسانية فكرة التابوت واستبدلتها بالكرسـي، فقد ذكر الطبري عن طفيل بن جعدة بـن هبيرة أن جاراً له كان عنده كرسي متسخ قدمه الجار إلى المختار الثقفي على ادعاء أن هذا الكرسي كان عنـد أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب وهي أخت الإمام علي رضي الله عنه. فأخذ المختـار الكرسي وزيَّنه بالديبـاج، وكان يحمله على بغـل في الكوفة، فيطوف بـه على أصحابـه يستسقون به ويستنصـرون أمامه. وكان المختـار إذا قاتل حمـل الكرسي هذا معه؛ طلباً للنصر. فالمختـار لحاجته للنصر في ثورته في الكوفة على الأمويين ركب الصعب، وأدخل على أنصاره بزعمه أن في الكرسي بقيـة مـن الإمـام علي بن أبـي طالب برغم مـا نقل عن شبث بـن ربعي وهو مـن أصحاب علي رضي الله عنه إنكاره على من تدافعـوا على الكرسي يستنصرون به،

(١) الطبري. تاريخ: ج٦. ص١٠٣، حركات الشيعة المتطرفين. د. محمد جابر عبدالعال. ص٢٣.
(٢) فتحي الزغبي. غلاة الشيعة. ص١٢١.

وإبراهيــم بن الأشتر قائد المختار ذكر عنه قوله: (اللهم، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا)[1] وقد أنكر الشاعر أعشى همدان عليهم قائلاً:

شـــــهدت عليكم أنكم ســبئية　　　وأني بكم يا شرطة الكفر عارف

وأقســم ما كرسـيكم بسـكينة　　　وإن كان قد لفت عليه اللفائف[2]

١٠- استعارة معجزات نبي الله عيسى عليه السلام: إن القارئ لكتب الحديث عند الشيعة والمتعلقة بمعجزات الإمام علي رضي الله عنه والحسين وفاطمة رضي الله عنها يشاهد استعارة صريحة لما نسب من المعجزات لنبي الله عيسى عليه السلام في حال مولده وفي حــال قتله، يذكر منها للإمام علي رضي الله عنه ومنها كثير للإمام الحسين رضي الله عنه، أمــا معجزات فاطمة رضي الله عنها فقــد استعيرت جميع معجزات مريم عليها السلام وذكرت لفاطمة رضي الله عنها.

كمــا استعيرت معجزات مولــد نبي الله عيسى عليه السلام إلــى مولد الإمام الثاني عشر.

معجزات الإمام علي رضي الله عنه ومشابهتها لتلك المذكورة لعيسى عليه السلام:

مــن معجزات نبي الله عيسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم: إحياء الموتــى وإبراء الأعمــى والأبرص بإذن الله. وقد نسبــت للإمام علي رضي الله عنه أنه أحيــا ميتاً مــن بني مخزوم خرج من قــبره يتكلم بلسان الفرســ. ونسب له أيضًــا أنه أحيا ميتاً لأجــل أن يتحقق أهله، ويسألون مــن قتله[3]. ومثل هذا كثــير نسب لعلي رضي الله عنه وإلى الأئمة. وذكر الكليني أن الأئمة قادرون على إحياء

(١) الطبري، تاريخ، جـ٦، ص ٨٣.

(٢) الجاحظ، الحيوان، جـ٢، ص ٣٥٢.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٤٨٤.

الموتى وإبراء الأكمه والأبرص[1]. وتذكر روايات كثيرة أن الأئمة يعلمون الغيب، وأخرى تقول: إنهم لو شاؤوا أن يعلموا الغيب لعلموه[2].

وقد جمع دونالدسون معجزات كثيرة لعلي ﷺ والأئمة تشابه تلك المذكورة لعيسى عليه السلام تماماً خاصة إحياء الموتى [3].

وقد ادعت فرق الشيعة المغالية إحياء الموتى من قبل أئمتها، فقالت فرقة البيانية: إن ابن الحنفية يحيي الموتى [4]....

كل ذلك وهم يتلون كتاب الله القائل بكل وضوح:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

- معجزات فاطمة، وتلك المذكورة لمريم:

في كتاب بحار الأنوار للمجلسي نُقُولٌ من مصادر عدة قديمة لأحاديث مروية عن الأئمة في شأن معجزات منسوبة لفاطمة ﷺ، وتلك المعجزات نجدها بعينها كتلك المنسوبة لمريم ابنة عمران في المصادر النصرانية.

- معجزات الحسين، وتلك المذكورة لعيسى:

ينقل المجلسي عن كتاب (ير = بصائر الدرجات) رواية تفيد أن حبابة الوالبية شكت للحسين ﷺ العمى في عينيها، فتفل الحسين ﷺ في عينيها فأبصرت[5]. وقد أشار القرآن الكريم إلى معجزة نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبرسي. الاحتجاج. ج١. ص٣٥٦.

(٣) دونالدسون. عقيدة الشيعة. ص٨٠.

(٤) الأشعري. مقالات. ص٢٨.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد.١٠. ص١٤١ وما بعدها.

ونقل أيضاً رواية عن كتاب (يج = الخرائج) أن امرأة أرادت أن توصي للإمام الحسين ﷺ وبحضوره ولكنها توفيت، فلما حضر الحسين وقف على بابها وناداها، فقامت (من الموت) .... ثم قال لها: أوصي. فأوصت ثم ماتت[1].

وذكر رواية تفيد أن الحسين ﷺ كان يعلم أمورًا غيبية، فقد دخل عليه أعرابي فقال له الحسين: أما تستحي أن تدخل على إمامك وأنت جنب؟

وذكر أيضًا (عن يج): أن رجلين اختصما على طفل رضيع أمام الحسين ﷺ فنطق الطفل مشيراً إلى أبيه الحقيقي.[2] وقد ذكر القرآن الكريم معجزة عيسى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وذكر المجلسي روايات تفيد أنه بعد استشهاد الحسين ﷺ بكت السماء والأرض عليه وانكسفت الشمس وانخسف القمر. وبكته كل البلاد ما عدا البصرة (كانت البصرة عثمانية) ودمشق وآل الحكم بن أبي العاص أو آل عثمان بن عفان. وبكت الوحوش والحيتان والطيور ومؤمن الإنس والجن وجميع ملائكة السماء والأرض[3].

ونقل المجلسي رواية عن نضرة الأزدية قالت لما قتل الحسين ﷺ: أمطرت السماء دماً، وجرارنا صارت مملوءة دماً...... ورواية أخرى تذكر أنه لما قتل الحسين ﷺ ضجت الملائكة إلى الله بالنحيب، وهبطوا يريدون نصرته، ولكن لم يؤذن لهم[4].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص١٤١-١٤٢.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص١٤٢.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص٢٤٤- وما بعدها.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص ٢٢٨-١٢٩.

كمـا ذكر المجلسي ما قيل مـن مراثٍ وأشعار في مقتله، والعلة التي من أجلهـا أخـر الله الانتقام من قاتـل الحسين ﷺ أن الله ينتقـم منه في زمن ظهور الإمام القائم[1].

ذكر المجلسي أيضًا رواية تفيد أن الحسين ولدته فاطمة، ولم يمكث في رحم أمه إلا ستة أشهر، كما هو الأمر في عيسى ابن مريم[2].

وذكـر رواية (عن كا = الكافي) تفيـد أنه لما ولد الحسين ﷺ أمر الله خـازن النـار أن يطفئها كرامة لمولـود آل محمد، وأمر رضـوان أن يزخرف الجنـان، وأمر الحـور العين أن يتزيـن، وأوحى الله إلى الملائكـة: أن قوموا صفوفًـا للتسبيح والتحميـد. وأوحى الله إلى جبريـل أن اهبط... وهنئوا آل محمد ﷺ.

وهــذه نصوص تقارب ما ذكـر في الأناجيل عند مولد المسيح عليه السلام من فرحة الطيور وتسبيح الملائكة و....

وذكـر رواية تقول: إن الله سبحانه كان قـد غضب على أحد الملائكة، فجرده من ريشه، وألقاه في جزيرة، فلما ولد الحسين ﷺ شفع فيه الحسين عند ربه، فرده الله إلى مكانه مع الملائكة المقربين.

ونقـل المجلسي من تفسـير العياشي كما يبدو أن الله خيَّر الرسول ﷺ إمـا أن يميت إبراهيم (ابـن الرسول ﷺ) أو (يميـت الحسين) فاختار ﷺ إماتة إبراهيم فداءً للحسين؛ لأن إبراهيم أمه أمة إذا مات لم يحزن عليه إلا محمد ﷺ بخلاف الحسين.

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص٢٥٦-٢٦٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص٦٩.

وذكر أن الحسن والحسين ﷺ مكانهما يوم القيامة ما بين عرش الرحمن أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره[1].

١١- معجزات الإمام الثاني عشر عند مولده، وتلك التي قيلت بمولد عيسى: نقل المجلسي عن كتاب (كا) رواية تفيد أن الإمام الحجة بعد أن ولدته أمه تكلم، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين والأئمة جميعاً، ثم سلم على أمه، ثم تلا الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

ونقل المجلسي عن (ك = لكمال الدين) أن فلانًا دخل على القائم بعد مولده بليلة فعطس عنده فرد عليه القائم (الطفل) يرحمك الله.

وذكر المجلسي نقلاً عن كتاب (ك): أن فلانة (هكذا) شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه: ما شاهدته؟ فقال: هم الملائكة نزلت تتبرك به[2]. وهذه استعارة صريحة لما عند النصارى في كتبهم عن معجزات الطفل المسيح وأمه.

ونقل المجلسي رواية عن كتاب (غط= الغيبة للشيخ الطوسي) أن الإمام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) أرسل أحد خدمه ليبتاع له جارية صفتها كذا وكذا وكتب له كتابًا باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك، وتبين له من كلامها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حلمت حلمًا بأن المسيح عليه السلام قد زوجها من أبي محمد الحسن العسكري، فلما

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٠، ص٧٢-٨٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد.١٠. ص ب- ج. الصفحات الأولى من ١-٣ لم ترقم إنما بدأ الترقيم بعدها.

قـدم الخادم بها للإمام خيرها الإمام بين مبلغ من المال أو بشارة يقولها لها، فاختارت البشارة، فقال لها: (أبشري بولد يملك الدنيا.... فهو القائم)[1].

أثر عقائد الصابئة (المندائيين) على اليهود والشيعة:

يسكـن الصابئة جنـوب العراق على ضفاف الأنهـار، وخاصة في قلعة صالـح قرب العمارة. وقد تأثرت بعض تعاليم الشيعة الإمامية ببعض عقائد الصابئة منذ القديم. وتعاليم الصابئة نفسها قد ورثوها من العقائد القديمة في العـراق وفارس، وما عنـد النصارى حيث يدعي الصابئة أن نبيهم يحيى من أنبياء النصارى.

أكـثر تأثر الشيعـة، وربما غيرهم من الفرق الساكنـة في العراق كان بالعقائـد المتصلة بالكواكب. يرى الصابئة أن كل يوم من أيام السنة يتحكم فيـه كوكب كمـا يتحكم الملائكة المعنيـون بذلك. فيوم الأحد، وهـو أول أيام الخليقـة تتحكـم فيه الشمـس يرتبط أيضـاً بتجسيـد (هبشبـة) أول أيام الأسبوع، وهو ملك يطابق أحياناً بالأرواح المنقذة.

كمـا تقسم ساعات اليوم إلى ساعات نحس وساعات سعد يوم الجمعة وليلته وقت نحس.....

الشمس كوكب ودود، ولكن القمر ذو تأثير منحوس. والزهرة أكثر ودًّا ومارس هو رب السحاب والرعد. وعطارد رب الكتابة والكتب ورب الحكمة.

إذا سقـط الصابئي مريضاً في الحـادي والعشرين من أي شهر فأمله في الشفـاء قليل؛ لأن ذلـك يوم يتحكم فيه الجن... وكذلـك اليوم الخامس

(١) المصدر السابق. المجلد١٠. ص١.

والعشرون والأفضل ألا يغادر منزله. القمر يُعدّ مسؤولاً عن حالات الإجهاض والعاهات التي تصيب الناس[1].

إن هنــاك ساعات نحس يجب على الزوج ألا يقرب زوجته ورجل الدين (الكنزفـرة) هو الــذي يكشف طالع الزوجـين.... والكاهن هــو الذي يخبر باليوم السعيد لعقد الزواج أو وقت إرسال الوليد للدرس أو التهيؤ للسفر أو...

الحائضـ نجسة. ويرى الفرس القدمــاء أن الحيض عند المرأة أو أي نزف عند الرجل إنما هو نجس، والذي يمسه يتنجس. وكان في إيران القديمة بجانــب بيت النار مـكان اسمه (داستانستان) أي بيــت للنساء الحائضات، وذلــك لعزلهن وألا يمسسن أي شيء؛ كي لا يتنجس. وعلى الحائض ألا تأكل إلا في أوانٍ معدنية؛ لأن الفخارية يصعب تطهيرها بعد الحائض.

وعلى الحائض لبس القفازات. وحالما تقترب المرأة من الحيض فعليها:

تغيير ملابسها.

أن تبحث عن مكان منعزل، فلا ترى ماء ولا ناراً ولا رجلاً مقدسًا، ولا تنظر إلى الشمس، ولا القمر، ولا إلى السماء، والأشجار.

أن تأكل بملعقة أو بقفازين.

أن تعتــزل النــاســ من ٣-٩ أيــام بعدها لا بد من غمســ نفسها بالماء. ويلزم استحمام الرجل والمرأة بعد الجماع.

---

(١) الليدي دراور. الصابئة المندائيون. ج١. ص١٣٥-١٤٣. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٩٦٩م. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي.

وبعد الوفاة يصنع طعام يؤكل على روح الميت يسمى (اللفاني)، وهذا مما يساعد روح الميت على اجتياز العقبات في أثناء خروجها إلى عالم النور. ويؤكل اللفاني أيضًا بعد اليوم الخامس والأربعين (الأربعينية)، وهذه العادة موجودة لدى الفرس القدماء غير أنها واجبة بعد ثلاثين يوماً من الموت. وقد أخذ اليهود هذه العادة ونصوا في التلمود على وجوب إعداد الطعام على روح الميت بعد ثلاثين يوماً من وفاته.

كما للصابئة عادة توزيع الخبز على روح الميت أو أكل الخبز.

شجر الآس عند الصابئة شجر مقدس، ويجب إحضار الآس عند الموت أو الزواج[1].

وعقائد الصابئة هذه تبدو مزيجًا من عقائد الفرس القدماء وعقائد الحضارات السومرية والبابلية في العراق القديم، التي أدخل اليهود كثيراً منها حين تدوين التلمود في بابل.

ما ورد عند الشيعة الإمامية من أحاديث لها شبه لما عند الصابئة واليهود:

أورد المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث كثيرة عن الأئمة، مضمونها أن يوم الأربعاء هو يوم نحس يتطير منه لأسباب مختلفة ذكرتها تلك الأحاديث، منها: أن يوم الأربعاء هو اليوم الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وفيه ألقي نبي الله إبراهيم عليه السلام في النار، وفيه أغرق الله فرعون، وفيه أدخل نبي الله يوسف السجن[2].

(١) المصدر السابق. ج١. ص٢٨٠-٢١٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص١٩٥.

ونقل المجلسي أن الشيخ الصدوق (ابن بابويه القمي) نهى عن السفر يوم الأربعاء أو الاحتجام فيه.

ويسوق المجلسي حديثاً عن الإمام علي ﷺ أنه إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتقِ أول الأهلة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد فيها[1].

ويذكر المجلسي أن يوم الحادي والعشرين من كل شهر يوم نحس، وذكر أن الفرس ترى أنه يوم جيد، وفي رواية أنه يصلح لإهراق الدم.. ولا تطلب منه حاجة. وذكر رواية حديث عن الأئمة أن هذا اليوم لا تطلب فيه حاجة، وتكره فيه سائر الأعمال[2].

وذكر المجلسي روايات عن اليوم السادس والعشرين، وأنه يصلح لكل شيء ما عدا الزواج (فمن تزوج فيه فرق الله بينهما، كما فرق الله لموسى البحر)[3].

وذكر المجلسي في بحاره في المجلد الرابع عشر من ص١٩١ وحتى ص٢٠٨ روايات تكلم فيها عن نحس الأيام وسعادتها. ثم ذكر النيروز، وقال: إنه أول يوم طلعت فيه الشمس، وفيه نزل جبريل على النبي محمد ﷺ و...

وإذا قرأت أي كتاب من كتب الشيعة الإمامية وخاصة القديمة تجد تفاصيل عن أيام النحس والسعد. أورد الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص جملة أحاديث عن الأئمة، مفادها: أن الجماع يكره عند الفجر وعند المغيب وعند الكسوف والخسوف وعند اشتداد الريح الحمراء والصفراء والسوداء. ثم أورد حديثاً عن الرسول ﷺ أنه لم يجامع في ليلة انكسف فيها القمر[4].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص١٩٦-١٩٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص٢٠٢.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص١٠٦.

(٤) المفيد. الاختصاص. ص٢١٣.

وتعقــد كتب فقه الشيعة الإمامية في باب الــزواج فصلاً للأوقات التي يكره فيها الزواج، فمثلاً في كتــاب العروة الوثقى للطبطبائي وشرحه للسيد الحكيم المسمى المستمسك أورد فيه جملة من الأوقات التي يكره فيها الزواج، ومعاشرة الزوجة.



الفصل الثالث

العنصرية والتمييز

أ- قصر العنصر السامي على اليهود

جاء في سفر التكوين (٩، ١٨، ١٩) أن بني نوح الذين خرجوا من الفلك، هم سام وحام ويافث، ويعدون سامًا هو أب الكهنة، ورجال الدين، بينما حام هو أب الرقيق، ويافث أب للسادة[١].

والهوية اليهودية تثير أشكالًا بين الباحثين في العصر الحديث، فإذا كانت اليهودية مجرد دين فقط، فيصح أن يكون من بين اليهود، الأبيض والأسود والسامي والآري والشرقي والغربي و... وهكذا أصبح لدينا تعريف ديني لليهود، (وهو من خرج من رحم يهودية) في رأي رجال دينهم، فالسامريون في فلسطين يعدون أنفسهم فقط هم اليهود المعنيون في الأسفار السنة فقط، وما عداها فمن زيادات الفرق المدعية باليهودية، في حين نشأت تعريفات قومية لليهودي وأخرى صهيونية لخدمة الأغراض السياسية ولدولة إسرائيل[٢].

وذهبت فرقة القباليين من اليهود إلى التمييز بين اليهودي وغيره إلى الادعاء بأن: (اليهود خلقوا من طينة مختلفة، عن تلك التي خلق منها بقية البشر)[٣].

---

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة، ص١٣٢، دمشق ٢٠١٠م، دار الكتاب العربي.

(٢) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، المجلد الأول، ص٩٠ - ١٠٥، دار الشروق.

(٣) المصدر السابق: عبدالوهاب المسيري، ص٤١، ص٥٦.

ب- خلاص الرب لليهود من ذنوبهم

تنص التوراة في كتاب أشعيا (١١/١١ - ١٢) على بشرى لليهود واجتماعهم، بعد شتات في أرض الميعاد، حيث سيحكمون بالعدل والسلام، وأن من سيظهر للحكم بالعدل، هو من سلالة داود عليه السلام، وأن الرب سيخلصهم أخيرًا من جميع شرورهم، وقد ورد في زكريا (٨): (كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل، فأنتي أخلصكم فتصبحون بركة)، وهذا الخلاص الذي ورد عن طريق الأنبياء أشعيا وزكريا وغيرهم، إنما كانت تخص رجوع المسبيين من بابل إلى فلسطين، لتخلصهم من الاضطهاد والاستبعاد، وقد تحقق هذا الخلاص على يد الملك الفارسي كورش، كما هو معروف، ولكن رجال الدين اليهودي يحرفون نصوص الأنبياء هذه، لتعم جميع اليهود في شتات الأرض، وهو أمر قد درجوا عليه، وأشار إليه القرآن الكريم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٦)، وقد استغلت الصهيونية هذا التحريف، وزادت عليه بقصد حث اليهود على العودة إلى فلسطين[١].

جـ- إن الله قد اختارنا من بين خلقه وسيثأر لنا

ورد في التوراة حث لليهودي على الصلاة والدعاء المخصوص، وذلك كما يقول البعض (.. لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض، التي أقسم الرب لآبائك أن يعطيهم إياها طيلة أيام السماء والأرض)، (انظر التوراة سفر التثنية ١١/ ١٣ - ٢١).

---

(١) محمد يونس هاشم: المصدر السابق، ص٥٥، وما بعدها.

وفي الصلاة اليهودية أدعية كثيرة، تطلب من الرب أن يعجل لهم بالفرج؛ لأنه قد اختارهم من بين خلقه، ووعدهم بالنصر، وفي جزء آخر من الصلاة، يشكر اليهودي الرب على (... وأيدتهم في خصومتهم، وحكمت حكمهم، وثأرت انتقامًا لهم، سلمت الجبابرة بيد المستضعفين و...).

القاعدة عند اليهود، تقضي بحق الابن البكر في الميراث، ثم عدلت إلى أن يكون له سهمان، وكما كان إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم، لكنهم عدلوا عن ذلك باجتهاد أن إسماعيل ولد الأمة المصرية، لا ينطبق عليه اختيار الرب لشعب إسرائيل من نسل إسحاق[1].

وفرقة اليهود القريزيون يعدون أنفسهم هم العلماء الأتقياء، وأن الآخرين (من عامة الأرض)، أي عوام الأرض[2]، وقد ورد في سفر التثنية: (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختارك الرب لتكون له شعب أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) (الإصحاح ٧/ ٦).

وقد ورد في التلمود: أن أرواح اليهود قد تحررت من الله مباشرة، لا من آدم.

وفي التوراة أن الرب خاطب النبي داود: (... لأن الرب خاطب إسرائيل إلى الأبد، جعلك ملكًا لتجري حكمًا وبرًا) (الإصحاح ١٠/٩)، وادعى اليهود أن الله قد سخط على جميع الأمم عدا إسرائيل التي أحبها وحدها: (... لأن الرب قد سخط على جميع الأمم...) (الإصحاح ٣٤/١ - ٣)، وأمرت التوراة اليهود بألا يشفقوا بهذه الأمم، ولا يقطعوا لهم عهدًا (الإصحاح ٧/ ١ - ٢)، وطلب

(١) المصدر السابق: ص١٩٧.
(٢) المصدر السابق: ص٢١٠.

نص التوراة من اليهود ألا يدخل في دينهم غير بني إسرائيل (الإصحاح ٢٣/ ١ - ٣)، وشجع اليهود على الاستيلاء على أموال خصومهم ومخالفيهم من المسيحيين وغيرهم، فأموالهم كالرمل في الصحراء، أو كالماء بالبحر، قد يعبرون عن ذلك، وتحرم التوراة استعباد اليهودي لأخيه اليهودي، أما الآخرون فهو جائز، لأن الأمم الأخرى إنما خلقت عبيدًا وخدمًا لبني إسرائيل (الإصحاح ٢٥/٣٩ - ٤٦)، ولأنهم يهود قد اختارهم الله فإنهم لن يعذبهم الرب، حتى إن أذنبوا بل سيغفر لهم، لأنهم أبناؤه وأحباؤه (المزمور ٨٥/١ - ٢)، كما ادعى اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، قد حكى القرآن الكريم هذه الدعاوى[١].

اختيار الخالق للشيعة

يدعي الشيعة الإمامية أن الله قد اختارهم من بين خلقه، بل من بين بقية المسلمين، ذلك أن بني آدم خلقوا من الطين، ولكن أرواح الشيعة والأئمة خلقوا قبل أبدانهم من نور معلق تحت العرش قبل خلق آدم[٢].

ولأن أمر الشيعة وعقائدهم، كما نقل في الأحاديث: (إن أمرنا صعب مستصعب)، أي من الصعوبة أن يؤمن به الإنسان، سوي العقل؛ لذا فقد اختار الله الشيعة فقط لهذا الأمر؛ كي يحملوه ويؤمنوا به، فهو صعب حتى على (الملك المقرب، أو النبي المرسل)، ولكن الشيعة قبلوه؛ لأن الله قد خلقهم من طينة مختلفة عن الآخرين[٣].

---

(١) عبدالوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، المجلد١، ص٥٦، دار الشروق. ومجلد٢، ص٢٦.

(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص٢٦١.

(٣) الكليني، الكافي: الأصول، ص٢٣٨ - ٢٣٩.

وتصنف أحاديث الشيعة خصومهم، وتصفهم بأوصاف سيئة، فما يبقى عليها إلا هم الصفوة.

يروي الكليني عن سليمان بن خالد عن الصادق قوله: (أهل الشام شر من أهل الروم، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة)[1]، ويعلل حديث آخر ما سلف، بأن أهل الروم كفروا، ولكن لم يعادوهم كأهل الشام.

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره للقرآن في معرض الآية: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (النور: ٣٦)، عن الإمام الرضا: (... نحن أبناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا... وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم... ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة...)[2].

وادعاء اختيار الشيعة من قبل الله ليس في الدنيا وإنما أيضًا في الجنة، ففي حديث طويل ينسبه الطوسي في أماليه، أنه يوم القيامة يسأل الداخلون في الجنة: من أنتم؟ فيجيبون: نحن العلويون، فيدخلون مع من يوالون[3].



(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٥٣٨.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٨٠.

(٣) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٣٢، بيروت ١٩٨١م.

الفصل الرابع

آل موسى وآل محمد وعلي

وصية النبي موسى ليوشع بن نون بعده

ورد في التوراة: أن الرب طلب من موسى أن يوصي بيوشع، أن يكون بعده راعيًا لبني إسرائيل: (... ففعل موسى كما أمره الرب، أخذ يوشع وأوقفه قدام العازار الكاهن، وقدام كل الجماعة، ووضع يده عليه، وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى)، (الإصحاح ٢٧/ ١٥ - ٢٣).

وتشير نصوص التوراة إلى حصر الملك عند بني إسرائيل، بنسل النبي داود، متعلقين بأيام الرخاء والسيادة التي مرت عليهم، في مملكة داود، وابنه سليمان عليهما السلام. جاء في سفر إرميا: (لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على الكرسي بني إسرائيل)، (انظر الإصحاح ٣١/ ١٧).

وجاء في سفر الملوك الأول: (ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد من عند الرب) (الإصحاح ٢/ ٣٣)، (وانظر كذلك المزامير ٨٩/ ٢٠ - ٣٦).

فالملك عندهم أصله وصية نصية، ثم هو محصور في بيت واحد، ونسل واحد فقط، كما تشير النصوص. وقد تعلق اليهود ببناء هيكل سليمان، الذي دمره نبوخذ نصر، ويرون أن تابوتًا كان قد وضعه سليمان في الهيكل لتقديسه، وأضحى الإسرائيليون يحملون هذا التابوت في حروبهم؛ لاعتقادهم أنه يجلب لهم النصر على عدوهم (انظر سفر صموئيل الأول ٤/ ١ - ٧).

وصية الرسول محمد ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

يـرى الشيعة أن لكل نبي وصيًّا، فكما أن موسى قد أوصى ليوشع بن نون أن يأتـي بعـده، كذلك الرسول محمـد ﷺ، أوصى ونص علـى أن يخلفه علي ابن أبي طالب، وادعوا أن ذلك تم في غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه). واحتجاج الشيعة بهـذا الأمر مشهور ومبسوط، لا حاجة للاستغراق فيه، لكن يصل بهم الحد للاحتجاج أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب للرسول محمد ﷺ أن يخلفه ولد، وذلك لحكمة، مجيء وصية علي بن أبي طالب بعده[1].

الأسباط عند اليهود

السبط هو ولد الولد، واستعملت في المصادر القديمة التي تحكي تاريخ الإسرائيلـين بمعنـى القبائل، وفي تـراث اليهودي أن العز والقـدرة والنباهة والنبـوة، انحصـرت في ولد يعقوب بـن إسحـاق الأربعة، وهـم لاوي ويهودا ويوسف وبنيامين، والباقون من ولد يعقوب أصبحوا أسباطًا بهؤلاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى أسباط بني إسرائيل عدة مرات قاصدًا المعاني أعلاها[2].

الأسباط عند الشيعة

قيـل : إن أول مـن جاء بفكرة الأسباط الأربعـة هو عبدالله بن حرب، حيـث هو الذي وصف أبنـاء الإمام علي بن أبي طالب بأنهـم أسباط، فكما أن أبنـاء يعقوب أصبحوا أسباطًا، للصفات المذكورة فيهم، فإن أبناء الإمام علي الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، هؤلاء الثلاثة مع أبيهم علي هم

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٥٨.

(٢) علي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، جـ٢، ص٨١.

أسباط أربعة، ويشرح سعد القمي في كتابه المقالات والفرق، وهو من مصادر الشيعة الموثقة، أن أولاد يهودا (السبط الأول)، هم النبي داود وسليمان، ولاوي (السبط الثاني)، فأولاده موسى وهارون وعزير وحزقيال أما يوسف (السبط الثالث)، فأولاده يوشع بن نون، وهو وصي موسى، أما السبط الرابع يامين فأولاده طالوت[1].

٣ - فكرة المسيح المخلص (والمنتظر) عند اليهود

بسبب الاضطهاد الذي تعرض له اليهود قديمًا في مصر على يد الفراعنة وفي وادي الرافدين، على يد نبوخذ نصر، وفي فلسطين، على يد الكنعانيين، خصومهم التقليديين، حاول شراح اليهود ورجال دينهم تأويل بعض نصوص التوراة، بأنهم ينتظرون أن يأتيهم مسيح مخلص من جميع تلك الآلام ويجمعهم بعد شتات.

يذكر في التكوين (٤٩/ ١٠)، (لا يزال صولجان من يهوذا ومشترع سلالته حتى يأتي (شيلو) وتطيعه الشعوب)، وفي (العدد ٢٤/ ١٧): «إنني أراه وليس حاضرًا أبصره، وليس قريبًا يبرز ككوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب ويخسف كل أبناء الغرور).

وقد أضفى شراح اليهود على النبي إلياهو المذكور عندهم، صفات تقربه من ادعائهم بأنه هو المخلص، وهو المسمى عند المسلمين بإلياس، (انظر الملوك الأول ١٦/ ٢٩ - ٣٣) وفي (أشعيا ٩/ ٦ و٧)، نص صريح واضح، سيأتي لهم ابن مخلص يكون رئيسًا يعم به السلام، وعندها كما يقول النص يرعى الذئب والنمر مع العجل و...

(١) سعد القمي: المقالات والفرق، ص٢٧ - ٣٠.

وفي هـذا الجو كما يصور النص أن يمتنـع الأسد من الافتراس ويأكل التين (انظر سفر إلياهو ٦٥).

وقـد ظهـر بين اليهود إبـان الحكم الرومـاني أدعياء كـثر، قالوا: إنه المسيـح المنتظر، ولكـن الجيش الروماني قتلهم وأتباعهـم، واستمر الادعاء بمـن ينسب نفسه للمسيـح المنتظر الذي وعد به اليهـود حتى في ظل الدولة الإسلامية، ففي عهد عبدالملك بن مروان سنة ٦٨٥م، ظهر رجل في أصفهان اسمـه عويدا، ادعـى أنه المسيح المنتظر، وفي عهد عمـر بن عبدالعزيز سنة ٧١٧م، ظهـر في سوريـا سورينوس، ادعى أنه المسيح المنتظر في كتب اليهود، وعـزي ظهـوره إلى الحرية الدينيـة في عهد هذا الخليفة العـادل، وقد ظهر أدعيـاء بأنهم المسيح المنتظر بين اليهود في عهـود وبلاد مختلفة من العهود الصليبية، إلى بلاد المغرب وفارس والعراق[١].

معركة هر مجدوم ونزول المسيح

لقـد تأثر المسيحيـون البروستانت بدعوى اليهـود الخاصة بالمخلص، وظهـوره آخر الزمان، وأضافوا إليها بأن المخلص هذا سيكون المسيح نفسه، ولكـن قبل نزول المسيح لا بد مـن حصول مقدمات فيما يـرون، منها إقامة دولـة إسرائيل لتجمع اليهود مـن الشتات، ثم وقوع معركـة فاصلة بين قوى الخير والشر (هر مجـدوم). حيث يتم في النهاية تنصير اليهود أو القضاء علـى من يرفض ذلك، وقـد استخدم البروستانت قـراءة مغلوطة ومحرفة للإنجيـل جمعوا بينهـا وبين نص التوراة المحرف هو الآخـر أيضًا، وهذا في رأيهم كله تمهيد لظهور المخلص، فالمخلص لا يظهر فجأة[٢].

(١) انظر في تفصيل ذلك حسن ظاظا: المصدر السابق: ص١١٧، وما بعدها.

(٢) محمد يونس: المصدر السابق: ص١٩٢، وما بعدها.

الإمام المنتظر عند الشيعة

لقد عالجنا دعوى الشيعة المتعلقة بنسبة الإمام الثاني عشر المدعى به محمد بن الحسن العسكري، واختفائه وهو طفل في سرداب في سامراء، وذلك في كتابنا جذور التشيع.

وقد ادعى الشيعة الإمامية أن الإمام المنتظر سيظهر ويملأ الأرض عدلاً وحكمة، وسينتقم من أعدائه وأعداء آبائه، وادعوا أن ظهوره منصوص عليه ولا يشيرون إليه بالاسم، وإنما يشار إليه بعدة صفات: صاحب الزمان، صاحب الدار، المنتظر، الإمام الغائب...

فقد وردت أحاديث عندهم بالنهي عن الاسم، وفصلوا في حال غيبة الإمام، وذكروا كراهية القول بتوقيت ظهوره، وأن غيبته إنما هي تمحيص وامتحان للمؤمنين[1].

وحينما يظهر الإمام الغائب، فإنه سيحكم بشريعة سليمان وداود.

وفي تفسير القمي للآية: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (النمل: ٦٢)، عن الصادق أنها نزلت في القائم من آل محمد[2]، وهو عندهم المهدي المنتظر.

وهناك تفاصيل كثيرة تسردها كتب الشيعة، حول خروج المهدي، وما سيفعل بالعرب خاصة بمكة، وسينتقم من جميع أعداء الشيعة، الذين سيرجعون للحياة لهذا الغرض قبل يوم القيامة، وسيحكم المهدي بشريعة داود، وينفذ حكمه دون طلب البينة، كما ينقل ذلك الشيخ المفيد[3].

---

(١) انظر هذه التفاصيل في كتاب الكافي (الأصول) الكليني، ص١٢٠ - ٢٢٠.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص١٠٥.

(٣) المفيد: محمد بن محمد النعمان: الإرشاد، ص٣٦٥، بيروت ١٩٨٩م.

الإمـام الغائـب يرون أنـه الإمـام الثاني عشـر، وهو محمد بـن الحسن العسكري (نسبة إلى عسكر سامراء) وأنه ولد بسامراء سنة ٢٥٦هـ وقيل ٢٥٥هـ، وغاب بسرداب في سامراء وعمره في روايات مختلفة بين أربع سنوات إلى إحدى عشرة سنة، وأكثر الروايات أنه غاب سنة ٢٦٠هـ وهي سنة وفاة والده.

والروايـات التـي ذكرها المجلسي في كتابه بحـار الأنوار نقلاً عن كتب قديمـة تذكر أن أم الإمام المهدي اسمهـا نرجس وهي جارية رومية[١]. ونقل من كتاب (غظ) رواية خرافية مفادها أن الإمام أبا محمد الحسن العسكري أرسـل أحد خدمه من سامراء إلى بغداد؛ ليبتاع لـه جارية كذا وكذا، وكتب له كتاباً باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك وتبين له من قولها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حلمت حلماً أن المسيح ابن مـريم قد زوجهـا من أبي محمد الحسـن العسكري، فلما قـدم بها سامراء وسلمهـا لأبي محمـد قال لها أبو محمد: هـل تريدين كذا دينـار أم بشارة، فقالت: بل بشارة بولد، فقال لها: أبشري بولد يملك الدنيا فهي أم المهدي[٢]. وتنهى الروايات المدونة عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر صريحاً كذا: محمد بـن الحسن، بل يجب أن يدعى: بالحجة من آل محمد أو القائم أو المهدي أو صاحب الزمان، أو صاحـب العسكر أو صاحب الناحية المقدسة[٣]. وتختلف روايـات أخرى أن أم المهدي اسمها ريحانة، وقيل صقيل أو سوسن[٤]. وتروى عنـد مولـده خوارق منهـا أن فلانًا عطس عنده بعد مولـده بليلة واحدة فرد

---

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص٢.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص١.

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص٣٩ وص٢٣٧ وص٢٤٢.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. جـ٣. ص٩٨. وهذا الاختلاف الكبير عند مصادر الشيعة القديمة ألقى الشك استناداً لروايات أخرى بأن الإمام الحسن العسكري لا ولد له وأن وارثه الوحيد هو أخوه جعفر. انظر المجلسي. المجلد ١٣. ص٢٤٤.

عليه القائم: يرحمك الله. وأن فلانة قد شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه ذلك فرد عليها: هم الملائكة نزلت تتبرك به [1]. ورواية تذكر أن القائم شوهد يمشي بالدار يتكلم الفصحى بعد ولادته بأربعين يوماً [2].

وفي هذه الروايات تشبيه واضح واقتباس مما ذكر عن ولادة المسيح ابن مريم ونزول الملائكة حين مولده وتكلمه بالمهدي كما هو مذكور في العهد القديم.

وتصفه روايات الشيعة بأنه شاب وسيم يلبس البياض ويركب حصاناً أبيض، وقد كان الشيعة لعهد قريب يهيئون حصاناً أبيض عند السرداب بسامراء ربما ليركبه عند خروجه. وقد وُجِد الشيعة حول هذا السرداب أو يأتون من أماكن بعيدة حاملين الأموال بما يسمى حق الإمام لتسليمه إلى وكيله، ويدخلون ما يعن لهم من أسئلة حول دينهم في رقعة إلى داخل السرداب، ويدعى أن الإمام الغائب يجيب عنها بواسطة وكيله. ودامت هذه الحال إلى ما يقرب من سبعين سنة تعاقبت فيها أربعة وكلاء للإمام الغائب يسمون بالسفراء، وهذه المدة هي ما تسمى عندهم بالغيبة الصغرى، حيث تمتد من سنة ٢٦٠هـ إلى وفاة آخر سفير كما سنرى حيث دخلت مدة الغيبة إلى ما يسمى بالغيبة الكبرى. واضطراب هذه الروايات يدل على عدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري وأن غيبته حديث خرافة.

وتسوق روايات كثيرة مسندة إلى أقوام رأوا الإمام الغائب وتدور على قصص فيها الخرافة، فينقل الطوسي في كتابه الغيبة (غيبة الإمام

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ب – جـ.
(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٧٧.

الثاني عشر) أن رجلاً رأى الإمام الغائب سنة ٣٠٩هـ بعد رجوعه من الحج، ورأى من علامة كونه الإمام الغائب أن الجمل يرتفع بالإمام من الأرض إلى السماء[1]. كما تذكر قصص لقوم لا يذكرون أنهم رأوا الإمام إلا بعد مدة من الزمن، فهذا رجل يذكر أنه رأى الإمام الغائب في الكعبة في أثناء الحج يحدث الناس في حلقة علم[2]. كما ينقل الشيخ المفيد محمد بن محمد ابن النعمان في كتابه الإرشاد أن حكيمة بنت محمد بن علي قد رأت الإمام الحجة يوم مولده، وأن خادمة لإبراهيم بن عبده النيسابوري رأت الإمام الحجة عند الصفا في الكعبة وهو يحدث الناس. كما ذكر أن عمرو الأهوازي قال: أرنيه الإمام أبو محمد الحسن العسكري وقال هذا صاحبكم[3].

وقد جمع المجلسي من كتب الشيعة الكثير من الروايات والقصص التي تدور على رؤية الإمام الغائب غالباً في أثناء الحج أو عند سرداب سامراء، وبعضها ينسب أصحابها أن الحجة قد شافاهم من أمراض يشكون منها كمرض الفالج وعمى العيون [4]. ومن طريف ما قرأت قصة محكية عن علي ابن فاضل المازندراني الذي حدثهم في مدينة الحلة في العراق أنه سافر إلى الشام ثم مصر ثم ركب البحر إلى الأندلس، ومنها إلى ما سماه الجزيرة الخضراء في وسط البحر، حيث وجد أهلها شيعة إمامية "اثنا عشرية"، وتلقاه إمام المسجد وأكرمه فتبين للمازندراني أن إمام المسجد من أولاد الحجة الإمام المهدي، وزار المازندراني من جملة ما زاره قبة عليها خادمان، وكان إمام المسجد يرقى إليها ليكتب إلى الإمام الحجة، فيخرج له جواب

(١) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٥.

(٢) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٢. وقد أورد الطوسي في هذا الكتاب. ص ١٧٠ أخبار من رأى الإمام الغائب وصفته.

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٥٠ — ٣٥١.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ١١٨ — ١٢٣.

أسئلتهم. ولما طلب المازندراني هذا من إمام المسجد أن يرى الحجة أجابه بالمنع، ثم قال له: إنك رأيته مرتين، ولكنك لم تتنبه أنه الحجة؛ مرة في سامراء ومرة في موضع كذا، فذكره الحادثتين فتذكرهما المازندراني[1].

وأمثال هذه الروايات قد دفعت أحد علماء الشيعة المتأخرين وهو حسين ابن محمد النوري الطبرسي إلى تأليف كتاب: (جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى). وقد طبع في آخر الجزء الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار للمجلسي أورد فيها تسعًا وخمسين حادثة رؤية الحجة في تواريخ مختلفة تقع ما بين سنة ٣٩٢هـ - ١١٨٦هـ. استغرق تسطيرها ما بين ص ٢٥٢-٢٩١ من كتاب بحار الأنوار، الجزء الثالث عشر. والمهم أنها جميعاً بعد الغيبة الكبرى. وساق المجلسي رواية من أحد الكتب القديمة عن شخص طلب عدم ذكر اسمه كيف أنه نزل السرداب بسامراء سنة ٦٣٥هـ، ووضع فيه كتاباً فيه أسئلة، وأنه شاهد الحجة، وحمل عنه رقاعاً ورسائل[2].

ويقع علماء الشيعة وأتقياؤهم في حيرة في كيفية التوفيق وتصديق الروايات المروية والمتضاربة في موضوع رؤية الإمام الغائب، أو أنه يكتب للصفوة من الشيعة، فيكاد إجماع الشيعة ينعقد على صحة رواية عن السفير الرابع والأخير علي بن محمد السيمري، حيث وصلت له رقعة من الإمام الغائب وبتوقيعه قبل وفاة السيمري بشهور سنة ٣٢٩هـ ورد فيها: «لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفترٍ»[3].

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٢. ص ١٤٤ - ١٤٨.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ١١٨. والرواية من كتاب (نجم).

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٢٨٥.

وفي رواية أخرى عن السيمري يذكر النص هكذا «... من يدعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ[1]. وللخروج من هذا المأزق يرى البعض أن الحديث السالف آحاد لا يلزم تصديقه، حيث تعارضه أخبار كثيرة وردت في مشاهدة الإمام الغائب كالتي سقناها آنفاً وقيل: لعل المقصود بانقطاع المشاهدة على السفراء الأربع لا بسائر الخواص من علماء الشيعة. ورأي ثالث ذهب إلى أن قول الإمام الحجة السالف إنما يؤخذ في حال حكم بني العباس الذين يخشى الإمام أن يقتلوه، أما بعد أن يأمن فإن أولياءه يشاهدونه ويكتب لهم.

ورأي رابع يؤوله إلى أن المشاهدة المنفية إنما هي أن يشاهد الإمام، ويعلم أنه هو الإمام الغائب حال المشاهدة لا بعدها. وتذهب رواية أخيرة منسوبة عن الكليني في الكافي والنعماني في كتابه الغيبة في غيبته، وعلق على ذلك حسين بن محمد النوري أن ذلك قد يكون في كل عصر ثلاثون ولياً يتشرفون بلقائه[2]. وهكذا فتح الباب على مصراعيه بعد أن كان مغلقاً، فما الداعي إلى ذلك يا ترى؟

إن هذه حاجة مهمة يحتاج إليها بلقائه أئمة الشيعة خاصة من الناحية السياسية، حيث قد يحتجون بأنهم يتلقون الأوامر من الإمام الغائب.

إن عناصر الفكر اليهودي قد تسربت إلى فكرة الإمام الغائب بطرق شتى، منها الإمام المنتظر حينما سيظهر أمره سيحكم بشريعة النبي داود عليه السلام، روى الكليني فقال في الكافي: «قال أبو عبدالله رضي الله عنه: إذا قام قائم

---

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص٢٨٥.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٢٨٥ – ٢٨٦.

آل محمـد حكم بحكم داود وسليمـان ولا يسأل البينـة»[1]. وفي رواية أخرى تخفـف هذا الاتجاه الكلي نحو اليهودية تقـول: إن القائم سيحكم لكل فرقة بكتابهـا؛ لأهل التـوراة بتوراتهـم، وأهل الإنجيـل بإنجيلهم، وأهـل الزبور بزبورهم، وأخيراً أهل القرآن بقرآنهم "[2]. وهذا اتجاه أممي يشبه ما ظهر لاحقـاً في الهند مما يسمى بدين أكبر كما سبقـت الإشارة إليه: كما تذهب روايات إلى أن القائم سيهدم مسجد رسول الله ﷺ وكذلك المسجد الحرام، ويردهمـا إلـى أساسهما الصحيـح في رأيهم. كما يخرج أبـو بكر وعمر من قبرهما ويصلبهما ويحرقهما[3].

والدوافـع السياسيـة واضحـة فيما وضـع في أفـواه الأئمة مـن أقوال تخص ما سيفعله الإمام الغائب بعد ظهـوره، فهو سيستأصل العرب وقريشًا مـن شأفتهـم، روى النعماني في كتابه «الغيبة» عن الحـارث بن المغيرة أن أبا عبـد الله ﷺ قال بهـذا الخصوص: «ما بقي بيننا وبين العـرب إلا الذبح»[4]. ولهـذا فإن العرب في رأيهم لن يخرج منهم مع الإمام الغائب أحد ذلك. وأنه لـن يبقى منهم إلا القليل[5]. ولذا سيبلغ بالنـاس الشك، ويقولون: إن الغائب ليس من آل محمد، فلو كان كذلك لرحم[6]، وهذا إرهاص وتهيئة النفوس لما يـودون القيـام به مستقبلاً في الحرمين، وغيرهما على يـد أناس لا صلة لهم بالعرب، وكل هذا يُؤخذ رد فعل ضد العرب.

---

(١) الكليني. الكافي. جـ١. ص ٣٩٧.

(٢) النعماني. الغيبة. ص١٥٧.

(٣) المجلسي. البحار. جـ ص.

(٤) النعماني. الغيبة. ص ١٥٥.

(٥) النعماني. الغيبة. ص ١٣٧.

(٦) النعماني. الغيبة. ص ١٥٤.

وإذا كان مبدأ الإمامية القدماء هو فقط الانتظار لظهور الإمام الغائب لإقامة دولته، ويروون بذلك أحاديث عن الأئمة بلزوم الهدوء وعدم إعلان نواياهم، فإن المتأخرين من الإمامية لما توافرت لهم حرية القول ذهبوا إلى القول بوجوب التوطئة لظهور الإمام الغائب، وذلك بالعمل السياسي والثورات والتحضير لقيام الدولة(٧).

وبعد الحكم البويهي أصاب سامراء نوع من الإهمال، وأضحت مدينة الحلة مركزاً شيعيًّا يدرس فيها طلاب العلم، وكان لها شأن في نكبة هولاكو ودخول التتار العراق كما قدمنا، فقد ساد في أوساط الإمامية أن ظهور الإمام الغائب سيكون في الحلة في جامع ما يسمى «آخر الأئمة»، وقد زار ابن بطوطة هذا المسجد، وذكر أن على بابه ستارة حرير، وكان من عاداتهم أن يخرج في كل ليلة رجل مسلح يأتون المشهد، وينادون بطلب ظهوره(٨).

إن فكرة الإمام الغائب وجدت أيضاً عند اليهود خاصة في فترة السبي البابلي، حيث ذاق اليهود المهانة والتشريد على يد نبوخذ نصر سنة ٧٢١ قبل الميلاد على يد الآشوريين. ففي التلمود البابلي الذي كتبه أحبار اليهود في بابل يذكر أن سيظهر المسيا من نسل داود، وسيعيد دولة داود في فلسطين ويقيم بناء الهيكل، وأنه سينتقم من أعداء اليهود وسيكون اليهود هم سادة العالم؛ لما بيدهم من أموال(٩).

وقد أوضح أحمد الكاتب كيف تطورت فكرة الشيعة في القرن الأول الهجري من مجرد أحقية الإمام علي في الخلافة بكونه أفضل القوم إلى أن

---

(٧) عبد الهادي الفضلي. في انتظار الإمام. ص ٥٧.

(٨) دونالدسون. الشيعة. ص ٢٤٧.

(٩) د. محمد البار. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص ١٠٨. وما بعدها.

طورها متكلمو الإمامية إلى دعوة النص والعصمة في القرن الثاني الهجري، وبحث أحمد الكاتب كيف ولماذا ادعى الشيعة (الاثنا عشرية) في بداية القرن الثالث الهجري غيبة الإمام الثاني عشر، فمن كون الغيبة حديث خرافة وكيف تكلم الشيعة (الاثنا عشرية) بتأصيل فكرة الإمامة المبنية على النص والعصمة ثم على الغيبة، وأن الإمام الغائب سيظهر فيما بعد يملأ الأرض عدلاً، وخلاصة بحثه: أن هذه النظرية لم تكن إلا من صنع الشيعة الغلاة، ولكن الشيعة (الاثنا عشرية) لم يستطيعوا التخلص من ذيول هذه النظرية، ومما دخل عليهم من معتقدات الغلاة[1].

حق التضحية بالآخر عند اليهود

١ - في القرن الرابع قبل الميلاد، بعد السبي البابلي، وبعد إعادة كتابة التوراة ٥٨٩ ق.م. ظهور التلمود، وهو تفسير أحبار اليهود، وهم ضعاف في العراق خاصة، فيه ظاهر حب الانتقام، وعقدة الغالب، ونظرية حق الغالب، إذن لابد من إعادة (الفصح اليهودي) المستخرج من سفر الخروج.

وهم في العيد يمثلون إعادة وتضخيم ما وقع على اليهود من ظلم فرعون، وأنهم في العيد يأكلون خبزًا من غير خميرة، معجون بالدم النقي من نصراني. في بولندا عام ١٨٤٠ حادثة فيلكس هويزا ضحى بها اليهود من أجل فطيرة العيد، وارتبط عيد الفصح وعيد البوهيم، وعيد تطهير الموضح لإسالة دم الطفل مقطوع العلقة، ويجب أن يكون من دم شاب نقي ولنص: «يحل بقر الأممي (البوهيم) حتى في يوم السبت»، نص وشاع خطف الأطفال، وحوادث خطف الأطفال مسجلة في بريطانيا، وحلب، وبولندا منذ ١٨٠٠ م، سنة ١٨٤٨م حادثة خطف شاب نصراني من بور سعيد.

(١) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي، ص ١٠١ وما بعدها.

الأسفــار الستة تعكــس صورة الانتقــام والتضحية بالآخــر، ففي سفر التكويــن الوعــد الأبــوي يهوه يعــد بإعطاء شعبــه الأرض، يبرر يهــوه السبي والتضحيــة بالآخــر «حتى أدخلكم الرب إلى الأرضــ التي وعدكم، وطرد من أمامكم سبع أمم... فإنكم تحرمونهم فلا تقطعوا لهم عهدًا، ولا ترفقوا بهم، ولا تصاهروهــم ولا ... اهدموا سواريهم، واحرقــوا تماثيلهم و...» ١٨ - ١٦ سفــر التكويــن، «... لا تستبقوا منهم نسمــة... »، «وإذا يسير ملاكي أمامك الذي أنا أبيهم... أزعجهم...».

«... ابعــث الزنابــير أمامك، ستطرح الحوتيــين...»، «لن أطردهم في سنــة واحدة كــي لا يتكاثر عليك وحوشــ البرية، بل تدريجيًّــا، ريثما تثرون البــلاد... من البحر الأحمــر إلى الفرات» سفر الخــروج، سفر يوشع، سفر دموي، يتحدث بشكل واضح مــبررًا لليهود التضحية بدم الآخر، وهو يصف يهوه، وفيه تبرير أخلاقي وديني.

الاحتجاج السادس الآية ٢٠: «... رفيق الشعب ونفخ الحاخامات، و... دمروا المدينة، واقضوا بحد السيف على الناس والبقر و... وقتل يوشع ملكها ... توجــه إلــى أريحا فأسلمهــا الرب وقتلوا كل نفس فيهــا ...»، وهنا النص يعطي اليهود مبررًا لقتل الآخر وأخذ أرضه، والانتقام...

أي إن الخلاصــ عنــد اليهود لا يتم إلا بالتضحيــة بالآخر، وقد تأثرت المسيحيــة بهــذه النصوصــ واستعملتها في الحــروب الصليبيــة، والحروب الحديثــة في الشرق الأوسط، أفكار الرئيس الأمريكي بوش في حربه للعراق، لا تنفصل عن هذه المبررات الماسونية وشعاراتها مرتبطة بالجماجم والدم، إبــادة الهنود الحمر ســكان أمريكا من قبــل المهاجرين الأوروبيــين، أبيدوا

باسم الرب وتحت مبررات دينيـة متأثرة باليهودية والتوراة، حروب أمريكا الجرثومية السريـة تتم تحت هذه المبررات، استعمال المرتزقة كي يفعلوا ما يشاؤون هو تحت هذا المبرر.

ظهور المهدي وولاية الفقيه عند الشيعة

٢ - ولايـة الفقيه: تعطي مبررًا للفقيـه أن يقوم بأعمال فيها حث على القيام بأعمال المهدي.

- قتل الناصبي والتضحية فيه.

- جيش المهدي ما هو؟ ولأجل ماذا؟

تاريخ مـا بعد الظهور، محمد باقر الصـدر، سيناريو القتل والطوفان والقتـل والتمهيد، ينص على كشط الأرض، حتـى صارت عند بعض الشيعة أن المهدي سيخرج سنة ٢٠١٢م .

قـال الصـدر في كتابه أعلاه: إنه يجوز للمهدي قتـل الآخر حتى إن لم يكن معتديًا، أي إن المهدي يهدف لقتل المسلمين، إلا أنه مكلف من الله تعالى باستئصالهم أجمعين.

في بحـار الأنوار... عن أعمال القائم مثـل ذلك، وفي ذلك تبرير حتى قتـل العرب الشيعـة ربما الإيرانيون قتلـوا السنة البلوش تحـت هذا المبرر، حديث المفضل الوارد في بحار الأنوار يبرر مثل هذا القتل.

مـن علامـات ظهور المهدي الهـرج والمرج في الحـرب، في الحج إبادة قريشـ، وقتل بنـي شيبة، ونقـل الحجر الأسـود إلى الكوفة، هـدم المسجد

الحرام، قتل علماء السنة في الكعبة، أفعال الشيعة الصفويين في إيران تعكس هذه المبادئ.

تقديس اليهود لأنبيائهم وعلمائهم وادعاء العصمة

تذكر التوراة أن الرب وصف موسى بأنه إله لفرعون، وهارون أخاه بأنه نبي لموسى (الخروج ٧/ ١)، وتضفي التوراة على النبي دانيال، دخول روح القديسين فيه، وهي فكرة تقترب من فكرة الحلول التي قال بها الصوفية فيما بعد (الإصحاح ٣٢/ ٢٤ - ٢٧)، وتنسب التوراة إلى النبي إيليا طلب نزول المطر (الإصحاح ١٨/ ٤١ - ٤٥).

وتدعو بعض تعاليم اليهود إلى ضرورة التمسك بأقوال العلماء أكثر من التمسك بأقوال النبي موسى، ففي التلمود نص يقول: «... تمسك يا بني، بأقوال العلماء أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى» ونشير إلى أن التلمود هو شرح، وتفسير علمائهم للتوراة، بل إن التلمود يطلب من اليهود ألا يجادلوا عالمهم، فمن يفعل ذلك فكأنما جادل الرب سبحانه، والتلمود الذي كتبه حاخامات اليهود مليء بتقديس رجل الدين اليهودي (الربان)، فنصوصه ترد بعدم جواز مخالفتهم، وزعموا أن الله يستشير علماء اليهود حينما يهم بحل بعض المشكلات، وزعموا أن الله يدرس التلمود في الليل، بل يرون أن الربان بعض الأحيان يعلمون أهل السماء، ويعد عندهم الربان هؤلاء معصومين من الخطأ.

تقديس التابوت عند اليهود

يشير التراث اليهودي وشراح التوراة إلى أن التوراة عندما جاء بها النبي موسى عليه السلام كانت على ألواح، ولأجل حفظها كان بنو إسرائيل

يضعونهـا في تابـوت خشبي، يحملونه معهـم أينما سـاروا، وفي حروبهم مع الآخريـن كانوا يتبركون بهذا التابوت، يستنزلون بـه النصر على أعدائهم، وقـد أشار القرآن الكـريم إلى السكينة التي كانت تدخـل على بني إسرائيل بسبب هذا التابوت.

تقديس الكرسي عند بعض الشيعة

في أثناء ثورة المختار بن عبيد الله الثقفي في الكوفة بدأ بمهاجمة بيوت مـن عرف بمشاركتـه بمقتل الحسين بن علـي رضي الله عنه، وفي أثنـاء نشوة القوم بالانتصار، ظهرت عجوز للمختار مدعية أن لديها الكرسي الذي كان يجلس عليـه الإمام علي رضي الله عنه في الكوفة، أو الذي كان يصعد عليه في خطبه، فجيء بالكرسي ووضع عليه قماشة وأخذوا يدورون به في قتالهم لجيش ابن زياد في الكوفة رافعين أصواتهم بطلب النصر، وتلا بعضهم الآية الكريمة الواردة في القرآن، والخاصة بتابوت بني إسرائيل، الذي كان فيه سكينة عليهم، ويذكر الطـبري أن السبئية رفعوا أيديهم وكبروا للكرسي، وعندما نهرهم شبث بن ربعـي، طالبًا ألا يكفروا، طردوه وأخرجوه من صفوفهم، ولما شاهد إبراهيم ابـن الأشتر النخعي هذا الوضـع، قال: اللهم، لا تؤاخذنا بمـا فعل السفهاء منا، وقال: هذه صفة بني إسرائيل[1].

تقديس الشيعة لأئمتهم وعلمائهم

يـرى الشيعة الإماميـة، أن الإمام هو حجة الله على خلقه، وأن الأرض لا تخلـو من حجـة، وأن طاعته مفروضة من الله تعالـى، والأئمة هم الهداة

---

(١) الطبري: تاريخ، جـ٦، ص٨٣.

وخزنة العلم، وهم خلفاء الله في أرضه، وهم الأبواب التي منها يؤتون، وهم نور الله وأركان الأرض، وأن أعمال العباد تعرض عليهم، كما كانت تعرض في رأيهم على الإمام علي رضي الله عنه، وأن الأئمة عندهم جميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه، وأنهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، كما يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وهم يعلمون ما كان وما سيكون، وأن الله قد فوض إليهم أعمال العباد، ولكن يكره القول فيهم بالنبوة، إن الإمامة عهد من الله، وإنها تثبت في الأعقاب، وأن كل إمام ينص على من بعده[١].

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره سبعة مواضع، ادعى فيها علو شأن الإمام علي رضي الله عنه، ومجاراة تلك المنزلة قرب النبي ﷺ، خاصة في الإسراء والمعراج، حيث مثال علي رضي الله عنه مع الرسول ﷺ، وقد كان علي ضمن من صلى بهم رسول الله ﷺ من الأنبياء[٢]، ونسب القمي للرسول ﷺ أنه وجد اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند سدرة المنتهى وفي الجنة، وفي ...[٣]،

ولشدة تقديس الشيعة لأئمتهم أخرجوهم من آدميتهم التي خلقهم الله عليها كما هو شأن بني آدم الآخرين، ورغم إلحاح بعض الأئمة الذين بلغتهم تلك المبالغات في تقديسهم، حيث ورد عن الصادق: «قولوا بنا ما شئتم، ولكن لا تخرجونا من آدميتنا»، رواتهم ومؤلفوهم يصرون على وضع الأئمة فوق منزلة البشر، وأنهم خلقوا في عالم الذر قبل خمسة آلاف عام من خلق آدم، خلقوا من نور معلقين تحت العرش، وتتكرر فكرة خلق الأئمة

---

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٩٠ - ١٢٠.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣١١ - ٣١٢.

(٣) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣١٤.

من نور، ينتقل في الأصلاب، ولا يستبعد أن يكون هذا الفكر مرتبطًا بثقافة الرواة الشيعة من الفرس، عن الديانة الفارسية القديمة الخاصة بالثانوية المكونة من إله الظلمة، وإله النور، وإذا قرأت في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي[1]؛ تطالعك هذه الثقافة في كثير من العلل التي يبحث عنها المؤلف، وترفع روايات الشيعة منزلة الإمام علي إلى منزلة الرسل والأنبياء، بل أعلى من منزلة موسى؛ لأن موسى بان من جهله حينما التقى الخضر حيث علمه أمورًا باطنية، فاستخدم الشيعة هذه العلة للرد على من أنكر على الإمام علي رضي الله عنه - قتله مخالفيه الذين كانوا يصلون ويحجون ويزكون، فتقول الرواية: إنه استحل قتلهم بعلم مثل قتل الخضر للغلام الذي قدر أنه سيشقي والديه[2].

وفي تعليل ابن بابويه - لوقوف سليمان على عصاه المدة الطويلة، وهو في الحقيقة ميت، علل بعضهم أنه إله، وقال آخرون: إنه لساحر، ونبي الله أيوب إنما ابتلاه الله بسلب نعمته منه ثم سلبه نعمة الصحة من بدنه رغم كونه شاكرًا لأنعم الله، لكن الشيطان سأل الخالق أن يسلطه على أيوب، فكان ذلك من فعل الشيطان، وبتقدير الله.

ويروي ابن بابويه العلة التي من شأنها سمي الإمام علي عليًا قال: «... والله الأعلى وهذا علي»[3].

أما أولاد علي فالله سمى الأول: شبر= الحسن، والثاني شبير= الحسين، ولعل المراد تقريبهم من العجم، أما نور الطينة التي خلق منها علي

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٢٥، وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص٨٢.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٦٣.

ابـن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد خسر منها الملائكة، حينما مرت عليهم في ملكوت الله.، وحـب علـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرض على الأولاد فإن أحبوهـم فهم منهم وإلا فإن أولئك الأولاد ليسوا منهم[١].

وتعكـس أحاديـث عند ابن بابويـه القمي أن الإمام علي بـن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قسيـم الله على الجنة والنار، وعلي يدخل الجنة مثل النبي ﷺ، لأنه حامل لوائه[٢]، وفاطمـة زوجة علي كانت تحدثها الملائكة، مثلها مثل مريم بنت عمران وسارة امرأة إبراهيم[٣].

وهذا التقديس عند الشيعة لم يقتصر على أئمتهم، بل جعلوه يعم على الشيعـة أنفسهـم، فالأصل أن طينـة الشيعة التي خلقوا منهـا طينة طيبة لا تدفع صاحبها إلى إثم أو محرم.

ومـا يرتكبه الشيعة من آثـام شرب الخمر، أو زنا، أو لواط، أو ارتكاب محرم، فإنه من تأثير طينة المخالفين لهم، وبالمقابل ما ترى من أعمال خير يقوم بها المخالفون، فإنهم يعملونها بسبب طينة الشيعة التي خلقوا منها، وفي يوم القيامة سيرد كل عمل إلى صاحبه، فلا يلقى الشيعة إلا الثواب الطيب، وقـد أورد ابـن بابويه القمـي أحاديث كثيرة بهذا المعنـى، وفيها تسهل - مع الأسـف - للشيعي ارتكاب المعاصي، لأنها ليست مـن طينته، ولم يقصدها، وهي من تبريرات بني إسرائيل على ارتكاب المحرمات[٤].

---

(١) المصدر السابق: جـ١، ص١٦٥ - ١٧٣.
(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٩٦ وص٢٠٥.
(٣) المصدر السابق: جـ١، ص٢١٧.
(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٠٠ - ٢٠٣.

ويـروي الشيـخ المفيد في كتابـه (الاختصاص) أحاديـث وأقوالًا ترفع الإمـام علـي رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُ، والأئمة إلى درجـات قريبة من درجات النبـوة، إلى حد القول: إن الله سبحانه وتعالى قد ناجى عليًا في الطائف، وتكاد تكون المناجاة درجـة قريبة من الوحي[1]، وهذا ما سهل علـى بعض فرق غلاة الشيعة من الادعـاء بأن النبوة أصـلًا كانت موجهة إلى علي رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس إلى محمد ﷺ ولكن جبريل صدها عن حيدرا.

ومقـولات الغلاة هذه لم يستطـع الشيعة الإمامية التخلص منها، رغم مـا فيها مـن غلو فاضح، فهذا الشيخ المفيد يـروي أن الإمام علي رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُ عرج إلـى السماء بقصد أن يفض منازعة بين ملكين تخاصما في شأن[2]، ويساير الشيخ المفيد علوم التوراة فمن كفرته التوراة من الملوك مثلًا يكفر هو الآخر.

فقـد أورد المفيد كفر الملك نبوخذ نصـر[3]، مسايرة للتوراة لأنه هدم أورشليـم، وسبى اليهـود وجاء بهم إلى بابل، وفي المقابـل فإنه يقدس كل ما جاءت به التوراة، حتى لرجال بني إسرائيل غير معروفة أعمالهم.

وقـد وصل الغلو والتقديس، عند بعضـ الشيعة للأئمة إلى درجة أنهم نسبـوا إليهـم معرفـة الغيب، ومعرفـة لغة الحيـوان والطـير، ومعرفة متى يموتون، بل نسبوا إلىبعضهم إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والشفاء مـن الأمراض العصية، ومعرفة كل ما كان وما سيكون، وهذا من الغلو الذي لم يستطـع الإمامية الخلاص منه، فقـد أورد تفاصيل تلك المعجزات الشيخ

---

(١) المفيد: الاختصاص. ص١٩٩، وما بعدها.

(٢) المفيد: الاختصاص. ص٢١٢.

(٣) المفيد: الاختصاص. ص٢٦٥.

المفيـد بوصفها خصائص تفرد بها أئمة الشيعة، وأن الله فوض إليهم إدارة شؤون البلاد والعباد[1].

وليس موسى وحده عند اليهود مقدسًا، بل هو وجميع الأنبياء مقدسون عند المسلمين، ولكن الشيعة يقدسون الإمام علي بنفس السبل التي قدس بها اليهود موسى عيه السلام، ومنها أن عليًّا كما يروي الطوسي بعد خروجه من مسجـد الكوفة، تبعه شخص مهيب أبيض اللحية، فكلمه وسار معه، ثم رجع علي رضي الله عنه، قال لأصحابه: إنه الخضر يناصحني[2].



(١) المفيد: الاختصاص. ص٢٠٠ - ٣٢٥.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٥١.

الفصل الخامس

التشابه الفكري بين اليهودية والتشيع

التقية عند اليهود

ترى فرقة اليهود المعروفين بالفريزيين التي عرفت باستخدام الدهاء، والحيلة في مسلكها، وهي التي نسب إليها التآمر، وقتل السيد المسيح، يرون إباحة إخفاء ما يضمرون عن مخالفيهم، واستخدام ذلك لأغراضهم وأهدافهم المستقبلية؛ ولهذا جاء الحكم عليهم بالإنجيل، بالتزمت الأحمق والتناقض بين أقوالهم وأفعالهم وتآمرهم، ونفاقهم[1].

وتبيح تعاليم التلمود لليهودي إخفاء مقصده بالحديث مع المخالف، وأجاز لهم النفاق، أو أن يغش الكافر، كما يقول التلمود، وحتى حين السلام والتحية أباح لهم التلمود التورية، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ (المجادلة: ٨) ، كما أجاز التلمود لليهودي أن يحلف اليمين، الغموس كذبًا مع باقي المخالفين.

فكرة التقية عند الشيعة:

مفاد هذه الفكرة أن تظهر للناس خلاف ما تبطن من الاعتقاد؛ حماية للنفس أو ما دونها. وقد كان الشيعة من المعارضين السياسيين منذ أوائل الإسلام، وبسبب معارضتهم هذه تلقوا أشد النكبات، كما أوضحنا سابقاً،

---

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص٢١٣.

فمن الطبيعي ظهور مبدأ التقية على هذا المعنى؛ حماية لهم وقد يكون هذا المبدأ هو سبب وجود الشيعة وخاصة الإمامية منهم إلى اليوم، في حين أن حزب المعارضة الثاني والقوي أيضاً قد اندثر وهم الخوارج. ولكن الشيعة قد توسعوا في تطبيق هذا المبدأ بشكل خرج عن مبررات وجوده التاريخية، وأصبحت التقية ديناً يُتعبد به عند المتأخرين.

لقد برر الشيعة سكوت أئمتهم على عدم الإنكار على مخالفيهم من الحكام والولاة بمبدأ التقية، وقالوا: إن عليًّا سكت ولم يعارض في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، تقية منه وخوف الفتنة، وكذا فعل الإمام الحسن ابنه مع معاوية سواء بسكوته عن المطالبة بالإمامة أو ما ورد عنه من تنازله لمعاوية، كل ذلك تقية منه وحماية لأصحابه، وهو أمر جائز ديانة[1]. على أن الإمام الحسين لم يأخذ بهذا المبدأ بل جاهر وخرج على السلطان وقتل ومن معه في كربلاء[2]. وتقع كتب الشيعة الإمامية في حيرة وتناقضات حين مناقشة موضوع سكوت علي تقية من أبي بكر وعمر وعثمان مع أن الروايات توضح أن الإمام عليًّا كان شجاعاً لا يهاب أحدًا في الحق، وحين عرض عليه أصحاب الشورى أن يبايعوه بشرط التزامه بسيرة الشيخين رفض، وهذا الرفض يدل على عدم أخذه بالتقية[3].

وتورد بعض المصادر الشيعية أسباباً أخرى لظهور مذهب التقية، فقد ذكر النوبختي أن بعض أصحاب الإمام جعفر بن محمد انفضوا عنه ومالوا إلى مقولة مذهب البترية الذي سبق أن عرضناه، وبعضهم أخذ بمقولة

(١) عبدالنبي الجزائري. المبسوط. ص ١٣٥ – ١٧٤.

(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. جـ١٢. ص٢٥٦ – ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق عن كتاب الشافي للسيد المرتضى.

سليمان بن جرير الذي ذكر أنه لا يمكن أن يقع على الشيعة أو أئمتهم القول بالكذب، وذلك لوجود مذهب البداء والتقية، وقال: إنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم من الحلال والحرام أجابوا فيها، فحفظ عنهم شيعتهم إجاباتهم عنها، ولكن لم يحفظ هؤلاء الأئمة هذه الإجابات؛ لتقادم العهد وكون المسائل لا ترد في يوم واحد بل سنين متباعدة، فوقع بأيدي أتباع الإمام إجابات متباينة لمسألة واحدة، فأنكروا على أئمتهم ذلك، لكن أئمتهم برروا ذلك بأنهم قد أجابوا تقية؛ لأن في ذلك بقاء الأئمة وأتباعهم[1].

ويبدو أن هذه هي الأسباب المهمة التي أدت بالشيعة إلى التوسع في القول بالتقية، فعلى ذلك شواهد في كتب الشيعة الإمامية، فقد ذكر النجاشي في كتابه (الرجال) أن عمر (ابن رباح) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الصادق، ولكن انفض عنه بسبب أنه سأل الصادق عن مسألة، فأجابه فيها بجواب، ثم أعاد السؤال عليه في عام آخر فأجابه بجواب غير الأول، فقال له: إنك أجبتني عامك الماضي بكذا، فقال له الإمام: «إن جوابنا خرج على وجه التقية» فشك في إمامته، وانفض عنه[2].

إن رفض المجتمع الإسلامي لآراء الشيعة كان من الأسباب المهمة التي جعلتهم يأخذون بمبدأ التقية، فيجيبون السائل بخلاف ما يعتقدون ويخفون اعتقادهم؛ خشية أن يفتنوا ويدخلوا في خصومات مع الآخرين، ويبدو لهذا السبب أن أئمتهم وقادتهم يأمرون بكتمان اعتقادهم وعدم إذاعته، فقد نقل المجلسي عن كتاب (سن) عن سليمان بن خالد قال:

---

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥٥- ٥٧.

(٢) النجاشي. رجال. ص ٢٣٧.

قال لي أبو عبد الله: يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله[1].

وقد عقد المجلسي في كتابه البحار بابًا طويلًا عن التقية والمداراة، فقد روي عن الإمام الصادق أن التقية تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له. وأجازوا القول بالتقية إلا في شيئين: عدم حلية شرب النبيذ والمسح على الخفين. وهذا يمثل رد فعل ضد أصحاب أبي حنيفة في الكوفة مجاوريهم الذين يقولون كما هو معلوم بحلية شرب النبيذ والمسح على الخفين[2].

ونقل المجلسي رواية عن الإمام علي قوله: إنا لنبشر في وجوه قوم وإن قلوبنا تلعنهم[3]. كما أورد المجلسي روايات عن الإمام علي تجيز للشيعة سبه إذا دعاهم المخالفون إلى ذلك، وهذا يعكس حقيقة ما أوردنا في شيوع سب الإمام في العهد الأموي. بل أورد أيضاً روايات وأخبارًا تفيد عدم تحرج الشيعي بالقول بأي شيء يرضي المخالف؛ وذلك كي يخلصوا من الرمي بالرفض، وتأمر هذه الروايات أو أخبار الإجابة بالتورية، ويحتجون بذلك أن عمار بن ياسر قد سب النبي ﷺ حينما طلب منه المشركون ذلك، وأقره الرسول ﷺ على ذلك ومازال قلبه مطمئنًا بالإيمان[4]. ونقل المجلسي عن كتاب الهداية رواية عن الإمام الصادق أنه قال: خالطوا الناس بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية مادامت الإمرة صبيانية[5].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٦ ص٢٢٥.

(٢) المصدر السابق. ص٢٢٤. عن الكليني. الأصول. جـ٢. ص٢١٩.

(٣) المصدر السابق. ص ٢٢٦.

(٤) المصدر السابق. ص٢٢٦ – ٢٢٨ وانظر أيضاً: ص ٢٣٣.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ٢٣١.

وينتهي العمل بالتقية عند الشيخ الصدوق من الإمامية بظهور الإمام الغائب، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وخالف رسوله والأئمة، وقد عقد لها فصلًا كاملًا[1].

وتطبيقات التقية عند الشيعة الإمامية اتسع العمل بها إلى أن تشمل جميع نواحي الدين بعد أن كانت في البداية مقتصرة على ما له علاقة بالسياسة والحكم، فقد أفرد الكليني رواية تذكر أن الإمام الحسين بن علي خرج في جنازة أحد المنافقين برغم إنكار أحد مواليه عليه[2].

وتذهب رواية إلى أن الإمام الصادق قد وافق أبا حنيفة على تأويل رؤيا أحد أصحاب الصادق، فلما خرج أبو حنيفة أقر الصادق لمريده أنه قد قال لأبي حنيفة: إنه قد أصاب الخطأ لا الصواب[3].

إن في تراث كتب الشيعة خاصة القديمة ما يتفق كثيرًا على ما يذهب إليه جمهور المسلمين وخاصة في أبواب الفقه، لكن دعوى التقية والتوسع في استخدامها حرمت الشيعة من موافقة جمهور المسلمين، وعززت مع الأسف من ابتعادهم وتفردهم، وهذه من أسوأ نتائج التوسع بأخذ التقية وتعزيز مبدأ الغلاة ولها خطورة كبيرة في المستقبل؛ ذلك أن من الممكن - كما حصل سابقًا - إذا اتفق الإمامية أو بعضهم مع جمهور السنة في شيء أن يحمل على التقية، فيذهب عملهم هباء.

وأورد الكليني أيضاً رواية تفيد أن الإمام الباقر كان يفتي في العهد الأموي بأن صيد البازي والصقر حلال، وذلك تقية[4].

---

(١) الشيخ الصدوق. الاعتقادات. التقية.

(٢) الكليني. الكافي الفروع. جـ٣. ١٨٩.

(٣) الكليني. الروضة مطبوع في آخر الأصول. جـ٨. ص ٢٩٢.

(٤) الكليني. الكافي الفروع. جـ٦. ص٢٠٨.

وفي المواريث وخاصة خلاف الشيعة الإمامية في نصيب البنت من الميراث الذي يختلف عن بقية المذاهب الإسلامية يورد الكليني روايات فتوى للصادق في نصيب البنت محمولة على التقية [1]. وفي مجاراة الشيعي الإمامي لمخالفيه في الصلاة ورد عن الصادق مديح للذي يصلي الفريضة، ثم يصلي مع المخالفين صلاة تقية، فإن له بذلك خمسًا وعشرين درجة من الله[2].

إن هذا التوسع في تطبيق التقية دفع مخالفي الشيعة إلى الطعن عليهم ورميهم بالنفاق والكذب، وإنه في التعامل معهم لا يمكن أن تقع على حقيقة، ولا يمكن أن تبنى عليها قولًا أو عملًا[3]. وهذه الحقيقة دفعت بعض المصلحين من الشيعة الإمامية إلى المناداة بإصلاح معتقد الشيعة الإمامية، ومنها التقية هذه، فقد ذكر الدكتور موسى الموسوي في كتابه (التصحيح) أنه لم يعد الآن من المبررات الأخذ بالتقية، وقد توافرت للجميع حرية الفكر والاعتقاد[4].

وهكذا استقر مفهوم التقية عند الإمامية على ما ذكره الشيخ المفيد بأن «التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين والدنيا»[5] ومن هنا ندرك أن الفرق بين التقية هذه ومفهوم أهل السنة بعيد حقًا، حيث إن التقية عند السنة لا تجوز إلا مع الكفار، وخاصة في بداية ظهور الإسلام، حيث أجازها الرسول ﷺ لأصحابه، فهي على هذا رخصة للمضطر كما ذكر: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [6].

---

(١) الكليني. الكافي الفروع. جـ٧. ص٨٦ – ٨٨.

(٢) الشيخ الصدوق. من لا يحضره الفقيه باب صلاة الجماعة.

(٣) إحسان إلهي ظهير. الشيعة والسنة. ص١٥٣ وما بعدها.

(٤) د. موسى الموسوي. التصحيح.. ص . مبحث التقية. مغنية. الشيعة في الميزان. ص ٥٢.

(٥) المفيد. أوائل المقالات. وشرح عقائد الصدوق. ص٢٦١.

(٦) انظر تفاسير الآية لدى الطبري وغيره من المفسرين.

ولكن الإمامية يستحلون استعمالها مع جميع مخالفيهم من المسلمين، بل يعدونها ركنا أساسيًّا في الاعتقاد، ويروون حديثًا عن الإمام جعفر أنه قال: إنها تسعة أعشار الدين ولا دين لمن لا تقية له[1]. وهي على هذا في اعتقادهم واجبة وليست رخصة خاصة في دار التقية. وقد خدمت فكرة التقية منهج الكذابين من الرواة، كما خدمت الخروج من التناقضات المنقولة عن الأئمة، ولكنها أوقعت علماءهم ومحققيهم في حيرة من عدم وضوح الرأي فيما نقل إليهم.

فكرة الرجعة عند اليهود

يؤمن اليهود برجعة الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، فقد ورد في التلمود قدرة بعض رجال دينهم على إرجاع الحياة لمن مات، جاء في سفر العدد أن شعب إسرائيل لما شكوا إلى موسى موت بعضهم، أمره الرب أن يصنع حية من نحاس، فكل من لدغته من الأموات عاد إلى الحياة، (انظر الإصحاح ٢١/ ٤ - ٨).

وكذا عند خروج المسيح المنتظر عند اليهود، ترجع الأموات إلى الحياة، (الإصحاح ٢٦/ ١٩)، وفي نبوءة حزقيال، أن أموات بني إسرائيل سترجع إلى الحياة بشكل مفصل، حيث تكسو العظام لحمًا، واللحم جلدًا، وتعاد الروح للجسد، (انظر حزقيال ٣٧/ ١ - ١٢).

وعندهم أن النبي إيليا طلب إلى الرب إعادة الحياة لابن المرأة التي يسكن بقربها، حينما طلبت منه ذلك (الإصحاح ٤/ ٣٢).

---

(١) الكافي. الأصول. جـ٢. ص٢١٧.

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره عن الإمام أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ (الأنعام: ١٥٠)، يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق، ثم قال: نزلت هذه الآية هكذا: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم في علي، قالوا أساطير الأولين)، كما أورد تفسير الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ (النحل: ٣٨)، نزلت في قوم قيل لهم ترجعون بعد الموت قبل القيامة، ولكن هؤلاء كانوا كاذبين - يعني بالرجعة -[1]، كما أورد في مكان آخر في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، يعني الرجعة[2].

الرجعة عند الشيعة:

معناها رجوع بعض الصالحين وذوي الدرجات العليا من الشيعة إلى عالم الأحياء بنفس صورهم التي كانوا عليها، ورجوع بعض المفسدين والظالمين للشيعة؛ ليقتص منهم جميع الظلامات التي اقترفوها في حقهم. ويكون ذلك عند قيام دولة آل البيت، ثم يصير الجميع إلى الموت. واحتج بعض الشيعة بالآية الكريمة: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾. فهذا لسان حال المفسدين الذين حكم الله عليهم بالرجعة، فهم يتساءلون هل من خروج لهم ثالث كي يتوبوا ويصلحوا. هذا ما عليه أكثر علماء الإمامية. وذهب آخرون إلى أن معنى الرجعة الواردة في كتب الحديث هي رجعة دولة آل

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٨٥.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص١٢٣.

البيـت بظهور الإمام المنتظر على التفصيل الوارد سلفاً من غير رجعة لأحد من الأموات سواء من شيعة أو غيرهم[1].

ولمتأخري علماء الشيعة الإمامية تفصيل في الرجعة، حيث يذكرون أن أئمـة آل البيت سيرجعـون من عالم الأموات إلى الحيـاة، فيحكمون الأرض بدءاً بالإمام علي ثم يتوفى فيخلفه الحسن وهكذا إلى أن تنتهي بظهور الإمام الغائب. وعند رجوع كل إمام يرجع معه أعداؤه فينتقم منهم. فبرجوع الإمام علـي سيرجع أبو بكـر وعمر فينتقـم منهما على سلبهما حقـه في الخلافة، وكذلك يفعل الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية[2].

ورأي الإماميـة هذا في الرجعة مستعار من فرقة الكيسانية التي سبقت الإشارة إليها، فقد حكى النوبختي في كتابه (فرق الشيعة): «وقالت الكيسانية يرجـع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها، ويرجع محمد ﷺ وجميع النبيين فيؤمنون به، ويرجع علي بن أبي طالب فيقتل معاوية بن أبي سفيان و...»[3].

والواقـع أن الإمامية قد ورثوا كثيراً مـن معتقدات الشيعة الغالية، ولم يتمكـن علماؤهم من تنقيتهـا، ففي هذا الباب قلة مـن الإمامية نفت صحة

---

(١) عقائد الشيعة. محمد رضا المظفر. ص٥٩. وساق أدلة أخرى على الرجعة، وانها ليست مستحيلة ما حكاه الله عن عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى، وكذلك ما ذكره الله في كتابه عن المتعجب من كيفية إحياء الله لتلك القرية: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ ص ٦٢. المصدر السابق.

واحتج آخرون أيضاً للدلالة على الرجعة بالآية الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. ويفسرون العباد الصالحين بأنهم أئمة الشيعة وأعيانهم.

والرجعة عندهم تكون بعد ظهور الإمام الغائب أو عندها.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. باب الرجعة.

(٣) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٦٢.

الرجعة، ولكن الغالبية لم يلتفتوا لهم[1]. ولم تكن فكرة الرجعة من بنات أفكار الكيسانية، فقد سبقهم إلى القول بها كثير من الجماعات الدينية المضطهدة؛ فاليهود بعد شتاتهم واضطهادهم على يد نبوخذ نصر ظهرت في أفكارهم فكرة الرجعة التي هي من حق أولئك اليهود الذين لم يتمتعوا بحياتهم فعاشوا تحت سلطان الجوييم أو عاشوا مشردين، فمن حقهم أن يعودوا إلى الحياة مرة أخرى؛ لينالوا نصيبهم الذي فات من المتعة والنعيم[2]. ولهذا لم يكن الأمر غريباً على عبدالله بن سبأ اليهودي المسلم في صدر الإسلام قوله برجعة محمد ﷺ بعد وفاته، وأن عليًّا سيكون معه بمنزلة هارون من موسى[3]. ومما سهل القول بالرجعة عند كثير من فرق الشيعة الغالية التي نبتت أفكارها في الكوفة والعراق عموماً، ذلك الارتباط الفكري بين الرجعة وفكرة التناسخ التي كانت شائعة في هذه المنطقة توارثتها عن المجوسية الهندوكية، كما سنفصل ذلك في موضعه، ولكن مع تحوير بسيط، ففي التناسخ ترجع الأرواح فتحل في مخلوقات سعيدة أو متعبة، وفي الرجعة ترجع الأرواح إلى نفس أجسادها، فتسعد أو تعذب بحسب مآلها. وقد حكى النوبختي عقيدة بعض الشيعة الغلاة من أصحاب عبدالله بن معاوية ومن فرقة العباسية الراوندية الذين يقولون بالتناسخ وتنقل الأرواح مدة من

---

(١) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي. ص ١٤٢.

(٢) أحمد شلبي. مقارنة الأديان: ١-١ اليهودية. ص ١٧٤، مكتبة النهضة. ١٩٦٦ القاهرة. ومن طوائف اليهود الذين آمنوا بفكرة الرجعة الفريسيون. انظر كتاب علي وافي. بين الشيعة وأهل السنة ٥٦. القاهرة ١٩٨٤م. ويرى الدكتور موسى الموسوي أن الرجعة شبيهة بفكرة التناسخ التي جاء بها فيثاغورس وتبناها أنصاره، وإن من قال بالرجعة من الشيعة ربما يكون قد تأثر بهذه الفلسفة. انظر كتابه الشيعة والتصحيح. ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) النوبختي: فرق الشيعة. ص ٤٤.

الزمــن وحلولها في المخلوقـات السعيدة أو المتعبة، ثم قــال: هذه هي جنتهم ونارهم، وهذه هي الرجعة عندهم لا رجوع بعد الموت[1].

وممــن قال بالتناسخ مــن أوائل الشيعة المغالية عبــد الله بن الحارث، فقــد حكى النوبختي أن أبــاه كان زنديقاً من أهل المدائن فأبرز عبد الله هذا لأصحابــه القــول بالغلو والتناســخ والأظلة والدور، وادعــى أن هذه هي آراء جابــر بن عبد الله الأنصاري (صحابي معروف) وجابر بن يزيد الجعفي[2]. وقد نسب لجابر بن يزيد الجعفي هذا القول برجعة الإمام علي، وكان يفسر قولــه تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أن الدابة هي علي بن أبي طالب[3].

هــذا وقد سبق لنا حين عرض الديانة الفرعونية القديمة أن ذكرنا أن الفراعنة كانوا يعتقدون بالرجعة؛ ولذا فإنهم يهيئون في مقابرهم الملكية من الطعــام والوسائل الحياتيــة ما يمكن الملك حين عودة الــروح إليه أن يباشر نشاطــه كسابق أيامه، وهذا يدل منــذ القدم على معاناة الإنسان في مقاومة الفناء والتمسك بالبقاء ولو بعد حين.

والآن نتساءل: ما الذي دفع الشيعة للقول بالرجعة على المعنى السالف؟ والجواب: إنها الحاجة النفسية للمقهور الذي لا يستطيع أن يعمل شيئاً في عالم الواقع، فيرتد منه إلى عالم الخيال. فهؤلاء الذين ارتبطت مصالحهم

---

(١) النوبختي: فرق الشيعة. ص ٦١ – ٦٢.

(٢) المصدر السابق. ص ٥٦.

(٣) وجابر الجعفي، هذا قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه. وقالت عنه كثير من مصادر الشيعة: إنه مذموم متهم. انظر رجال الكشي. ص ١٩١. وروى عنه الكليني في الأصول كثيرًا من الأحاديث في نقص القرآن ولكن بعض متأخري الشيعة كعبد الحسين شرف الدين يوثقه. انظر كتابه المراجعات. ص٧٥.

وواقعهم في البداية بخلافة الإمام علي، وعايشوا جميع الإخفاقات السياسية التي جرت على الإمام ومن بعده بشكل أقسى وأمرّ في ثورة ابنه الحسين ومن ناصرهم فيما بعد، لم يجدوا من عوض عن هذا الإخفاق السياسي، إلا القول برجعة هؤلاء الأئمة وأصحابهم، وأنهم سيحكمون سياسيًّا فتكون لهم الكلمة، وسيرجع كذلك جميع من ظلمهم وظلم الشيعة فيقتص منهم، فلن تذهب تلك الظلامات هدراً، وسيسعد الشيعة حينئذ بالتشفي ممن عاداهم، وفي ذلك زاجر أيضاً لمن سيقدم على أي ظلامة ضدهم في المستقبل.

وقد تفتق خيال علماء الشيعة ورجالها عن صنوف من القصاص والعذاب الذي سينال خصومهم بدءاً بأبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد و....

ففي كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي تفاصيل وروايات كثيرة نقلها عن مجموعة من المصادر الشيعية القديمة منها أن الحسين بن علي سيرجع، فيملك الدنيا حتى تقع حاجباه على عينه من الكبر، وأن سبعين رجلاً من أصحابه سيرجعون معه. وأن أبا بكر وعمر سيصلبان على شجرة [1]. ويذكر نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية أن الحرمين المكي والمدني سيقضى عليهما عند ظهور الإمام ورجعته، ويتم إنشاء المسجد في الكوفة. وأن أهل السنة حينها سيتناولون براز الشيعة في الوجبات نكاية بهم [2].

وأورد الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد روايات كثيرة منها ما ذكره عن عبد الله بن المغيرة أنه إذا قام القائم من آل محمد قامت خمس مئة من قريش تضرب أعناقهم، ثم أقام خمس مئة أخرى تضرب أعناقهم، ثم يفعل ذلك ست مرات [3] والشيخ المفيد من قبيلة حارثة الجنوب.

(١) المجلسي. البحار. جـ ١٢ ص ٢١٠.

(٢) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية. جـ ١. ص ١٥٧ – ١٦٣

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٦٤.

وفي كتاب الغيبة للنعماني روايات تنم تماماً عن روح الانتقام وتعجيله لمن يستحقه في نظرهم في مدة الرجعة هذه قبل يوم الحساب، ففي رواية منسوبة إلى الإمام الصادق أنه قال:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقرشيين فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»[1].

وجاء في تفسير الصافي رواية تقول: إنه إذا قام قائمنا ردت الحميراء (عائشة ﷺ أم المؤمنين) حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد ﷺ وآله فاطمة عليها السلام[2].

كما أورد النعماني أيضاً أن الإمام المنتظر إذا رجع فسيكسر مسجد الكوفة، ويسوي قبلته والشيعة يومئذ يعلمون الناس القرآن فيه.

وأورد رواية نسبها إلى علي يقول: «كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما هو أنزل. قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو هذا كما أنزل؟ فقال: لا، محي عنه من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم وما ترك أبو لهب إلا إزاره على رسول الله ﷺ لأنه عمه»[3].

وتختلف المصادر الشيعية عن الزمن الذي يتم فيه الرجعة، فعند الشيخ المفيد أنها تتم عند ظهور الإمام الغائب[4]. ومن قائل: إنها تتم

---

(١) النعماني: كتاب الغيبة. ص ٢٣٣.

(٢) تفسير الصافي. جـ٢. ص١٠٨.

(٣) النعماني: كتاب الغيبة. ص ٢١٧ – ٢١٩.

(٤) المفيد. أوائل المقالات. ص ٩٥.

عنـد رجعة الحسين بن علي للانتقام من قاتليـه[١]. وتتركز الأخبار الواردة بالرجعـة على أنها ستتـم في مكة والمدينة؛ لأن المنتقـم منهم الأوائل خاصة في هـذه البقعة، كمـا أسلفنـا في الروايـات السابقة، ولهذا هـدف سياسي يرمـز إلى تمني الشيعة ظهور دولتهم بدءاً بالحرمين الشريفين، حيث تركز رواياتهم على مقتل أعدائهم من قريش وبقية المسلمين، وهذا يفسر بوضوح مـع الأسـف الاضطرابات التي يقـوم بها الحجاج الشيعـة في أثناء الحج في بعض السنين وأهداف المخططين من قادتهم، والمتتبع لتاريخ التشيع يجد أن الرغبـة في حصول الاضطرابات في الحرمين الشريفين رغبة قديمة، مهدت لها إرهاصات سياسية ذات معنى وهدف بعيد، ومن أوائل ما وصلنا من هذه الإرهاصـات مـا ورد في نص الخطابـين الذين ادعى الشيـخ المفيد أو ادعى عليـه أنهـا قد وردت إليه من الإمام الغائب، ومنهـا فقرة تفيد حصول هرج ومـرج وقتل وفتنـة بين النـاس، والدارس النـاقد لا يفهـم من هذا إلا محاولة تهيئـة الأذهان إلـى حصول الفتنة بـين المسلمين، وانتهـاز الشيعة الفرصة في فرضـ الأمر الواقع للاستيـلاء على أمور المسلمين بالقـوة[٢]. والشواهد علـى تكـرار أعمال الفتن في الحـج من قبل الشيعة في كثير مـن السنين أمر لا يحتـاج معه إلى دليل تاريخي من القديم إلـى الحديث، ولهذا كانت فكرة الرجعـة عندهم تحاط بسرية تامة، وقد نبه علـى ذلك قديماً شيخ المعتزلة أبـو الحسن الخياط. كما ورد هذا التنبيه من قبـل المجلسي في البحار، وأن أفكارها من التقية[٣].

---

(١) المجلسي. البحار. جـ١٢. ص ٢١٠ وما بعدها.

(٢) النعماني. كتاب الغيبة. ص٢٣٢.

(٣) تفسير الصافي. جـ٢. ص ١٠٨.

هذا، وقد أنكر بعض متأخري الإمامية حقيقة الرجعة، فلا رجعة سوى عند ظهور الإمام الغائب[1]. في حين اعتبر البعض القول بالرجعة ليس من ضرورات المذهب ولا من معتقدات الإمامية[2].

وممن أنكر الرجعة من علماء شيعة إيران العالم شريعتي صانقلاجي (١٩٣٠م)، وكان رأيه هذا سبباً في الهجوم عليه من العلماء الآخرين، كما نقل عن الشيخ عبدالكريم الحائري في إحدى دراساته في قم أن الرجعة ليست ضرورة في دين الإمامية[3].

القرآن:

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أئمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تفرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وذهب بعضهم الآخر إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي

(١) الخنيزي. الدعوة الإسلامية. جـ٢. ص٩٤.

(٢) هاشم الحسيني. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. ص ٢٣٧. محمد رضا المظفر. عقائد الإمامية. ص ١١٣.

(٣) أيان ريشار. الإسلام الشيعي. ص ٧٢. ترجمة حافظ الجمالي. بيروت ١٩٩٦م.

السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه، فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ وآله سبعة عشر ألف آية»[1].

وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام: «.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[2].

ويذكر علي بن إبراهيم القمي[3] في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله ومنه رد على المخالفين».

فكرة البداء عند اليهود

ينسب اليهود لربهم الحزن والندم على ما سبق أن قرره، ففي سفر الخروج، يقول موسى للرب: «ارجع عن غضبك واندم على الشر بشعبك و... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»، (الإصحاح ٣٢/ ١٢ - ١٤).

كما ينسب صموئيل الندم إلى الرب على تعيينه شاؤول ملكًا، (انظر الإصحاح ١٥/ ١٠).

---

(١) الكليني. الكافي. جـ٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٦٣ آية.

(٢) الكليني. الكافي. جـ١. ص ٢٤٠.

(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٣٠٧هـ.

وينسب اليهود النسيان إلى الله كما جاء في سفر التكوين: أن الرب تأسف من أن يمحو الإنسان من على الأرض من أجل شروره، (الإصحاح ٦/ ٥ - ٨).

وتنص التوراة في عدة مواضع أن بعض أنبياء بني إسرائيل قد ذكروا الله بعهده وميثاقه لبني إسرائيل، كي لا ينساهم، (سفر الخروج، الإصحاح ٢/ ٢٣).

كما ينسب اليهود في التوراة الجهل إلى الله؛ لأن الرب ليلة الخروج من مصر طلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم، لأنه سوف يضرب بيوت المصريين، ويهلكهم، فقد نسبوا لربهم عدم القدرة على التمييز، (انظر الإصحاح ١٢/ ١٣).

البداء عند الشيعة

أورد الكليني في كتابه الكافي، في الأصول ستة عشر حديثًا، يحتج بها بفكرة البداء، وقد جاءت بمعانٍ مختلفة، منها أن (الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء)، والبداء لا يكون فيما نقل إلا بعلم الله المكنون، أما العلم الذي علمه لملائكته وأنبيائه، (وربما للأئمة)، فليس محلًا للبداء[1].

إن الراوي أبا الجارود (....) يمتدح أهل الكتاب قائلًا: (لقد آتى الله أهل الكتاب خيرًا كثيرًا)، في معرض امتداح القرآن لهم، وأنه: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ (القصص: ٥٤)[2].

---

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٨٤، بيروت ٢٠٠٥م.

(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص١١١.

وفي تفسير القمي أورد حديثًا عن الإمام الرضا: (ما بعث الله نبيًا إلا بتحريم الخمر، وأن يقر له بالبداء، أن يفعل الله ما يشاء)[1].

ويرى بعض المستشرقين أن فكرة البداء قالت بها بعض الفرق اليهودية[2]، وينسب القول بالبداء أول الأمر إلى ما ذكرته طائفة من أصحاب جعفر بن محمد الصادق، حيث رجعوا عن القول بإمامته؛ لأنه حسب قولهم قد كذب عليهم، والإمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون، وذلك حينما سألوه عن الإمام بعده فقال: ابني إسماعيل، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه نسبوا إلى جعفر القول: إن الله ﷻ قد بدا له في إمامة إسماعيل، وإن الإمام بعده هو ابنه موسى، فأنكرت هذه الطائفة القول بالبداء، وقالوا: هذا باطل على الله، ومالوا إلى مقالة طائفة البترية ومقولة سليمان بن جرير، الذي قال: إن أئمة الشيعة وضعوا لأصحابهم مقالتين لا يمكن لأحد مهما كان أن يرمي الإمام بالكذب، وهما البداء والتقية. فأما البداء فإن أئمتهم حسب قول سليمان قد وضعوا أنفسهم موضع الأنبياء في العلم بما كان وما سيكون، وقالوا: إنه سيكون كذا وكذا، فإن حصل ذلك احتجوا به على موقعهم، وإن لم يحصل قالوا بدا لله في ذلك أمر آخر[3]، ويقرب من هذا المعنى ما رواه الطوسي في كتاب (الغيبة) في رواية مسندة إلى الإمام علي قوله: بعد السبعين رخاء. فقال الإمام جعفر: إن الله غيّرها بعد غضبه على أهل الأرض بسبب قتل الحسين[4].

وينسب الكليني للإمام جعفر الصادق أنه قال: «ما عظم الله بمثل البداء» وفي رواية أخرى أنه قال أيضاً: «إن الله لم يبعث نبيًا قط إلا صاحب

(١) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، جـ١، ص٢٠١.

(٢) د. صابر طعيمة. الشيعة معتقد ومذهب. ص١٨٩. بيروت. ١٩٨٨م.

(٣) النوبختي. فرق الشيعة. ص٥٥- ٥٧.

(٤) الطوسي. الغيبة. ص٢٦٣ — ٢٦٤.

مـبرة صافية، فما بعث الله نبيًّا قط حتى يقول لـه بالبداء» وعنه أيضاً: «ما تنبـأ نبي قط حتى يقر لله بخمس منها البـداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة..»[1].

والبـداء في هذا المعنى عند الأقدمين مـن الشيعة جائز على الله فيما علـم أنـه يكون حتـى لا يكون وجوزوا البـداء على الله حتى فيمـا اطلع عليه عباده، ومن باب أولى جوازه على الله فيما لم يطلع عليه عباده.

وقـد أنكر مخالفو الشيعـة هذه المقالة، وقالوا بوجـوب تنزيه الله عن البداء؛ لأن القول فيه يفضي إلى القول بجهل الخالق تعالى عن ذلك؛ لأنه لو كان يعلم ما سيحدث ما تغيرت مشيئته[2] ولهذا فقد مال بعض المتأخرين من علماء الشيعة إلى تأويل معنى البداء، بما يقرب من معنى النسخ عند فقهاء المسلمـين، وأن أمـر البداء يفهـم بما يقرب من تأخـير الله في أجل الإنسان ومد عمره، ومـن هؤلاء الشيخ الطوسي[3]. واحتج هـذا الفريق أن الروايات التـي جـاءت بالبـداء بالمعنى السابق إنما هـي أخبار آحـاد لا تفيد علماً ولا عمـلاً[4]. ومن هذا الرأي الشيخ الطبرسـي في تفسيره، والسيد المرتضى في كتابه الانتصار حيث ينفي القول عن الله بالبداء[5].

ومـن تأويـلات متأخـري الشيعـة الإماميـة القـول: إن معنـى البداء هـو حـدوث الاختيار لله تعالـى، فلـه أن يختار بـين الإيجاد والعـدم، وبعد

---

(١) الكليني. الكافي. جـ١. ص١٤٨.

(٢) فخر الدين الرازي. كتاب المحصل. ص.

(٣) الطوسي. الغيبة. ص٢٦٤. المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص ١٤٠.

(٤) المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص١٤٠.

(٥) الميرزا أبو الحسن الشعراني في مقدمته التي كتبها على أصول الكافي. جـ١. ص .وانظر: كتاب الانتصار للسيد المرتضى ص ١٨٠.

الإيجـاد لـه أن يختـار بـين الإبقاء والعـدم أيضـاً، أوردوا لذلـك رواية عن هشـام بن سـالم (الجواليقـي) عن أبي عبـد الله الصادق في قولـه تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فقال: (كانوا يقولون قد فرغ من الأمر)[1].

وقـد اختصـر الأشعري في كتابـه "مقالات الإسلاميـين" رأي الشيعة في البـداء على ما ذكرنا[2]. وهـي تكشف تطور رأي الشيعة وخاصة الإمامية في البـداء من المعنى الـذي لا يجوز على الله تعالى إلـى معنى مقبول يقرب عـن مفهوم النسخ، ويضـرب لذلك محمد رضا المظفر قصـة رؤيا إبراهيم أنـه يذبح ابنه إسماعيـل[3]. لكن منتقدي الشيعة لا يـوردون إلا المعنى الأول للبـداء، ويتركون تطور الأفكار المعدلة له فيما بعـد أو التي تعدله عن طريق تأويل المعنى كما ذكرنا[4].

وهكذا يبدو لنا أن أساس قول الشيعة في البداء هو عن حاجة سياسية قصد بها تثبيت إمامة موسى بن جعفر، ونفي الإمامة لأخيه الأكبر إسماعيل الـذي مات في حياة أبيـه، واضطرارهم لهذه المقولة هي القاعدة عندهم في الإمامة: أنها تكون في الولد الأكبر للإمام، ففكرة البداء التي تفيد أنه وإن كان إسماعيل هو الإمام حسب القاعدة التي هي بعلم الله تعالى، لكن الله بدا له أمر فغير الإمامة من إسماعيل لموسى، وفي ذلك دفاع ضد فرقة الإسماعيلية التـي استمرت في الاعتقاد بإمامة إسماعيل وابنه محمد بعده على ما أوردنا ذلـك مفصلاً. لكن الشيعة الإمامية قد لا يحتاجون إلى هذه الفكرة، ويكفي

(١) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الشيعة. الاثنا عشرية. جـ١ ص ٣٥.
(٢) الأشعري. مقالات الإسلاميين. جـ١. ص ٣٩.
(٣) محمد إبراهيم المظفر. عقائد الشيعة. ص٢١ – ٢٢.
(٤) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة. ص٦٣. الرياض.

القول: إن الإمام جعفر قد سمى ابنه موسى إماماً بعده خلافاً للقاعدة، ثم إن هذه الفكرة من شناعة القول بها حري بالشيعة الإمامية أن يتخلوا عنها بوصفها قد فقدت مبررات وجودها اليوم، وإن استقامة عقيدتهم مع مجموع الأمة الإسلامية خير من التفرد بهذه المقولة التي لا نفع لها الآن إلا شق المسلمين وإعطاء مبرر للتشنيع والفرقة[1].

تشبيه الخالق عند اليهود

ذهب بعض اليهود إلى تشبيه الخالق بالإنسان، ونقلوا عن التوراة «أن الله قد خلق الإنسان على صورته»، وذكروا للخالق حواس قريبة من حواس الإنسان، فقالوا: إن الخالق قد بكى من حادث الطوفان، وما أصاب الأرض من دمار، فاشتكى عيناه من الرمد حتى عادته الملائكة.

وشبه اليهود الخالق بالخلق حينما يتعبون من العمل، فعندهم أن الله قد استراح يوم السبت بعد تعبه من خلق العالم بستة أيام[2]، وفي سفر الخروج من التوراة ورد أن الخالق سار أمام شعبه في البرية على شكل عمود في النهار، وعمود نار في الليل؛ ليهديهم الطريق[3].

تشبيه الخالق عند الشيعة

انتقلت فكرة تشبيه الخالق بخلقه من اليهودية إلى كثير من فرق الشيعة ورجالهم، وذكر العلماء أن القائلين بفكرة الحلول، أي حلول الله في بعض مخلوقاته، هو نوع من التشبيه والتجسيم، ففرق الغلاة من الشيعة،

(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص١٤٧-١٥٠ مطبوع. ١٩٨٨م.
(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٨٥، ص٢١٩.
(٣) الإصحاح١٢/ -٢٠ ٢٣.

ومن ضمنهم المغيرية والتبيانية، والمنصورية والخطابية، جميعهم قالوا بالحلول، فادعوا أن الله قد حل بأئمتهم، وأثبت بعض هؤلاء لله سبحانه عن ذلك الجوارح من يد ورجل، واشتهر من المشبهة المؤثرين على الفكر الشيعي، هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأسماء هذين الشخصين تتردد حتى في مصادر الشيعة الإمامية، حيث أكثر من وصف الإمام علي رضي الله عنه، إلى درجة إضفاء بعض الصفات الإلهية عليه، ونقل عن هشام بن الحكم، قوله: إن لله جسمًا له طول وعرض وله حد ونهاية، ونقل عن هشام أن معبوده سبعة أشبار بأشبار نفسه، أما الجواليقي فنقل عنه أنه يرى معبوده على صدرة الإنسان أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع لا لحم ولا دم[1].

فرقة المجسمة: ومن قال بفكرة تجسيم الخالق فرق عدة من الشيعة، منهم المنسوبون إلى هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي الملقب بشيطان الطاق، ويونس بن عبدالرحمن القمي، فقد نسب للأول قوله في الخالق تعالى عن ذلك: إنه جسم له طول وعرض وحدود، وإنه نور ساطع له لون وطعم ورائحة، وإن الخالق قد كان له مكان، ثم خلق المكان بحركته ومكانه هو العرش. ونسب له القول: إن بين الله وبين الأجسام تشابهًا، فلولا ذلك لما خضعت إليه. وإنه يعلم ما تحت الثرى عن طريق الإشعاع. وإن علم الله وصفاته لا هي قديمة ولا هي محدثة؛ لكونها صفات، وإن الصفات لا توصف. ونسب إليه القول: إن الأنبياء يعصون الله، فينبئهم على ذلك[2] بخلاف الأئمة فهم

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٢٨.

(٢) وقد ترك هذا الرأي على قدمه أثراً لدى كثير من الشيعة، حيث تردد لدى بعضهم بصور شتى.

معصومون. وينسب هشام بن الحكم إلى فرقة الإمامية (الاثني عشرية) مع أنهم قد خطؤوه فيما ذهب إليه.

وهشام بن الحكم من موالي كندة من الفرس، وكان ينزل في بني شيبان في الكوفة، حيث ولد بها، لكنه بعد ذلك نشأ في واسط ثم سكن بغداد، وتعده مصادر الشيعة الإمامية من أصحاب الإمام الصادق والكاظم، وتمتدحه هذه المصادر؛ لأنه أول من فتق الكلام في الإمامة [1] كونها بالنص والوصية، وتذكر هذه المصادر أن له كتابًا في الإمامة. وهذه المصادر صادقة فيما ذكرته عن هشام بن الحكم، فيعد من المؤسسين لمذهب التشيع، فتفتيق الكلام في الإمامة يعني أنه أضاف شيئاً جديداً على هذا الموضوع المهم في أساس التشيع كما ذكرنا، وانتصاره لهذه دفعه إلى استخدام جميع ما عنده من علوم الفرس القديمة وعلوم اليهودية، فأدخلها على التشيع الذي لم يزل طريًّا في نشأته، فأضاف لموضوع الإمامة أنه بالنص لعلي، وأن النبي قد أوحي له بهذا، وهذا لم يقله أحد في بداية القرن الأول الهجري في حق علي، وإنما قيل بتفضيله فقط. وهكذا كلما تقدم الزمن جاء من يضيف على هذا التراث، فيدخل فيه ما ليس به في الأصل.

تؤكد المصادر التاريخية على انحراف آراء هشام بن الحكم، وأنه كان يستقيها من آراء الفرس واليهودية؛ لتشابه مقالاته بآرائهم، فقد ولد هشام في الكوفة وتربى على يد أبي شاكر من الزنادقة. وحينما استكمل أفكاره وانتقل إلى بغداد انضوى تحت سقف البرامكة، فقد كان المقيم على مجلس يحيى بن خالد البرمكي، وقد أوضحنا في بحثنا هذا مدى الأثر السياسي ومن ثم الفكري للبرامكة على الخلافة والمجتمع، ومما لا شك فيه أن هشامًا

---

(١) الطوسي. الفهرست. ص٢٠٣.

كان من أعمدة البرامكة ونفوذهم، ولكن لما ضرب الرشيد البرامكة استتر هشام، ثم توارى في الكوفة حيث توفي فيها.

لا يمكن إغفال الأثر الذي تركه هشام بن الحكم على التشيع المغالي وتحلق الرجال من الموالي الفرس حول أفكاره والانتصار لها في مجالس البرامكة، ثم انتقال هذه الأفكار عن طريق رواة التشيع من هؤلاء الغلاة، وتلقف الكليني وغيره لتدوين هذه الأفكار الغالية على شكل أحاديث منسوبة لأئمة آل البيت وهم منها براء. فقد كان هشام بن الحكم ينسب بعض آرائه إلى الإمام أبي الحسن موسى الكاظم، ولذا شهد عليه الإمام علي الرضا ابن موسى بأنه هو الذي صنع بأبي الحسن ما صنع أترى الله أن يغفر له ما ركب منا [1] يشير بذلك إلى سجن الرشيد للإمام موسى الكاظم لتردد هشام عليه، وكذب هشام على الإمام فيما يرويه. وعلماء الشيعة ينقسمون بين مادح لهشام وبين قادح له على غلوه.

أما الثاني وهو هشام بن سالم الجواليقي، فهو على مذهب الإمامية من الشيعة أيضاً، لكنه قال بالتشبيه، حيث زعم أن الله تعالى عن ذلك على صورة الإنسان، ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور، كما قال هشام بن الحكم. وأن للخالق حواسَّ كحواس الإنسان، وله يد وعين وأذن.

وممن تابع على هذه المقالة من الإمامية أيضاً أبو مالك الحضرمي وعلي بن ميثم (التمار)[2]، أما يونس بن عبدالرحمن القمي فنسب إليه القول بالتشبيه أيضاً، حيث زعم أن الله تعالى يحمله حملة العرش الثمانية، وهو أقوى منهم، وأن الكرسي تحمله أرجله، وهو أقوى منها، واستدل

(١) الكشي. رجال. ص٢٣٧.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص٤٧- ٥٢.

بالآيـة ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [1] وقد دافـع المجلسي عن هؤلاء، ونسـب القدح الوارد فيهـم إلى كتب السنـة[2] برغـم استفاضة قدحهم في كتـب الشيعـة نفسها، وأفكار تجسيـم الخالق (تعالى الله عـن ذلك) كانت مـن عقائد اليهـود ونصوص التلمود، تشير إلى كثير مـن هذه الأفكار، التي تشبه الخالق بالبشر. فقد ورد في تعاليم التلمود: أن الله ينام بالليل، ويعمل بالنهـار، ويدرس التـوراة، ثم يلعب مع الحوت وهو ملـك الأسماك. وعندما شـرد خالقهـم أبناءه، وخرب الهيـكل أخذ يبكي ويزأر، ويقـول: تباً لي على تفريق أبنائي، وتسقط منه في اليوم دمعتان في البحر.

وفي التـوراة تذكـر أن الـرب ظهـر للنبي يعقـوب في صـورة إنسان، فصارعـه يعقوب حتـى طلوع الفجر، وأخذ منه العهـد والبركة له ولأبنائه بعـده. وفي سفـر التكوين: أن الله تعب عند خلق العـالم فاستراح في اليوم السابـع، والأنبياء لم يقوموا بأي عبادات سوى تقديم اللحم المشوي للرب، حيـث كان يحبه كثيراً كما فعل إبراهيم ذلك، وحصل علـى رضـا الـرب.

٤ - التعلق بالمعجزات عند اليهود

تمتلـئ النصوص الواردة في التوراة والتلمـود وشروح وتفاسير الربان اليهـود بالقصص والحكايات والأحداث المعجـزة، التي تدل فيما يرون على إعجـاز وصحة من نسبوها لهم[3]، حيث تتحدث عن معجزات النبي إلياهو، الـذي تأتـي إليه الغربان بطعامـه صباح مساء، وأنه هو الـذي بارك لامرأة دقيقها القليل، فظلت تخبز منه طيلة مدة المجاعة.

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص٥٢- ٥٣.

(٢) انظر المجلسي. البحار. ابن بابويه. كتاب التوحيد. ص٩٧.

(٣) (انظر الملوك الأول ١٧/ ١).

وهـو الـذي أرجـع نفس الولد إلـى جوفه قبـل أن يموت، ذكـر بعض شراحهـم أن هـذا الولد هو المسيح الـذي سيأتي، ونسبوا إلـى نبيهم إلياهو هـذا معجـزات تشمل حتى أطفالهم، فهو بابا نويـل الذي يقدم لكل طفل ما يتمناه من هدايا في العيد.

ومن ضمن الصلاة اليهودية الشكر للرب على المعجزات التي سخرها لهم ولأجدادهـم، من قبل: «... ومعجزاتك التي هي معنا كل يوم وعجائبك وخيراتـك...»، «... نشكـرك أيضًـا علـى المعجـزات والخلاص والأعمال العظيمة وعلى الفرج والخوارق...».

جاء في سفر يوشع: أن الرب أوقف الشمس والقمر، عن الحركة عندما طلـب منه يوشع، وذلك كـي ينتقم شعب إسرائيل مـن أعدائه، (يوشع ١٠/ ١٢ - ١٤).

واعتبر هـذا الوحي عند اليهود كالنبي يوحـى إليه، وتجري على يديه المعجزات، كما وردت بذلك نصوص التوراة المتعلقة بيوشع.

*****

معجزات الأئمة عند الشيعة وتعلقهم بها

جميع فرق الشيعة تلتقي عند فكرة كون الإمامة إلى علي بن أبي طالب بعد رسول الله ﷺ، وأن الإمام عليًّا أحق بها من غيره، وأن عليًّا قد أوصى بها إلى ابنه الحسن ومن بعده الحسين. وفرق الشيعة تختلف فيما بينها بعد ذلك من هو الإمام؛ فالزيدية ترى إمامة زيد بن علي بن الحسين، في حين يرى الإمامية أن الإمام بعد علي بن الحسين هو ابنه محمد الباقر. وبعد وفاة جعفر بن محمد اختلفت الشيعة إلى فرق، فأي من أبناء الصادق هو الإمام؟! ففرقة الشمطية ترى أن الإمام هو محمد بن جعفر، وفرقة الفطحية ترى الإمام ابنه عبدالله، والموسوية أو المفضلية والإمامية (الاثنا عشرية) ترى الإمام موسى بن جعفر هو الإمام بعد أبيه، بينما فرقة الإسماعيلية ترى إسماعيل بن جعفر هو الإمام. والإمامية (الاثنا عشرية) يرون الإمامة في ولد الحسين بن علي، ينص الأب فيها على إمامة ابنه بعده، ولا تجتمع الإمامة عندهم في أخوين بعد الحسن والحسين، فالأئمة الاثنا عشر عندهم على الترتيب الآتي:

١- الإمام علي بن أبي طالب.

٢- الحسن بن علي.

٣- الحسين بن علي.

٤- علي بن الحسين.

٥- محمد بن علي (الباقر).

٦- جعفر بن محمد (الصادق).

٧- موسى بن جعفر (الكاظم).

٨- علي بن موسى (الرضا).

٩- محمد بن علي (الجواد).

١٠- علي بن محمد (الهادي).

١١- الحسن بن علي (العسكري).

١٢- الإمام الغائب (محمد بن الحسن بن علي العسكري).

فالإمامة عندهم نور يقذف في الأرحام، وهو بعد ذلك وراثة لعلوم الأنبياء السابقين، التي أورثها النبي محمد ﷺ لعلي بعده، ثم للائمة بعد علي واحد بعد الآخر. وتذكر رواية قديمة موضوعة على لسان الإمام جعفر الصادق: أن الرسول محمدًا ﷺ قد أفضت إليه صحف إبراهيم وموسى، فأتمن الرسول ﷺ عليها عليًا وأتمن علي الحسن... إلى أن أفضت إليه[1].

وقد ورثت كتب الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) ما قالته الشيعة الغلاة في أئمتها، ولم يستطيعوا تنقية إلا القليل من المقولات الفاحشة كالادعاء بالألوهية، وما أشبهها.

فالأئمة عند الشيعة (الاثني عشرية) يعلمون جميع علم الملائكة والأنبياء، وأنهم إذا شاؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم يعلمون علم ما كان وما سيكون، وأن الله ﷻ لم يعلم نبيه محمدًا ﷺ علماً إلا أمره أن يعلمه إلى علي بن أبي طالب[2]. وأن الجن يأتون إلى الأئمة فيسألونهم عن معالم دينهم[3]، وأن الأئمة يعلمون اللغات الآدمية ولغات الحيوان، حيث روي أن الإمام الصادق رد على محدثه باللغة النبطية

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص٢٥٥. المجلي. البحار. المجلد ١. ص ١١٤.

(٢) الكليني. أصول الكافي. جـ٦. ص ٢٢ – ٤٢.

(٣) الكليني. أصول الكافي. جـ٦. ص ٣٨٦.

والفارسيـــة، وأنـــه حدث خمسة عشـــر رجلاً بكلام واحـــد، وكل منهم سمعه بلغته، الحبشي بالحبشية، والفارســي بالفارسية، والصقلبي بالصقلبية[1].

وتقـع الروايـات في كتبهم القديمة في حيرة من التوفيـق بين رواية أن الإمام يعلـم متى يمـوت، فكيف يقبل إذن مـن وضع له السم مـن الأئمة حيث ترد روايـات كثـيرة بأن أكثر مـن إمام من الأئمـة (الاثني عشـر) كان قد مات مسموماً. وللخروج من هذا المأزق يؤول بعضهم أن الله يلقي على قلب الإمام النسيـان في وقـت أكله السـم [2]. وتخريج آخر يذكـر أن عبدالله بن طاوس ســأل الإمـام الرضا... أن يحيى بن خالد سمّ أبـاك موسى بن جعفر؟ قال: نعم، سمه في ثلاثين رطبة. قلت: فما كان يعلم أنها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحـدث. قلت: ومن المحدث؟ قال: ملك أعظم مـن جبريل.. كان مع رسول الله ﷺ فهـو مـع الأئمة[3] وعلى هذا، فالأئمة عندهـم معصومون كالأنبياء؛ لأنهـم الواسطة بـين الله وخلقه[4]. وتنسب خوارق روايـات في مولد الحسن والحسين كتلك المنسوبة لنبي الله عيسى عليه السلام[5].

وتذهـب روايـات إلـى أكثر مـن علم الأئمـة بموعد موتهـم إلى موعد مـوت الآخريـن، منها ما رواه ميسـر حينما دخل على الإمـام أبي جعفر وهو في جماعـة، حيث ذكروا صلة الرحم، فقال أبو جعفر: يا ميسر، إن الله قد حضــر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخره الله بصلتك وقرابتك[6].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ – ١٣٣.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ – ٢٥٣.
(٣) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٦٠٤.
(٤) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الإمامية. جـ ١. ص ٤. وانظر أيضاً جولدزيهر العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٠٧ - ٢١٠.
(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٦٧ – ١٤٠.
(٦) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٢٤٤.

وتنسب روايات أن الإمام الغائب في يوم مولده تكلم في المهد وسلم على أمه[1]. بل من الأئمة من نسب إليه تكليم سيدنا الخضر[2]. وتنسب للإمام الصادق معجزات كتلك التي ذكرت للأنبياء أو أكبر منها، فمن هذه الروايات أن الإمام الصادق أخرج لهم من تحت رجله سبائك ذهب[3]. وأخرى تذكر أن الصادق أخذ عبدالله بن سنان خارج المدينة، فأراه نهراً من ماء ونهرًا من لبن وثالثًا من خمر، كما أراه الحور العين، وقال له: هذا ما أعد لشيعتنا[4]. بل إن الصادق ذكروا أنه يعلم كل أعمالهم حيث تعرض عليه كل يوم خميس[5]. ورواية تشبه الصادق بالنبي موسى عليه السلام حيث أنبع الصادق الماء لأصحابه وهم في فلاة[6]. وإن من علامات الإمام المنسوبة للصادق أنه لو قال للجبل: سر لسار. قال الراوي: فنظرت فإذا الجبل يسير. فنظر الصادق إلى الجبل، وقال: إني لم أعنك[7]. ورواية أخرى أنه رد روح امرأة بعد أن ماتت، وفي هذا تشبيه بعيسى عليه السلام[8]. بل إنه يأمر ملك الموت بتأجيل موت امرأة من نساء شيعته[9]، ومنها أن الصادق أخذ أربعة من الطير فذبحن وخلطهن، ثم دعا بالحمامة فتأتيه وهكذا ببقية الطير[10] وفي هذا تشبيه بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ب – ج.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص ١٥٧.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٨.

(٤) المرجع نفسه. ص ١٢٩.

(٥) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٢٩.

(٦) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٠.

(٧) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٢.

(٨) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٢.

(٩) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٧.

(١٠) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٥.

وتتعدى الحال إلى معجزات وكرامات منسوبة لفاطمة مقتبسة من تلك المنسوبة للسيدة مريم، ففي ميلادها ظهر نور في السماء، وينسب لها رواية أنها قالت: «أنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن»[1] ولما طلب منها الرسول ﷺ طعامًا قدمت له جفنة مملوءة خبزاً ولحماً، ولما سألها من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله[2]. وهذه استعارة لما ورد في القرآن الكريم من أمر يحيى ومريم وأشياء كثيرة من هذا القبيل[3].

وهذه الأوصاف تجعل الأئمة في أذهان هؤلاء القوم من الشيعة فوق مستوى البشر، فإذن لا بد أنهم مخلوقون خلقاً آخر يختلف عن سائر الناس، وهكذا تفتق ذهن الرواة والغلاة إلى وسيلة لتبرير ذلك، حيث ينقل المجلسي عن كتاب (فضائل الشيعة) للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي مسنداً الرواية عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذا جاء رجل فسأل عن القوم المعنيين بالآية: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فأجابه الرسول ﷺ: إن الذين هم أعلى من الملائكة، أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح قبل أن يخلق آدم بألفي عام[4].. وعلى ذلك فالأئمة لم يخلقوا كخلق آدم الذي عصى ربه حينما أكل من الشجرة المحرمة بالجنة، بل إن الأئمة خلقوا من نور ظل معلقاً تحت عرش الرحمن قبل آدم بألفي عام. وهكذا يصل الفكر الغالي هذا إلى تبرير وتأكيد مبدأ عصمة الأئمة عند الشيعة [5]. وإن ذرية آدم هم أولئك العصاة المخالفون

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص٣ – ٥.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٠.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١٠. ص ١٠ – ٥٦.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص٣٩.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص٣٠-٤٠.

للشيعـة، فتنسـب روايـة عن الصـادق أنه ذكـر أن آدم أنكر ولايـة الرسول محمـد ﷺ وعلـي وفاطمة والحسن والحسين لما عرضـت عليه، ولذلك رمته الجنـة بأوراقهـا، فلما تـاب وأقر بحق الخمسـة عفا الله عنـه، وذلك قوله تعالـى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[1]. وهذه الروايـات وأشباهها كثـيرة في كتـب الشيعـة القديمة مـا دفـع الكثير مـن علمائهـم وفقهائهم إلـى القـول: إن الأئمة أفضـل من الأنبيـاء. بعضهم يخفف ذلـك ويستثني محمـدًا ﷺ. وذكـر المجلسي أن أكـثر الإمامية على هذا القـول[2] وفي رواية أخرى قد اشتطت أكثر من ذلك، حينما أظهرت الإمام عليًا أكثر توكلاً على الله من الرسول ﷺ. تضع الرواية الخبر عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما جاع يومـاً أتـى متعلقاً بأستار الكعبة داعياً: رب محمـد، لا تجع محمدًا أكثر مما أجعتـه، فهبـط جبريل معه جوزة... فلما فتحها وجد فيهـا مكتوبًا: لا إله إلا الله محمـد رسـول الله، أيدت محمـدًا بعلي ونصرته به مـا أنصف الله من نفسـه، مـن اتهم الله في قضائـه واستبطأه في رزقه[3]. ولنـا أن نتساءل: ما الأسباب التي دفعت الشيعة إلى هذا القول الشطط في أئمتها؟

إن الدوافـع السياسية مع الجهل وتأثرهم بالمعتقدات الأخرى هي أهم الأسباب.



(١) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص٥١.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد٦ ص (مجلد ٦ غير مرقم الصفحات وهذه تقع تقريباً ما قبل الصفحة الأخيرة بستين صفحة. وهذا يوضح مقالة الخميني في تفضيل الأئمة على الأنبياء التي استنكرها العالم الإسلامي.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص١٥٦ — ١٥٧.

الفصل السادس

ممارسات وعادات

الصلاة عند اليهود

كانت صلاة اليهود القدماء عبارة عن تقدمات من ثمار أو ذبائح، وهذه القرابين كانت تقدم على أيدي الكهنة (انظر التكوين ١٨/ ٢٣ و٢٠/ ١٧)، وغيرها كثير.

وبعد ذلك ظهرت بينهم الصلاة كعبادة ودعاء من الرب، ولم تكن في البداية إجبارية بل اختيارية، انظر المشنا (البركات ٣٢).

ثم ظهرت بينهم الصلاة المحددة بالكيفية بالترانيم والمزامير، وهناك صلاة مخصوصة في مناسبات وأعياد مختلفة، وكانت الصلاة في البداية مرتين، ثم صارت ثلاث مرات في اليوم، واستقرت على ذلك (انظر أخبار الأيام الأولى ٢٣/ ٣٠)، وقبلتهم في الصلاة إلى أورشليم.

وعند بعض اليهود الصلاة تتم بواسطة الملائكة أو بعض منهم يدعونهم كشفعاء.

ولليهود صلاة كثيرة متنوعة، يهمنا منها هنا صلاة الدعاء للمسبين، وهم فرقة من اليهود (انظر أشعيا ١١/ ١٣، إرميا ٥١/ ٢٧)، ونسمي هذه الصلاة بـ: (قبوحى جلوت)، وهناك صلاة بخلافها وهي صلاة (هملشيم) الصلاة ضد الصدفيين (المزامير ٨١/ ٥١)، ومما ذكر عن صلاة يهود يثرب، أنهم كانوا يصلون العشي عند اشتباك النجوم، ولهذا ورد نهي

الرسول ﷺ، في المدينة أن يؤخروا المغرب، حتى اشتباك النجوم؛ كيلا يتشبهوا بصلاة اليهود.

الصلاة عند الشيعة

لا تختلف صفة الصلاة عمومًا عند الشيعة عن بقية المذاهب الإسلامية، إلا في بعض التفاصيل والفروع.

وهذه التفاصيل والفرعيات نجدها غالبًا فيما يسمى بمستحبات الصلاة التي عقد لها صاحب اللمعة الدمشقية الفصل الرابع من كتابه، وهذه المستحبات هي: (ترتيل، التكبير، ورفع اليدين... والتوجه بست تكبيرات ... ثم يذكر المؤلف الأدعية التي تقال في الصلاة، وكثير منها أدعية ضد مخالفيهم[1])، واستخدموها بدوافع سياسية، ونسبوها إلى أئمة آل البيت.

وأدخل الشيعة في أدعية الصلاة، الدعاء ليس للنبي وآله، وإنما يسمون أئمتهم الاثني عشر بأسمائهم، كما يضيفون التبرء من أعدائهم، وأجازوا الصلاة خلف المخالف لهم في العقيدة تقية[2]، كما للشيعي الإفطار تقية مجاراة للولاة[3].

وصلاة الميت عند ابن بابويه خمس تكبيرات، والسبب أنها خمس؛ لأن الصلاة المكتوبة خمسة أوقات، كما أورد أن النبي كان يكبر على بعض الموتى بخمس، والبعض بأربع[4]، (على المنافقين أربعًا)، وهذا من أجل التفرد؛ لأن المسلمين يكبرون على الميت أربعًا.

---

(١) زين الدين الجبعي العاملي: الروضة البهية، شرح اللمع الدمشقية، جـ١، ص٨٢.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص١٢٨.

(٣) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٢٥٣.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

ويذكر ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) في كتابه من لا يحضره الفقيه، أن بعض علماء اليهود جاؤوا للنبي ﷺ، وسألوه عن علة الاغتسال من الجنابة دون البول والغائط؟ وما ذلك في رأيي إلا تقريب لمشروعية الأخذ عند اليهود، وأنهم أصحاب علم شرعي[١].

ونقل ابن بابويه عن النبي ﷺ، قوله: إن فاطمة ليست كأحد النساء إنها (لا ترى دمًا في حيض ولا نفاس كالحورية)[٢].

وروى ابن بابويه عن الإمام الصادق قوله: «إنما كره النظر إلى عورة المسلم، فأما النظر إلى عورة من ليس بمسلم، مثل النظر إلى عورة الحمار»[٣].

وينقل ابن بابويه علومه الفقهية عن طريق يهودي، سأل الرسول ﷺ عن علة وجوب الصلوات الخمس، فيأتي الرد بأن تلك مواقيت كان فيها آدم قد تاب من معصيته هو وزوجته[٤].

وقد أدخل غلاة الشيعة في الصلاة كثيرًا من الأدعية المخالفة لقواعد الشيعة وآدابها، ما دفع بعض المصلحين الشيعة إلى الإنكار عليهم، إشاعتها بين العامة أو تدريسها أو تحفيظها لهم في الصلاة، أو كجزء مكمل للصلاة أو الأدعية، ومن هؤلاء المصلحين: أبو الفضل اليرفعي القمي الذي كتب كتابه (الخرافات الوافرة في زيارة القبور)، وكذلك حيدر علي القمي الذي كتب في الزيارات وأدعية المزارات.

---

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٣١ مؤسسة الأعلمي - لبنان، ٢٠٠٥.
(٢) المصدر السابق: ص٣٥.
(٣) المصدر السابق: ص٤٢.
(٤) المصدر السابق: ص٨٥.

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي تفاصيل كثيرة، وعلل مبتدعة، أضافها رجال الشيعة على الصلاة، في حين أن صفة الصلاة في الإسلام لا تحتمل الكثير من الخلاف حولها؛ لأنها منقولة عمليًا عن النبي ﷺ[1].

لقد وقع الشيعة وعلماؤهم في المسائل الفقهية، والزيادة على الفرائض المكتوبة مثل ما وقع به سائر الملل من التزيد والابتداع لشتى الأسباب والعلل، وفي الصلاة خاصة نجد الكثير من ذلك، عند الكثير من فرق الصوفية.

وأشير هنا إلى تأخير الشيعة صلاة المغرب، عن بقية توقيت المسلمين عامة، فهم يصلونها في وقت مقاربة لاشتباك النجوم، وفي ذلك تشبه باليهود، أدخل هو من آثار ما تركه يهود يثرب، من عادة تأخر صلاة المغرب حتى اشتباك النجوم، وقد كان رسول الله ﷺ قد نهى عن ذلك[2].

المواسم والأعياد اليهودية والزيارات

يقدس اليهود يوم السبت يوم راحة، على تفاسير مختلفة عندهم، فبعضهم يرجعه إلى أنه يوم الخليقة، وآخرون كونه يوم خروج موسى وقومه من مصر، وآخرون يعللونه على أنه يوم راحة بعد تعب العمل لستة أيام، ولا يجوز فيه العمل ولا إيقاد النار، ولا الكتابة ولا الزواج، ولا تحل فيه الحرب الهجومية؛ ولذا ادعوا أن حروبهم كلها دفاعية، وحتى جيشهم للدفاع فقط.

وفي الأعياد اليهودية، توقد الشموع خاصة ما كان منها بهيجًا، وفي يوم الغفران، أو الكفارة يكفر فيه اليهودي، ويندم على ما اقترفه من آثام طيلة

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٥ - ٦٨، حيث أطال بتفاصيل وعلل غريبة، يحار القارئ من أين جاءت تلك العلل، والتفاصيل، وكيف تجمعت، وما مصادر الأخذ بها؟

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٤٦٣.

السنة الماضية، ويذكر الدكتور حسن ظاظا، أنه قد شاع بين بعض اليهود في هذا اليوم، يجوز التحلل من العهود والعقود وإنكار الديون و...[1]، وربما هذا ما أشار إليه القرآن الكريم عندهم في قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥)، لأن منطقهم يقول: إنه في آخر هذا اليوم، وبعد التحلل سيغفر الله لك!

زيارة قبور أولياء الشيعة ومواسمها

تحاط زيارة قبور الأولياء عند الشيعة مثل زيارة قبر الإمام علي رضي الله عنه أو ولده الحسين رضي الله عنه، بالكثير من القداسة والمبالغة، لدرجة أدخلوا فيها الكثير من المبتدعات، كسؤال صاحب القبر أن يشفع له، أو يعطيه كذا، أو يشفيه من مرض، ولكن الأنكى من كل ذلك تركيزهم في الزيارة على لعن من يسمونهم بالنواصب، بدءًا بالخلفاء الراشدين وبني أمية، ثم شمل جميع أعدائهم.

ذكر ابن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه، وهو يعد من المعتدلين الإمامية، يذكر جملة من الأدعية مثلًا عند زيارة قبر علي والحسين عليهما السلام، وينسب تلك الأدعية للأئمة، فمن دعاء طويل أورده للتلاوة على قبر علي رضي الله عنه: «... ولعن الله من خالفك، ولعن الله من افترى عليك، ولعن الله من غصبك، ولعن الله من بلغه ذلك، ورضي به و...»[2].

وفي زيارة قبر الحسين رضي الله عنه، ذكر حديثًا طويلًا ورد فيه: «... بكم تنبت الأرض ... بكم تنزل السماء مطرها ... بكم يكشف الله الكرب ... بكم ينزل الغيث ... لعنت أمة خذلتكم ...»[3].

(١) المصدر السابق: ص١٦٨ - ١٦٩.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٤١٠.

(٣) المصدر السابق: ص٤١١.

أمـا المصـادر التي كتبت في العصـر الصفوي حيث اطمـأن كاتبوها، وأمنوا العقوبة، فتذكر اللعن صريحًا بأسماء الخلفاء، أو أسماء مخالفيهم، أو بالصفـات والنعوت، التـي تواضعوا عليها في كتاباتهـم وأحاديثهم، مثل: صنمي قريش الجبت والطاغوت[1].

ويستعين أفراد الشيعة برجال دينهم لمعرفة أفضل يوم للسفر، أو عقد الـزواج، وفي كتـب الفقه تعاليم في أيـام الشهر التي يأتي بهـا الرجل أهله، فكأنمـا لهـم تعلق بالنجـوم وبؤستها، فـأول الشهر ووسطه وآخـره، أو برج العقـرب، مثلًا كلها لا تصلح للزواج، حيث لا يأمـن الرجل أن يأتي له بولد، مجـذوم أو ذي صفة ذميمـة[2]، ويتشاءم الشيعة من يوم الأربعاء، فقد جمع ابـن بابويـه القمي ما حصل من مآسٍ منذ خلق آدم إلـى العصور المتأخرة كلها، حصلت يوم الأربعاء[3].

عزاء الحسين

مـن أقدم الإشـارات إلى الحزن الجماعي مـا ورد في ملحمة كلكامش (في حدود ٣٢٠٠ قبل الميلاد)، حيث خاطب كلكامش محبوبته الإلهة عشتار حينمـا عرضـت الزواج عليه، قال: «من أجل تمـوز حبيب صباك قد قضيت بالبـكاء سنـة بعد سنة». وتموز إلـه الربيع عند البابليين الـذي صوروه براعٍ شـاب مات في زهـرة شبابه، فنزلـت الالهة عشـتروت إلى جهنـم؛ لتأخذه وتعيده إلى الحياة.

---

(١) المجلس: بحار الأنوار، المجلد، ص.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٢٧ - ٢٣٢.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٢

ثم توجه هذا البكاء الجماعي عند الطرفين في بابل عند مناسبة موت الإله مردوخ، وقد انتقلت هذه العادة إلى اليهود (حينما كشف الرب لبني إسرائيل ما اطلع عليه حزقيال حينما وجد نسوة على باب الرب يبكين تموز). كما كان الصابئة في العراق يبكون أيضاً على نبيهم تاوز الذي قتله ربه وطحن عظامه وذراها في الريح، ولدى طائفة الخرمية في العراق وفارس القديم عادة البكاء على نبيهم شروين المولود من أب زنجي وأم فارسية.

ويذكر أن أبا مسلم الخراساني في العصر العباسي أعلن الحداد سبعة أيام على روح يحيى بن زيد، وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ قد نهى عن النياحة على الميت وشق الجيوب، فإن هذه العادة وبشكل جماعي ظهرت في العراق وفارس عند الشيعة بمناسبة مقتل الإمام الحسين، واتخذت طابعاً منظماً في العصر البويهي في العراق وفارس، حيث ساد التشيع كثيراً في الأقطار الإسلامية. وفي عهد الصفويين اتخذ عزاء الحسين والبكاء عليه شكلاً مسرحيًا، حيث يجري تمثيل مقتل الحسين بشكل مفجع ومؤثر[1].

وقد سبب وجود الشيعة حول قبر الحسين في كربلاء نوعاً من التنظيم السياسي للشيعة، ما دفع الخليفة العباسي المتوكل إلى طرد من حول القبر وحرثه مرتين، حيث أخفى موضعه ولكن رجع الشيعة - خاصة في العصر البويهي - إلى التجمع حول القبر وزيارته، وتكونت حوله قصص ومعجزات لا تزال تدور عند الشيعة. وقد دونتها كتبهم منذ القديم، فتذكر الروايات أن الإمام الصادق بعث إلى أحد أصحابه المرضى شراباً فيه طين قبور آبائه[2]. وتحدث المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) في ثلاث صفحات من القطع الكبير

(١) د. كامل مصطفى الشيبي. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية. ص٤٤- ٥٠.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ٣٠٤.

حول تحريم أكل الطين إلا طينة قبر الحسين، فإنها كما يذكر شفاء[1]. ونقل المجلسي رواية في كتاب التهذيب عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ : هو الفرات، والبقعة المباركة المذكورة في القرآن هي كربلاء[2]. وينقل المجلسي رواية عن الإمام أبي جعفر الصادق أنه قال: «خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها»[3]. ولا شك أن في ذلك تطاولاً ومبالغة قصد بها دفع الشيعة إلى زيارة كربلاء، وقد قال شاعرهم:

وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

ففي هذه الزيارة فوائد جمة للشيعة، منها الفوائد المالية والاجتماعية والسياسية، كما لا يخفى ذلك. ومثل هذه الروايات تكونت حول قبور أولياء الشيعة وأئمتهم، وليس فقط حول قبر الحسين وزيارته. منها ما نقله المجلسي من كتاب الأمالي للشيخ الصدوق عن الإمام الرضا قوله في حياته ،وكان تنبأ في قوله : إنه سيموت ويدفن بفارس (مشهد) فقال: «... فمن زارني في غربتي كتب الله له ﷻ مئة ألف شهيد، ومئة ألف صديق ومئة ألف حاج ومعتمر، ومئة ألف مجاهد، وحشر في زمرتنا»[4]. كما أورد المجلسي روايات كثيرة بأن الدعاء حول قبر الرضا مستجاب، وذكر أن ركن الدولة البويهي أوصى الشيخ الصدوق أن يدعو له عند قبر الرضا، ففعل. وشخص طلب عند قبر الرضا أن يرزقه الله بولد ذكر فاستجاب الله دعاءه[5]. وقد

(١) المصدر السابق. ص٣٢٢- ٣٢٥.
(٢) المصدر السابق. ص ٣٣٥.
(٣) المصدر السابق. المجلد ١٤. ص ٤٩.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٢. ص ٨٤. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص٩٣.
(٥) المصدر السابق. ص ٩٥.

اعتـاد الشيعـة حينما يزورون قبـور أئمتهم ومنهم الحسـين، أن يتلوا صيغًا معينـة يتلونها في هذه المناسبة، وفي بعض هذه الصيغ شدة وتجريح للخلفاء الراشديـن، وتنديد بظالمـي الأئمة من أمويين وعباسيـين، واعتراف بفضل الأئمـة، وأنهـم وحدهم أصحـاب الحق في الولايـة والإمامـة دون غيرهم، ويوصفون بصفات فوق البشر. ولكون زيارة كربلاء تتم عادة في موعد محدد بين محرم وصفر، وتكون الاجتماعات في قمتها في اليوم العاشرة من محرم يوم مقتل الحسـين فإن علماء الشيعة ومخططي حركتهـم يستفيدون كثيراً مـن مجيء هذه الوفود الشيعية من شتـى أقطار الأرض، فيقومون بتعليمهم وحثهم على أخذ تعاليمهم.

ومـن مراسيم الحـداد والعـزاء على مقتـل الحسين مـا يجري لدى الشيعة في كربلاء وفي غيرها مـن البلاد كالهند والباكستان وإيران ولبنان اللطم على الخدود وشق الجيوب والعويل والبكاء أو التباكي ولباس السواد، والأشـد من ذلك يجـري أيضاً ما يسمى بضرب القامـات (السيوف) على الجباه وضـرب الأكتاف بالسلاسـل. وهي عادات أدخلهـا الصفويون على عـزاء الشيعـة؛ رغبـة في توحيدهم ضد الخلافـة العثمانيـة السنية؛ لأنها كانـت في نزاع دائـم معهم، فكان البلاط الصفوي يعلـن رسميًا الحداد في العشـرة الأيام الأولى من محـرم، وكان الشاه عباسـ الصفوي الذي حكم إيـران ما يقرب من خمسين عامـاً يلبس بنفسه السواد في عاشوراء، ويلطخ جبينـه بالوحل، ويتقـدم مواكب العزاء. ويرى الدكتـور موسى الموسوي: أن عادة القامـات والضرب على الأكتاف بالسلاسل عـادة وفدت على الشيعة مـن شيعة الهند الذين شجعهم الإنجليز على ذلـك، وجلبوا لهم السلاسل والقامات لهذا الغرض، وذكر أيضاً أنه لعهد قريب كانت السفارة البريطانية

في طهران وبغداد تمولان مواكب العزاء الحسينية بهذه المعدات؛ لأغراض استعمارية منها تأصيل الخلاف بين السنة والشيعة، وإظهار الإنكليز في استعمارهم لهذه البلاد بأنهم إنما يحكمون أناساً متوحشين يحتاجون إلى من يدخل المدينة عليهم [1].

وقد نادى كثير من علماء الشيعة في العصر الحديث إلى وجوب التوقف عن هذه البدعة، نخص منهم في سوريا السيد محسن الأمين العاملي وقبله السيد أبو الحسن الموسوي في العراق وإيران وحفيده الآن السيد الدكتور موسى الموسوي [2].



(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص٩٩.

(٢) المصدر السابق. ص١٠٠.

الفصل السابع

الزواج

الزواج عند اليهود

الأصل عنـد اليهود أنه لا يصح الزواج إلا بـين إسرائيلي وإسرائيلية، فـإذا كان أحدهما غـير إسرائيلي بطـل العقد، بل اشـترط أحدهم اتحاد مذهب الزوجين، فإذا اخترقت هذه القاعدة أصبحت المعاشرة بين الزوجين غـير مشروعة، والأولاد غير شرعيين، ويخـرج عن هذه القاعدة اجتهادات، نصـت على صحة الـزواج إذا دخل أحد الطرفـين في الديانة اليهودية وكان غير يهـودي، والقواعـد السابقة نصت عليهـا مشاريع عـدة للقوانيين عند الإسرائيليـين، في أزمان مختلفـة[1]، والحقيقة أن اليهوديـة بوصفها ديانة عنصرية، بدليل أن اليهودي وإن كفر بدينه، فإن ذلك لا يخرجه من شرعية زواجه وأولاده بخلاف ما هو مقرر في الإسلام، وعند اليهود، زواج (اليبوم) وهو وجوب زواج الإسرائيلي زوجة أخيه الميت، فإن لم يكن لأخيه الميت منها ولـد، فإن الولد البكر من زواج الأخ زوجة أخيه الميت ينسب للميت، وفي هذا تشابـه مع بعض زواج الفرس الساسانيـين القدماء، حيث كان عندهم زواج الاستعارة، والأبناء يكونون للزوج المعير[2].

---

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص١٩٢.

(٢) انظر كتابنا الزواج المؤقت ص، بيروت ٢٠٠٠م.

وفرقـة القنانين من اليهود فرقـة غالية، عمد كاهنها فنحاس إلى قتل اليهـودي الذي تزوج بأجنبية غير يهوديـة، كما جاء في المشنا (القضاة) أن القنانين كانوا يقتلون كل من تزوج بآرامية[1].

الزواج المؤقت عند اليهود

في كتابنا الزواج المؤقت قديمًا وحديثًا[2]، أوضحنا أن اليهود قديمًا في العـراق بعد السبـي البابلي، وكتابتهم في العراق، للتلمـود البابلي يبدو أنهم مارســوا الزواج المؤقت ليلة، أو ليلتين، على حد تعبير أحد حاخاماتهم، جاء في التلمود البابلي ما نص ترجمته من الإنجليزية من قبل: (الرآبان جيدال (GIDDAL) ،قـال باسـم الرابـي (RAB): الضيـف يجب ألا يـأكل البيض ولا ينـام علـى كساء مضيفـه، حينما جاء الرابـي (RAB)، إلـى دار دشير كان يعلـن: مـن تود أن تكون لي ليـوم واحد، وحينما الرابـي نحمان (RAB NAHMAN) يأتي إلى شكنزب كان يعلن: «من ترغب أن تكون لي ليوم واحد ...»[3]، وقد تناول شراح التلمود اليهود هذا النص بكثير من التأويل تعرضنا له في كتابنا المذكور.

المتعة عند الشيعة الإمامية

زواج المتعـة عند الشيعة الإمامية لا يحتـاج إلى إثبات، فأكثر المصادر الفقهية تتعرض لحليته وتورد عليه الأسانيد الشرعيـة، وتذكر أن التحريم

---

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص٢١٨.

(٢) دار الحرف العربي، بلبنان ٢٠٠٦م.

(٣) انظر قسم يباموث من النسخة المترجمة للإنكليزية للتلمود البابلي، والمطبوع في مطبعة سانسيمو بلندن ص٢٣٥.

للمتعة من عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد قمت بتحقيق مخطوطة الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد (٤١٣هـ)، المسماة (خلاصة الإيجاز في المتعة)، أوجز فيها المفيد حجج الشيعة، ورد فيها على قول السنة بتحريمها، وقد نشرتها ضمن كتابي المذكور (الزواج المؤقت)، كما أفردت تفصيلًا لمن كتب عن المتعة قديمًا من الشيعة، وأفردها في بحث أو كتاب، ما يدل على أهمية هذا الموضوع عندهم، وكتب فقه الشيعة تفرد عادة بابًا خاصًا للمتعة يطول أو يقصر، فمثلًا: ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي، ذكر حلية المتعة، والأحاديث الواردة في هذا الباب، ثم ذكر صفات المرأة المتمتع بها، فكان السائل يسأل الإمام الصادق عن التمتع بالجارية الصغيرة؟ (عن محمد بن مسلم سألته عن الجارية يتمتع بها الرجل؟ قال: نعم، إلا أن تكون صبية تخدع، قلت: أصلحك الله، وكم الحد الذي بالغته لم تخدع؟ قال: ابنة عشر سنين)[1].

الربا والطعام والشراب عند اليهود

الربا بين يهودي ويهودي آخر محرم عندهم وجائز مع غير اليهودي، والنظرة العنصرية واضحة مع هذا المنحنى، على الرغم من كون العاملات المالية شأن إنساني.

ويحرم عند اليهود أكل لحم الأرنب؛ لأنه ذا أنياب وأظفار، كما يحرم عند اليهود أكل الأسماك الملساء التي لا أصداف ولا زعانف لها كسمك (الجري) في العراق.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٥٨٥.

تحريم أكل الأرنب والسمك الجري عند الشيعة

جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه، لابن بابويه القمي، حديث عن جعفر الصادق قوله: (لا تأكل الجري ولا الطحال).

وسأل سائل أبا جعفر عن أكل الكنعد من السمك، فقال: لا بأس. فاعترضه السائل أن ليس له قشر (كالجري)؟ فرد الإمام أن ذلك من سوء خلقها تحتك بكل شيء[1]، ونقل عن الصادق أنه لا تأكل من الشاة الفرث والطحال والدم والنخاع.

وجاء في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي، رواية وضعها راوية عن بلال «أن رسول الله ﷺ، حرم الجري والضب والحمر الأهلية، ألا فاتقوا الله، ولا تأكلوا من السمك إلا ما كان له قشر، ومع القشر فلوس ...»[2]، ورواية أخرى ذكر فيها أن رسول الله ﷺ، حضر ليتغدى مع قوم، فأخذ خبزًا فلما علم أن مرقهم سمك جري تركهم، وقام لم يأكله...

وقد أورد ابن بابويه القمي، أحاديث عدة أورد فيها تحريم أكل الأرنب، وجاء في تعليل ذلك: «ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيض ولا جنابة ...»[3].

بعض أحكام الربا عند الشيعة

ورد في كتاب الروضة البهية، شرح اللمعة الدمشقية للشهيد زين الدين الجبعي العاملي في باب الربا: «ولا ربا في المعدود، ولا بين الوالد وولده،

---

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٥٤١، وما بعدها،، وانظر المفيد: الاختصاص، ص١٣٧.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٧١.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٩٨.

ولا بين الزوج وزوجته، ولا بين المسلم والحربي، إذا أخذ المسلم الفضل»، ويتخلص من الربا أيضًا «بأن يبيعه بالمماثل ويهبه الزائد» في عقد واحد[1].

وينقل ابن بابويه القمي، في كتابه علل الشرائع، حديثًا عن داود بن فرقد، أنه سأل الإمام الصادق، عن مال الناصبي فقال: «توه ما قدرت عليه»، وهذا يعني فيما يبدو ضيع على الناصب ماله[2]، ويشكو أحد الرجال لإمامه من استقامة العامة على الخلق القويم، بينما شيعتهم فيهم من يشرب الخمر، ويزني، ويلوط، ويفعل المنكرات، ولكنه يقر بالولاية، فيفسر له إمامه أن ما شاهده من خير في العامة إنما يعود إلى طينة الشيعة الطيبة التي خلقوا منها، وما شاهده من انحراف بعض الشيعة وعمل الموبقات إنما هو من عمل طينة العامة التي خلقوا منها؛ لأن الله قد مزج بين الطينتين في خلقه[3]، وفي آخر الحديث أوصى الإمام السائل أن ذلك من الأسرار، فلا يذيعه إلا لمؤمن مستبصر!!



(١) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: زين الدين الجبعي العاملي. جـ١، ص٣١٩، دار الكتاب العربي بمصر.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٦.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٣ - ٣٢٥.

الفصل الثامن

التحريف والتأويل

تعطيل بعض الأحكام زمن التشرد

ظهر بين طائفة اليودجانية اليهودية والمنسوبة إلى أبي عيسى (عويديا)، من يهود أصفهان في القرن الأول الهجري، زمن خلافة عبد الملك ابن مروان، فادعى النبوة، من بعده ادعى تلميذه يودجان هو الآخر الادعاء النبوة، وجمع اليهود على كيان قومي، وعند موته، ادعى أتباعه أنه هو المسيح المنتظر وأنه سيرجع.

إن أهم تعاليم هذه الطائفة القول بعدم وجوب إقامة الشعائر اليهودية يوم السبت أو في غيره، وأن تعطل الشريعة ما دام اليهود متشردين لا قوة تحميهم، وأغرقت هذه التفرقة بالتفسير الباطني لنصوص التوراة، وجاؤوا بشروح وتأويلات باطنية المعاني مما تخدم فكرهم الديني وأغراضهم البعيدة، وفكرة تعطيل الشريعة ظهرت في طوائف كثيرة من اليهود، منهم طائفة (الشادجانية)[1].

وسنة ٢٧٦ هـ، ظهر في الكوفة يهودي يظهر الإسلام، اسمه ميمون ابن ديصان، المشهور بالقداح، وأصله رجل دين يهودي، أظهر تفسيرات باطنية لبعض نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، تخدم فكر الشيعة بدعواهم الخاصة بحق آل بيت علي رضي الله عنه، بالولاية والخلافة، وكان هذا الرجل مولى لجعفر بن محمد الصادق[2].

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص٢٤٦.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٨٢.

تعطيل بعد الأحكام زمن الغيبة عند الشيعة

ذكرنـا فيما سبق أن الشيعة تعرضـوا في تاريخهم الطويل إلى التشرد والضياع، كما حصل لليهود ما عدا أحقاب تاريخية استثنائية، إذا ما قيست بتاريخهم الطويل، ويعبر الشيعة عن تلك المدة من الضياع بالغيبة، وهي المدة التـي غاب عنهم فيها الإمام الثـاني عشر، وغياب الإمـام يستتبعه عندهم بعض الأحكام الشرعية علـى تفاصيل واختلاف فيما بـين فقهائهم، ولكن عمومًـا قيل: إن تنفيذ الأحكام الشرعية تتعطـل منها إقامة الحدود وصلاة الجماعة في المساجد، والجهاد في سبيل الله، خاصة جهاد الطلب وغير ذلك من الأحكام التي عادة ما ينهض بها الإمام.

إن ظهـور فكرة ولايـة الفقيه أريد بها سد تلك الثغـرة من عدم إقامة تلـك الأحكام، خاصـة حينما توافـر للشيعة إقامة دولة، كمـا هي الحال في إيران اليوم.

لقد ورث المجتمع الشيعي عمومًا عدم الاهتمام بإقامة صلاة الجماعة، حتـى في المساجد، وذلك للسبـب الوارد أعلاه، فترى حتـى في إيران الناس يدخلـون فرادى، فيصلـون في المساجد ويخرجون، عدا بعض الفقهاء يرى وجوب إقامة الجمعة.

لقـد شجع الإنكليز شيعة الهند وإيـران أيام الاحتلال البريطاني على فكـرة تعطيل الجهـاد في سبيل الله، برغـم أنه جهاد دفـع الاحتلال والغزو الأجنبي.

تحريف اليهود للتوراة

إن تحريف اليهود لكتبهم خاصة التوراة مثبت لا خلاف فيه، فقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٦)، وفي آية أخرى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ (المائدة: ٤١)، وتدل نصوص التوراة نفسها على أن كاتبها غير نبي الله موسى، بل إن النص ينسب بالقول له، ومرة أخرى ينسب القول إلى الرب، وهذا يدل على أنها كتبت بعد عصر موسى بمدة طويلة، برغم ادعاء بعضهم أن موسى هو الذي كتبها، ومن ناحية ثانية أن هناك نصين مختلفين للتوراة: نص التوراة العبرية، ونص التوراة السامرية، وبينهما اختلاف كبير في كثير من المواقع، وقد درس ليكرك تلك الفروق وبين مواضعها واختلاف النص فيما بينها، في التسمية أو الأعداد، أو مجيء نص مجمل وآخر مفصل.

ويرى المستشرق الألماني نولدكه أن التوراة جمعت في عصور مختلفة من كتبة عدة، فقد بدأ جمعها بما يقرب من قرن من الزمان بعد موت موسى، وهذا يفسر احتواء التوراة على جذور ديانة الإسرائيليين الوثنية في عبادتهم للإله يهوه، وهو صنم عند المحققين[1]، وقد ذكرنا سابقًا نسبة كتابة التوراة إلى عزرا الكاتب، وذلك بعد السبي البابلي المشهور.

تحريف بعض الشيعة لنص القرآن

إن أكثر المتقدمين من الشيعة يرون أن القرآن جرى عليه بعض التحريف زيادة أو نقصًا، وخالفهم قلة في ذلك، حيث يرون أن القرآن هو ما بين الدفتين، وأكثر الشيعة الإمامية المتأخرين على هذا الرأي، وقد

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص، وانظر ص ، من هذا البحث.

حققنا ذلك بالتفصيل في كتابنا جذور التشيع، وعمومًا فإن أكثر ما يدور عليه النقصان عندهم هو سقوط النص بولاية علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد أورد الكليني في كتابه الكافي رواية تنص أن الآية الآتية نزلت هكذا: (سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع)[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي ذكر في معرض تفسيره للآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (النور: ٦٢)، قال: «هذه الآية في سورة النور وأخبار (غزوة أحد) في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله»[2].

وفي معرض تفسيره للآية: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، قال القمي: قال أبو عبدالله الصادق: ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله ﷺ، وإنما نزل: لقد نصركم ببدر وأنتم ضعفاء، وعند تفسيره للآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٦٤)[3]. قال: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك يا علي، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابًا رحيما» هكذا نزلت[4].

وذكر القمي في تفسيره آية محرفة أخرى، وهي: (لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة). وقال: قال الإمام الصادق: هكذا نزلت، وهم أبو ذر وأبو خيثمة وعمر بن وهب، الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ[5].

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٧٠٠.
(٢) القمي: تفسير، جـ١، ص١٢٥.
(٣) القمي: تفسير، جـ١، ص١٢٩ - ١٣٠.
(٤) القمي: تفسير، جـ١، ص١٥٠.
(٥) القمي: تفسير، جـ١، ص٢٩٧.

كما ذكر القمي أن الآية الآتية نزلت هكذا: (وإذا قيل لهم ما أنزل ربكم في علي قالوا أساطير الأولين)[1]. إن تفسير القمي مليء بالزيادة والتحريف، خاصة ما تعلق بذم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أو ما تعلق بالزيادة في ولاية الإمام علي بن أبي طالب[2].

وليس القرآن وحده قد ناله التحريف، ولكن أمورًا كثيرة عمد رجال الشيعة وعلماؤهم، بأن ينفرد الشيعة عن بقية المسلمين، في أحكام الإسلام، وقد سيطرت هذه الفكرة على الشيعة إلى درجة قول علمائهم المنقول: (خالفوهم فإن الحق ما خالفهم)، ومقتضى الخلاف طبعًا يدفع إلى التحريف والتأويل، فقد لحق التحريف بأبسط الأشياء، حتى في القبلة في الصلاة، حيث قد أمروا بالانحراف في القبلة إلى اليسار على دعوى إصابة القبلة بالحجر الأسود[3].

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان ٤١٣ هـ) من الذين يرون وقوع التحريف بالقرآن، وفي أثناء كتبه إشارات على ذلك، منها ما جاء في كتابه (الاختصاص) أن الآية التاسعة من سورة الجمعة نزلت هكذا: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله)[4].

نقل إلينا أن فريقًا من الشيعة يدعون بوجود سورة أسموها (سورة النورين)، يزعمون أنها من القرآن، ولكن المخالفين حذفوها منه، وقد تولى الدكتور إبراهيم عوض[5]، نشر هذه السورة ودراسة صياغتها اللغوية خاصة،

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٨٥.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٢٦٠.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٠ - ١١.
(٤) المفيد: الاختصاص. ص١٢٩، بيروت ١٩٨٢م.
(٥) د. إبراهيم عوض: سورة النورين (التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم)، دار زهراء الشرق، القاهرة.

أثبت فيها استحالة أن تكون من القرآن الكريم؛ لخروجها عن سياقه، ومعناه اللغوي خاصة، ونورد أدناه نص السورة المزعومة؛ ليطلع عليها القارئ:

نص السورة المزعومة

بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهما من بعض وأنا السميع عليم * إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يُقذَفون في الجحيم * ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يُسقون من حميم * إن الله الذي نورٌ السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين * أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم * إن الله قد أهلك عادًا وثمودًا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يُسألون * إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون * قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون * مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن عليًا من المتقين * وإنا لنوفيه حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين * وكرّمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون * وإن عدوهم إمام المجرمين * قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنًا ومن يتوليه من بعد يظهرون * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضرون * في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون * إن لهم جهنم مقامًا عنه لا يعدلون * فسبح باسم ربك وكن من الساجدين * ولقد

أرسلنا موسى وهارون بما استُخلف فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون * ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين * وجعلنا لك منهم وصيًا لعلهم يرجعون * ومن يتول عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدًا فخذه وكن من الشاكرين * إن عليًا قانتًا بالليل ساجدًا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون * سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذريته الصالحين * وإنهم لأمرنا لا يخلفون * فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون * وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين * وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين.

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أئمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تفرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وبعضهم الآخر ذهب إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين، الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبدالله رضي الله عنه قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ وآله سبعة عشر ألف آية»[1].

وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبدالله رضي الله عنه: «.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[2].

ويذكر علي بن إبراهيم القمي[3] في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله، ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة... ومنه مخاطبة الله ﷻ لأمير المؤمنين والأئمة..»[4]. ثم أورد روايات تنسب إلى الإمام أبي عبدالله رضي الله عنه بأن الآيات الآتية هي القراءة الصحيحة للقرآن، وتفصل كيف أنها على خلاف ما أنزل الله منها: «كنتم خير أمة أخرت للناس».

«الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إمامًا».

«له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله».

«لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في علي) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون».

---

(١) الكليني. الكافي. جـ٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٣٦ آية.

(٢) الكليني. الكافي. جـ١. ص ٢٤٠.

(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٣٠٧هـ.

(٤) علي بن إبراهيم القمي. تفسير القمي. جـ١. ص ١٧-٢٠. (بيروت ١٩٩١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

وهذا من قبيل ما هو محرف من القرآن كما يقول القمي. ومثله:

«يـا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»[1].

وفي تفسـير العياشـي، وهو محمد بـن مسعود بن عياشـ السلمي من طبقة الكليني أورد رواية عن ميسر عن أبي جعفر قال: «لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي على ذي حجى»[2].

وتـتردد روايـات كثـيرة منسوبـة للأئمـة بوقـوع التحريـف في القـرآن عـن جملـة مـن رجـال الشيعـة ومفسريهـم الأقدمـين منهـم محمـد بـن محمـد الصفـار القمـي المتوفـى سنة ٢٩٠هـ، وفـرات بـن إبراهيـم الكـوفي، وسليم بـن قيس العامـري، وسعد بن عبـدالله القمي، ومحمد بن مسعود العياشي[3] وغيرهم كثير من رجال القرن الثاني والثالث، حتـى ليخيـل للباحث أن هذه هـي عقيدة الشيعـة الإماميـة في القرآن دون خلاف بينهم في تلك المدة.

ولكن بعد الانفتاح الاجتماعي الذي حصل للشيعة في القرن الثالث وما بعده وسيـادة مذهب التشيع في الأمصار الإسلامية على يـد البويهيين والفاطميين تعرضت عقائد الشيعة للانتشار والبحث بين المسلمين، ظهرت بين بعض علماء الشيعـة الإماميـة آراء مختلفة أو معدلـة أو بعضها متناقضـ في مسألة نقص القـرآن أو الزيادة فيه أو وقوع التحريف فيه، فهذا الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفى ٤١٣هـ) قد نسب القول في كتابه المسائل السروية:

(١) المصدر السابق. ص ٢٢ – ٢٣.
(٢) العياشي. تفسير. جـ ١. ص ١٣.
(٣) آغابزرك. الذريعة. جـ ٤. ص٤٨٨ – ٥٠٠.

«..إن الـــذي بين الدفتين من القرآن جميعـــه كلام الله وتنزيله، وليس فيـــه شيء آخـــر من كلام البشر... غير أن الخبر قد صـــح عن أئمتنا عليهم الســـلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتـــين، وألا نتعداه إلى زيادة فيه أو النقصـــ منه إلـــى أن يقوم القائـــم ﷺ، وإنما نهونا عن قـــراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف؛ لأنها لم تأتِ على التواتر، ولأنـــه متـــى ما قرأ الإنسان بمـــا يخالف ما بين الدفتين غـــرر بنفسه من أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك، فمنعونا...»[1].

وقـــال المفيد في كتـــاب آخر: «.... اتفقت الإماميـــة على وجوب رجعة كثـــير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامـــة، واتفقوا على إطلاق البداء في وصـــف الله تعالـــى، واتفقوا علـــى أن أئمة الضلال خالفـــوا في كثير من تحريـــف القرآن، وعدلوا فيـــه على موجب التنزيل وسنـــة النبي ﷺ»، وقال في موضـــع آخر «... إن الأخبـــار قد جاءت مستفيضة عـــن أئمة الهدى من آل محمـــد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصـــان»[2].

ويلاحـــظ الباحث أن الذين قالـــوا بحصول التحريـــف والنقصان من قدمـــاء أوائـــل الشيعة الإماميـــة الغالب فيها تدور على آيـــات متعلقة بالولاية أو متعلقـــة بحـــذف أسماء أشخاصـــ، وذلك بإسقاط اسم علـــي أو الأئمة في رأيهم[3]. ولكـــن المتأخرين من الإمامية والذين ذهبـــوا مذهب هؤلاء وسعوا الخـــرق، وأوردوا آيـــات ادعـــوا سقوطها أو سور بكاملها. وهـــذه آفة قد عمت

---

(١) المفيد. المسائل السروية كما حكاها عنه المجلسي في كتابه "مرآة العقول".

(٢) المفيد. أوائل المقالات. ص ١٣ وص ٥٤.

(٣) القمي. تفسير القمي. جـ١. ص ٢٠ — ٥٠.

جميـع الفرق، حيث تبدأ الدعوى بسيطة وصغـيرة، ربما يكون أصلها مجرد تأويـل أو تفسير أو تكون انحرافاً مـن مغرض، ثم بعد ذلك يتزايد فيها أهل الأهـواء، فتتسـع جيلاً بعـد جيل، وهذا مـا حصل تمامـاً في موضوع دعوى الأوائـل، نقلوا رواياتهـم في التحريف ولم يعلقوا عليها بالقبـول أو الرفض، كمـا فعل الكليني، وعد سكوته عند بعضهم موافقة منه، وهكذا شأن الشيعة الإماميـة لم يستطيعوا تنقية عقائدهم مـن آراء الغلاة ليس فقط في مسألة التحريف، وإنما هذا الأثر واضح كل الوضوح كما رأينا عند دراسة معتقدات الشيعـة. وحينما جـاء المتأخرون من بعضـن علماء الإماميـة كانت مهمتهم عسيرة جدًّا في نفي حصول التحريف كما نرى.

ومـن القائلين بالتحريـف أيضاً أبو منصور أحمد بـن علي الطبرسي صاحب كتـاب الاحتجاج بحصول التحريف في القـرآن، وأن القرآن الكامل هـو ما كتبه الإمام علي في زمن النبـي وتوارثه أبناؤه بعده، وفي هذه النسخة صريح كلام الله تعالى بأسماء من اقترفوا الآثام، وارتكبوا الكبائر، وصدوا عـن سبيل الله، لكن كتَّاب القرآن من الصحابـة زمن عمر وعثمان غيروها وجعلوهـا كنايـات. ولا يرى الطبرسي مسوغاً لذكـر أسماء المبدلين ولا ذكر الزيادة في آيات القرآن؛ لأن في ذلك تقوية لحجج أهل الباطل، فيقول:

«وليس يسوغ مـن عموم التقية التصريح بأسمـاء المبدلين ولا الزيادة في آياتـه علـى ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب؛ لمـا في ذلك تقوية حجج أهل التعطيل والكفـر و... ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض فحسبك الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه»[1].

---

(١) الطبرسي. الاحتجاج. جـ١. ص٢٧١.

ويقـول في موضـع آخر مـن كتاب الاحتجـاج: «ولو شرحـت لك كل ما أسقـط وحرف وبدل ما يجري في هذا المجـال لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء»(١).

ومـن القائلـين بحصـول التحريـف في القرآن مـن متأخـري الشيعة الإماميـة العلامـة المجلسي، ونعمة الله الجزائري والحـر العاملي والعلامة الفتوني والسيد البحراني وملا محسن الكاشاني وغيرهم.

فقـد ذكر محمد باقـر المجلسي (تـوفي سنة ١١١١هـ) أن عثمان بن عفـان ﷺ حذف مـن هذا القرآن ثلاثـة أشياء: مناقب أمـير المؤمنين علي وأهـل البيت وذم قريش والخلفاء الثلاثة مثل آية: «يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليـلاً». وهو يرى أن أخبار التحريـف جاءت متواترة ولا سبيل إلى إنكارها، وأنه إذا أسقطنا أخبار التحريف، فإن ذلك يؤدي أيضاً إلى نفس الحجة إلى إسقاط أخبار الإمامة، فلا سبيل إلى ذلك (٢).

أمـا نعمـة الله الجزائري فقد قـال في كتابه: (الأنـوار النعمانية في بيـان معرفـة النشـأة الإنسانيـة): «إن تسليـم تواترها (القـراءات) عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضـة بل المتواتـرة الدالة بصريحها على وقـوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً، مع أن أصحابنا قـد أطبقوا على صحتها والتصديق بهـا... والخاص أنه قـد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمـير المؤمنـين بوصية مـن النبي، فبقي بعـد موته ستة أشهـر مشتغلاً بجمعـه، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ فقال

(١) الطبرسي. الاحتجاج. جـ١. ص٣٧٧ – ٣٧٨.

(٢) المجلسي. مرآة العقول. جـ ١٢. ص٥٢٥. طهران. ١٤٠٠. مطبعة الحيدري.

لهـم: هذا كتـاب الله كما أنزل، فقال عمر بن الخطـاب: لا حاجة لنا إليك ولا إلى قراءتك عندنا قرآن جمعه وكتبه عثمان، فقال: لن تروه بعد هذا اليوم، ولا يـراه أحد حتى يظهر ولد المهـدي، وفي هذا القرآن زيادات كثيرة وهو خالٍ من التحريـف... ولما جلس أمير المؤمنين علـى سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا؛ لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه...».

وقـال الجزائـري: «إن الأصحـاب قـد أطبقـوا علـى صحـة الأخبـار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها»[١].

وأمـا البحراني هاشـم (المتوفى سنـة ١١٠٨هـ) فقد قـال في مقدمة تفسـيره المسمى بالبرهان: «... اعلـم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبـار المتواتـرة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الـذي في أيدينا قد وقع فيه بعـد رسول الله ﷺ شيء مـن التغييرات، وأسقط الذين جمعـوه بعده كثيراً مـن الكلمات والآيات»[٢]. وحكم على الشيخ الصـدوق بأنه قد توهم في رأيه من كون القرآن هو ما بين الدفتين. ويذهب محمد بن مرتضى المشهور بملا محسـن الكاشـاني (توفي سنة ١٠٩١هـ) إلى أخطر من ذلـك تأسيساً على ما يـراه وغيره من تواتر الأخبار المتعلقة بتحريـف القرآن، إذ قال: «.... لم يبـقَ لنا اعتماد علـى شيء من القـرآن، إذ على هذا يحتمـل كل آية منه أن يكون محرفاً ومغيراً، ويكون على خلاف ما أنزل الله» فلم يبقَ لنا في القرآن حجـة أصلاً، فتنتفـي فائدته، ويخطر في البال في دفع هـذا الإشكال والعلم

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. جـ٢. ص٣٥٧- ٣٥٩- (طباعة تبريز بإيران).
(٢) البحراني. البرهان. جـ١. ص٣٦. وما بعدها. وقد ذكر واحدًا وعشرين حديثاً في هذا الباب جمعها من كتب الإمامية.

عنـد الله أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصـود[1]». وفائـدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسـك به إلى غير ذلك.. وردّ على الذين قالوا بعدم حصول التحريف أو الزيادة والنقص من الشيعة الإمامية فقال: «... كما أن الدواعي كانت متوافرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كانت كذلك متوافرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية...» «... وأمـا كونه مجموعاً في عهـد النبي ﷺ ما هو عليه الآن، فلم يثبت وكيف كان مجموعاً وإنما كان ينـزل منجماً»[2].

وذهـب أيضاً مذهب القائلين بالتحريف أبو الحسن العاملي بن محمد طاهر الفتـوني (المتوفى سنة ١١٣٨هـ) وهو تلميـذ محسن الكاشاني ونعمة الله الجزائري اللذين نقلنا مذهبهما سابقاً.

سـاق هـذا الشيـخ رأي القائلـين بالتحريف ممن سبـق ذكرهم هنا، وحرر رأي النافين للتحريف من الإمامية كالشيخ الصدوق والسيد المرتضى والطوسـي صاحب تفسير البيان ورد عليهم، وانتقد رأي القائلين بالتحريف على التفصيل الذي سنورده لاحقاً[3].

ومـن أشمل المؤلفات وأوسعها في موضوع نقص القرآن والزيادة فيه أو تحريفه عند الشيعة الإمامية ما كتبه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (١٢٥٤هـ - ١٣٢٠هـ) المولود بطبرستـان والمتوفى في الكوفـة. كتب كتابه (فصـل الخطاب في تحريف كتـاب رب الأرباب) فجمع فيه ما ذكره سابقوه

(١) الكاشاني: تفسير الصافي. جـ١. ص٣٣- ٣٤.
(٢) المصدر السابق. جـ١. ص٣٥- ٣٧.
(٣) انظر: مقدمة تفسير البرهان للبحراني حيث طبع كتاب العاملي هذا معه والمسمى (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) ص ٣٦. طهران. ١٣٧٤هـ. مطبعة الأفتاب.

في هذه المقالة، فجمع أكثر من ألف حديث غطت معظم سور القرآن منسوبة للأئمة، تتضمن إما نقصاً أو زيادة أو مجرد تحريف في حروف القرآن. وفيه أيضاً رد على القائلين بعدم حصول الزيادة أو النقص أو التحريف، واعتبر رأيه هو المتواتر، وأن هؤلاء لا يعتد برأيهم؛ لكونه لا سند لهم من حديث كما هو مذهبه.

وقد أحدث هذا الكتاب ردود فعل شديدة، فأنكر عليه بعض علماء الشيعة الإمامية في حينه، ومنهم الشيخ محمود الطهراني في رسالته المسماة (كشف الارتياب عن تحريف الكتاب) كما فعل ذلك كثير من علماء الإمامية[1] ومنهم من اعتذر له كآغابزرك الطهراني صاحب الذريعة، وذلك برسالة صغيرة أسماها (النقد اللطيف) اعتذر فيها للنوري أنه لم يشتمل كتابه السالف على إثبات التحريف، بل على خلاف ذلك اشتمل على عدم التحريف[2].

وناصر النوري فيما ذهب إليه أيضاً جملة من علماء الإمامية منهم من ذكرهم صاحب الذريعة وهم ملا باقر بن إسماعيل الكاجوري في كتابه (هداية المرتاب في تحريف الكتاب). وملا محمد بن سليمان السليماني والشيخ هادي النجفي في كتابه (محجة العلماء) والخراساني في كتابه (الكفاية)[3].

---

(١) منهم الشريف الشهرستاني في كتابه (نزاهة المصحف) انظر: الذريعة. جـ ٢٤. ص ١٠٥.

(٢) آغابزرك. الذريعة. جـ٢٤. ص٢٧٨. جـ٤. ص٢٤٣.

(٣) آغابزرك. الذريعة. جـ٢٥. ص١٩١. جـ١٨. ص ٢٧. جـ١٦. ص٢٣٢. جـ٢٠. ص١٤٤. جـ٢٤. ص ١٠٥.

ومن الذين اعتذروا أيضاً أبو محمد الخاقاني حيث وصف النوري بأنه مجتهد، وقد أخطأ في مقولته هذه، وأن للمجتهد حسنة على مجرد اجتهاده. ومنهم كذلك السيد محمد الطباطبائي في تعليقه كتاب (الأنوار النعمانية) للجزائري حيث قال في النوري: «لم يكن غرضه اعتقاد التحريف. وكيف كان ما أجاد تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه. وليته لم يؤلفه، وإن ألفه لم ينشره، وقد صار ضرره أكثر من نفعه، بل لا نفع يتصور في نشره، فإنه جهز السلاح للعدو، وهيأه وأداه إلى خصماء الإسلام»[1].

ومن قدماء النافين لحصول زيادة في القرآن أو النقص منه أو التحريف فيه من علماء الشيعة الإمامية الشيخ الصدوق المشهور بابن بابويه القمي والشريف المرتضى والشيخ الطوسي في كتاب التبيان، والطبرسي صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن. ومن المتأخرين السيد كاشف الغطاء وأبو قاسم الخوئي ومحمد جواد البلاغي ومحمد تقي الحكيم ومحمد رضا المظفر وغيرهم.

فقد ذكر الشيخ الصدوق وهو محمد بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتابه (الاعتقادات): «... اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما بأيدي الناس وليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(لإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة. ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب»[2].

---

(١) محمد مال الله. الشيعة وتحريف القرآن. ص١١٥. عمان الأردن. ١٩٨٥. حيث ينقل عن الخاقاني في كتابه (مع الخطوط العريضة). ص٣٢.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. جـ١. ص١٥

أمـا الشريف علم الهدى المرتضى (تـوفي ٤٣٦هـ) فقد نقل الطبرسي رأيـه في مقدمـة تفسيره المعـروف بمجمع البيـان، فقال عنـه: «... القرآن معجـزة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغـوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءتـه وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكـون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد». وقال في موضع آخر أيضاً: «إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن... وكان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ ختمات عدة، وكل ذلك يدل بأدنـى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتبـاً غير مبتور ولا مبثور، وإن الخلاف في ذلـك مضاف إلى قوم مـن أصحاب الحديث نقولاً أخبـاراً ضعيفة ظنوا صحتهـا لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته» وذكر المرتضى: «أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم»[1].

وقـال الشيخ الطوسي، وهو محمد بن الحسـن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، وهـو تلميذ الشيـخ المفيد والسيـد المرتضى في التبيـان في تفسير القـرآن: «... وأمـا الكلام في زيادتـه ونقصانه، فمما لا يليق بـه أيضاً؛ لأن الزيـادة فيه مجمع على بطلانهـا، والنقصان منه فالظاهر أيضاً في مذهب المسلمـين خلافـه، وهو الأليـق بالصحيـح من مذهبنـا، وهو الـذي نصره المرتضـى وهـو الظاهـر في الروايـات... ورواياتنا متناصـرة في الحث على قراءتـه والتمسك بما فيـه، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبـار في الفروع إليه وعرضهـا عليه في واقعـة عمل عليه، وما خالفه تجنـب، ولم يلتفت إليه. وقد

(١) الطبرسي. مجمع البيان. جـ١. ص١٥.

روي عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال: «إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعشيرتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...».

وأضاف الطوسي: «وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباعهم حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي أن نتشاغل في تفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه....»[1].

أما أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) فقد قال في تفسيره مجمع البيان: «.... ومن ذلك الكلام نقص في القرآن وزيادته فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه، واستوفى فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات.... أن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية. إن العلم بتفسير القرآن وأبعاده في صحة نقله كالعلم بحملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني. ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه»[2].

---

(١) الطوسي. التبيان. جـ١. ص٣. ومن شدة اعتدال الطوسي في تفسيره هذا أن بعض الشيعة الإمامية قالوا: إن الطوسي وضعه مسايرة لعموم أهل السنة. وقد التبس أمر الطوسي على السبكي وحاجي خليفة في كشف الظنون وعدّوه شافعيًا.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. جـ١. ص١٥. بيروت.

وقال محمد حسين آل كاشف الغطاء: «إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص أو تحريف، فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار»[1].

وقال محمد رضا المظفر: «نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، فيه تبيان كل شيء وهو معجزته الخالدة.. لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو القرآن نفسه المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلهم على غير هدي، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[2].

ونقل عن أبي القاسم الخوئي رأيين متضاربين: أحدهما يقول فيه: إن المشهور في المذهب عدم حصول التحريف في القرآن[3]. والثاني يرى فيه القطع بحصول التحريف؛ وذلك لكثرة الروايات التي تقطع بحصوله[4]. ويرى محسن الأمين العاملي والخنيزي أن روايات التحريف تعد شاذة، وحاول الخنيزي نفي ما ورد عن الأئمة من هذه الروايات.

---

(١) كاشف الغطاء. أصل الشيعة وأصولها.

(٢) محمد رضا المظفر. عقائد الشيعة. ص٣٦. منشورات الحيدرية بالنجف. ١٩٥٤.

(٣) الخوئي. البيان. ص٢٢٦.

(٤) الخوئي. البيان. ص٢٢٢.

وبمثـل ما اعتذر بعض الإمامية لعلمائهم الأقدمين أو المتأخرين القول بنقص القرآن أو تحريفه، وحاولوا تأويل مقالاتهم كما سبق، فإن بعض شيوخ الإماميـة أيضاً حاولوا تأويـل مقولة النافين لحصول النقص أو الزيادة أو التحريف في القرآن بالقول على أن هذا الرأي صدر منهم على سبيل التقية، والمحافظـة علـى المذهب ورجاله من أن يبطش بهـم المخالفون الحكام. كما احتـج البعض أن النافين ليس لهم دليل، بـل بالعكس هم يخالفون الروايات المتواترة بنقص القـرآن أو زيادته أو تحريفه دون دليل مقبول، وإن رأيهم لا يستند لقول أحد من الأئمة المعصومين، كما هي القاعدة. نقل الشيخ النوري في كتابـه السالف (فصل الخطـاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) أن السيـد نعمة الله الجزائـري قال: «إن الأخبـار الدالة على ذلـك تزيد على ألفـي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيـد والمحقق الداماد والعلامة المجلسـي وغيرهـم» ونقل أيضاً عنـه: «أن الأصحاب قـد أطبقوا على صحة الأخبـار المستفيضة، بـل المتواترة الدالة بصريحها علـى وقوع التحريف في القرآن»[1].

وذكـر محسن الكاشاني في (تفسير الصـافي): «المستفاد من مجموع هـذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهـل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل...»[2].

ونقـل النوري عـن المجلسي قولـه: «... وعندي أن الأخبـار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر؟»[3].

(١) النوري. فصل الخطاب. ص٢٢٧. طباعة إيران سنة ١٢٩٨هـ.

(٢) محسن الكاشاني. الصافي.

(٣) النوري. فصل الخطاب. ص٢٢٦. وما بعدها.

وقد ذكــر السيد نعمــة الله الجزائــري في كتابه (الأنــوار النعمانية) اتفــاق الشيعة على فكرة تحريــف القرآن واعــتراف أن المرتضى والصدوق والطبرســي والطوسي خالفوا هــذا الرأي، ولكنه علل ذلــك: «.... والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة، منها سد باب الطعن... كيف وهــؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة، تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن...»[1].

وأمــا رأي الشيخ الطوسي النافي للتحريف كما ورد في تفسيره السالف الذكــر، فقد ذكــر في رد هذا الرأي وإضعافه أن الطوســي ألف تفسيره هذا مماشاة ومداراة للمخالفــين، حيث نقل رأي قتادة والضحاك والسدي وابن جريــج، ثم قال: «... ومما يؤكد وضع هذا الكتاب (التبيان) على التقية، ما ذكره السيد الجليل علي بن طاوس في كتابه (سعد السعود)»[2].

وذكر الكاشاني رادًّا على من يقول: إن الكليني في كتابه الكافي والشيخ أحمــد بــن أبي طالــب الطبرســي في كتابه (الاحتجــاج) إنما كانــا ينقلان الأحاديــث المرويــة في هذا البــاب، دون ذكــر رأيهم في مضمونهــا، حيث لا يجــوز أن نعدهم من القائلين بحصول النقصــ في القرآن أو تحريفه، يقول ردًّا علــى ذلك: «... أما اعتقاد مشايخنــا رحمهم الله في ذلك فالظاهر من ثقــة الإسلام محمد بن يعقــوب الكليني طاب ثراه أنــه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه (الكافي) ولم يتعرضــ لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتــاب أنه يثق بما رواه فيه، وكذلك أستــاذه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره مملــوء منه وله غلو فيه. وكذلك

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. جـ١. ص١٥٠ وما بعدها، جـ٢. ص٣٥٦ وما بعدها.
(٢) النوري. المصدر السابق. ص٢٢٦ وما بعدها.

الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي قدس سره أيضاً نسج على منوالهما في كتابه (الاحتجاج)[1].

ونقل الشيخ النوري عن الشيخ أسد الله الكاظمي في كتابه (كشف القناع) أن رأي الشيخ الصدوق في هذا الباب مضطرب، ولا يحصل من فتواه غالباً علم ولا ظن.. ثم قال: «هذا الخبر مأخوذ من الكافي وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق، وأنه فعل ذلك لتوافق مذهب أهل العدل»[2].

طعن اليهود بأنبيائهم

وبخلاف تقديسهم لأنبيائهم ورجال دينهم، وإضفاء العصمة عليهم، تجرأ اليهود في رمي بعض أنبيائهم بأخس الصفات، التي لا تليق بالإنسان العادي، فكيف بالنبي المرسل؟!

جاء في التوراة أن ابنتي النبي لوط، قامتا بسقيه خمرًا، واضطجعتا مع أبيهما دون وعيه، لأجل أن يكثرا نسل بني إسرائيل. (انظر سفر التكوين ٣٠ - ٣٦).

ورمت التوراة هارون بصنع عجل من ذهب بني إسرائيل، من أجل أن يعبدوه بعد غياب موسى عنهم (الإصحاح ٣٢/ ١ - ٤).

كما ترمي التوراة النبي داود بالزنى بامرأة أحد جنوده، فيأمر داود بإرسال الجندي إلى ساحة الحرب، فيقتل، فيضم المرأة إلى نسائه فيما بعد ما حملت منه. (الإصحاح ١١/ ٢ - ٦، وكذلك ١٤ - ١٦).

(١) الكاشاني. الصافي. ص ١٤.

(٢) النوري. فصل الخطاب. الدليل الحادي عشر في إثبات التحريف في القرآن.

وتصـور التوراة النبي سليمان بأنه زير نسـاء إلى درجة أن العشاء قد أمكن قلبه عن الخالق. (الإصحاح ١١/ ١ - ٤).

والنصوص كثيرة في القـدح بالأنبيـاء وبالربانيـين، ووصفهم بكثرة شـرب الخمر والسكـر، والعربدة، لدرجة أن يضلـوا في أحكام قضائهم بين الناس. (الإصحاح ٢٣/ ١١).

طعن الشيعة بأزواج الرسول محمد ﷺ وأصحابه والأنبياء

أورد علـي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره لآية الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ (النور: ١١)، قال: إن العامة (السنة) قالوا: نزلت في عائشة رضي الله عنها، وأما الخاصة (الشيعة)، فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها به (عائشة)، وعلقت جهة التحقيق في الحاشية: (الظاهر أن هناك نقصًـا)[1]، والنقص فيما يبـدو هو رمي عائشة رضي الله عنها بهذا الإفك، وأما البراءة مـن الإفك الواردة في الآيـة، فهي براءة لمارية القبطية، حيـث رمتها عائشة، وأنهـا ولدت إبراهيم من رجـل حبشي، فجاءت البراءة لهـا في الآية، وليست الـبراءة لعائشة. كما أن في ذلك طعنًا علـى رسول الله ﷺ، فإذا كان الاتهام متوجهًـا لذلـك الحبشي الذي اكتشف علي بن أبي طالـب أنه عنين أو مقطوع الذكر، فكيف يعلم علي رضي الله عنه شيئًا يجهله رسول الله ﷺ[2].

وفي موضـع آخـر مـن تفسير القمـي، ورد الطعـن واللعـن على زوجة الرسـول ﷺ حفصـة بنت عمر بن الخطـاب رضي الله عنهما جميعًا، كمـا أورد اتهامًا

(١) القمي: تفسير، جـ٢، ص٧٥.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٢٩٢.

لأبي بكر وعمر، وبعض الصحابة ﷺ بأنهم قد عزموا أن يضعوا السم للرسول ﷺ، ولكن جبريل أعلمه بذلك[1].

ثم أورد القمي في تفسيره للآية: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (القلم: ١٣)، والآيات بعدها اتهامات للخلفاء الراشدين والصحابة، مما يترفع القلم عن ذكره، قام محقق الكتاب بحذف بعضه، فوضع بدلها نقاطًا أو عبر عن أسماء الخلفاء بفلان وفلان، وهو المشهور والمتكرر في كتبهم على ما يعلمه الدارسون[2].

وهذا قد كتب في آخر القرن الثالث الهجري، ومنه وعن أمثاله نقل صاحب بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي في نهاية القرن الحادي عشر الهجري، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم من الشيعة الغلاة.

وعند تفسير القمي للآية: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (المدثر: ١١)، الوحيد ولد الزنا، وهو زفر، ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ (المدثر: ١٢) أجلاً إلى مدة، ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ (المدثر: ١٣) أصحابه الذين شهدوا أن رسول الله ﷺ لا يورث، ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ (المدثر: ١٤) ملكه الذي ملكه، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ (المدثر: ١٦) ولاية أمير المؤمنين جاحدًا[3]، وأترك للقارئ معرفة الاسم المعني هنا بزفر، فهو واضح من سياق الكلام.

وأورد ابن بابويه القمي في كتابه علل الشرائع نقلاً وروايات في حق أنبياء الله، يعلل فيها العقوبة التي حلت بهم، فنبي الله يعقوب عاقبه ربه

(١) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٦١.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٦٧.
(٣) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٨٦.

بضياع ابنه المحبوب له يوسف؛ لأنه لم يطعم فقيرًا حل ببابه، طالبًا سد رمقه من الجوع، وكذلك نبي الله يوسف، عوقب بالسجن؛ لأنه اختاره لنفسه لم يسأل العافية[1].

ولعل ذلك من تأثير نقولهم من المصادر اليهودية التوراتية عن أنبياء بني إسرائيل.

ومثل ذلك ما نقله ابن بابويه في سبب رمي نبي الله يوسف بالسرقة تأويلًا للآية: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ (يوسف: ٧٧)[2]، كما رموا نبي الله يوسف بالتقية، حينما قال للعير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ (يوسف: ٧٠)، اتهمهم بالسرقة، وتقول الرواية وما هم بسارقين[3].

كما روي أن يوسف عاقبه الله بقطع نسله، واستمرار نسل أخيه بنيامين؛ لأنه لم ينزل عن كرسي عرشه، حينما قدم أبوه وإخوته إليه، وإنما جعلهم أو تركهم يخرون له سجدًا، وكان عليه أن يستقبل أباه ويخر له ساجدًا، بعد عذاب الأب الطويل من فقد ابنه[4]، ونبي الله موسى لما أمده الله بالمعجزات الكثيرة وأغرق فرعون وجنوده ظن موسى أنه يعلم كل شيء، فسلط الله عليه عبدًا يدعى الخضر، علمه من علم الله ما لم يكن يعلم، ليدرك شدة جهالته واحتياجه إلى ربه[5].

---

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٦٥، وما بعدها.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٦٧.

(٣) المصدر السابق: جـ١، ص٦٩.

(٤) المصدر السابق: جـ١، ص٧٢.

(٥) المصدر السابق: جـ١، ص٧٩٢.

وقد طعن كثير من علماء الشيعة بالصحابة والتابعين، والمصادر القديمة تنص على أن المسلمين، بعد وفاة الرسول ﷺ، ارتدوا إلا ثلاثة، أو إلا أربعة[1].

وقد توارد الطعن في مصادر الشيعة على السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وزوج رسول الله ﷺ، وبهتوها كما بهت اليهود مريم العذراء أم المسيح عليه السلام، وهم على علم بهذا البهتان مخالفين كلام الله، الذي أنزل ببراءتها مما نسب إليها، ويقرب الشيخ الطوسي الإمام علي رضي الله عنه من صورة المسيح، ناسبًا القول للرسول ﷺ: «يا علي، إن فيك شبهًا من عيسى ابن مريم، أحبته النصارى حتى أنزلوه منزلة ليس بها، وأبغضه اليهود حتى بهتوا أمه»[2].

فكرة الحلول في اليهودية

تؤمن اليهودية بأن الله الواحد قد حل في شعب إسرائيل وباركه، فخصه دون غيره من الشعوب بتلك القداسة والبركة، كما أن الخالق أيضًا حل في أرض إسرائيل، فجعلها مباركة ومقدسة، ويتبع ذلك أن الله كان قد حل في نبيه موسى عليه السلام، فانتقلت تلك القداسة والبركة في نسل موسى والأنبياء بعده.

وقام علماء اليهود بتفسير نصوص التوراة الواردة في حق موسى والرسل الآخرين، وفي حق شعب إسرائيل وأرضهم بما يقتضي بهذه الفكرة، وقامت الفرق اليهودية بتوسيع هذا المفهوم والدفاع عنه بشتى الحجج الفلسفية[3].

---

(١) الشيخ المفيد: الاختصاص، ص٧٩، ص٥، ٩، ١٠.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٢٦١.

(٣) عبدالوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، مجلد٢، ص٢١، وما بعدها.

ولم تسلم الفرق الإسلامية - وخاصة الصوفية - من تأثرها بفكرة الحلول تلك، وادعت أن الله قد حل بمحمد ﷺ، فتحققت له العصمة، وأصبح ذلك الحلول عبارة عن نور محمدي، ينتقل في الأصلاب، ومن هنا جوز بعضهم الحلول في شيخهم الصوفي عن طريق العبادة والصوم والتجرد و... إلى أن يصل لمرتبة الحلول في الذات الإلهية.

التأويل الباطني عند اليهود

يرى بعض الباحثين أن اليهود أو فرقًا منهم، قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، وذلك في القرن الأول الميلادي على يد المفكر اليهودي (فيلون)، عمد الفيثاغوريون اليونان إلى شرح قصص الميثيولجيا، وعبادات الأسرار بشكل باطني غنوصي[1]، وبرع يهود الإسكندرية في الشرق بتأويل التوراة، وذلك بشكل رمزي، ففي شرحهم لسفر التكوين: أن الله خلق العقل في عالم المثال، ومنه خلق الإنسان على شكل آدم، وأعطاه الإحساس (أي حواء)، وانقاد إلى اللذة المرموزة بالحية، التي وسوست لحواء فولدت قابيل رمز الكبرياء، وانتقى منها الخير رمزًا لهابيل.

وأما آباء إبراهيم فرمزهم الكواكب، كما أولوا إبراهيم بأنه التنور، وسارة حق الفضيلة، ويرى بعض الدارسين أن السبب الدافع لهذا المنهج هو الهروب من المعنى الظاهر للنص؛ لكونه خرافيًا وغير معقول، أو خاطئًا من الأساس وهي وسيلة لتصديق ما بيدهم من توراة.

فالنبي إدريس رمز له بالندم، ونوح والطوفان رمز للتطهير النفسي، والجنة رمز لشجرة الحياة، أما الوعود الواردة فهي مجرد رمز لخيرات

---

(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص١١، يوسف كرم: الفلسفة اليونانية، ص٢٤٨.

روحيـة[1]، وقد انتقلت هـذه الأفكار إلـى بقية المدارس الفكريـة في الشرق خاصة في أنطاكية وحران، والرها ونصيبين والحضر والحيرة.

وانتقـل التفسـير الباطنــي من اليهـودة أول الأمر إلـى مذاهب غالية كالخرميـة والقرامطة، ثم عم انتشـاره في الشيعة الإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة.

صور بعض أنبياء بني إسرائيل منطبعة بالعرش

ورد في سفـر (حزقيال/ ١ - ٢٦)، أن صـورة النبي يعقوب رفعت إلى عرش الرحمن، وفي صـلاة اليهود المعروفة باسم (الهاجـاداة) يوردون أن صـورة الإنسـان الموجود في الجزء العلـوي من العرش السمـاوي هي صورة النبي يعقوب التي رفعت إلى العرش.

٣ - أثر اليهودية على الكيسانية من الشيعة

انتقلـت أفكار السبئيـة إلى الكيسانيـة، عن طريق حركـة المختار بن عبيـد الله الثقفي بالكوفة، وعبـد الله بن حرب، وبيان مـن سمعان، بل يبدو أن هنـاك صلـة مباشرة بين يهود الكوفة، والمغيرة بـن سعيد، وهؤلاء جميعًا أخـذوا من اليهودية أفكارًا باطنيـة، وقد أخذت الكيسانية التفسير الباطني من ابن سبأ في قضية الرجعة، حيث ادعوا برجوع إمامهم وأنه لم يمت.

أمـا عبد الله بن حرب فينسب لـه التأويل الباطني المتعلـق بالأسباط، ولم يستـحِ بيـان بن سمعان، فادعى أنه هو المعني بقولـه تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، وينسـب إلـى أبي هاشم بن محمد ابـن الحنفية بن علي بن

---

(١) المصدر السابق.

أبـي طالب، أن أباه أفضى إليه بأسرار العلـوم وتقدير التنزيل، على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن[1]، وعلى هذا النهج سار المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب.

فكرة الحلول عند الشيعة

ذكر محمد بن إبراهيم النعماني (أبو زينب) من علماء القرن الثالث الهجري، في كتابه الغيبة، أمورًا يتضح فيها الاستعارة من التوراة وقصصها، وأنه يستفيد مما ورد في التوراة، لإقامة الدليل على ما يدعيه، فقد عقد باباً أسمـاه: (باب مـا روي في الأئمة الاثني عشر إمامًا، وذكـر ما يدل عليه من القرآن والتوراة)، ويذكر النعماني باب الإمامة وصية من الله لجبريل، أخبر بهـا النبـي ﷺ، ليسلمها لعلي بن أبي طالـب، وكل إمام يسلمها لمن بعده من الأئمة الاثني عشر[2].

وفي موضع آخر يذكر النعماني أن الإمام الغائب فيه سنة من الأنبياء، فهـو شبه بيوسف وأنه ابن أمـة سوداء[3]، وفي موضع آخـر وصف النعماني الإمام: «إن الله بعث الإمام عَلَمًا لخلقه، وجعله حجة على أهل طاعته، ألبسه تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب من السماء لا ينقطع عنه».

ويتحدث النعماني عن نقول من الأحاديث، يذكر فيها أن الإمام الغائب إذا خرج: (يكون جبريل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره و...)[4].

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٥١.

(٢) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة، ص٢١، وما بعدها، ص٣٩، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٣م.

(٣) المصدر السابق: ص١٠٨.

(٤) المصدر السابق: ص١٥٤.

عبدالله بن ميمون القداح

كان يهوديًّا من ولد الشلعلع من مدينة السلمية بالشام، فأظهر الإسلام، وسكن بالكوفة، وكان من أحبار اليهود، على علم بالنجوم والفلسفة، وكانت دعوته في البداية إلى آل بيت رسول الله ﷺ، وذلك عن طريق التفسير الباطني للنصوص[1].

وقد عرفت تأويلات ابن القداح الباطنية عند العلماء المسلمين بالديصانية، ونسبت له فرقة بهذا الاسم، تركزت مبادئها الباطنية على هدم الإسلام، والتخفي تحت ستار التأويل الباطني، والانتصار لآل البيت عليهم السلام[2].

فرقة الكبالا (القبالا) اليهودية وعلاقتها بالتشيع

الكبالا فرقة يهودية، والكلمة عبرية تعني: (التلقي عن طريق التقاليد)، أي التلقي بالقبول، وكان منهجها الفكري هو التأويل الباطني الغنوصي، مع مزيج من التعاليم الروحية والفلسفية، ويعتقد الكبالا أن الله كائن مطلق، شاعر بوجوده، ينفث نفسه في عالم الأرواح والملائكة، وأن روح الإنسان تنتقل من جسم إلى جسم، ومردها إلى الله[3].

وقد انتقلت تعاليم هذه الفرقة إلى المسلمين بواسطة فرقة العيسوية، المنسوية إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمه الحقيقي: (عوفيد الوهيم)، وكان زمن الخليفة المنصور، وكان على شاكلته

---

(١) محمد بن مالك الحمادي: كشف الأسرار الباطنية والقرامطة، ص١٩٧.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية. ٣١٨.

(٣) النشار: الفكر الإسلامي، جـ١، ص١٨٧.

كثير من اليهود في العراق خاصة، وعند بعض الباحثين أن هذه الفرقة هي سبب نشأة الشيعة الإسماعيلية التي اشتهرت فيما بعد بالتأويل الباطني[1].

وفي الفرق اليهودية الباطنية أيضًا فرقة المقاربة التي انتشرت أيضًا في ذلك الوقت، وأهم مقولاتها أن للتوراة معنى ظاهرًا وباطنًا، وهذا المقال تبنته كثير من فرق الشيعة، بل وزحف من الغلاة إلى بعض الشيعة الإمامية، ويمكن الرجوع إلى تفسير القمي، المشهور عند الاثني عشرية، ففيه الشواهد الكثيرة على التفسير الباطني للآيات، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ (الرحمن: ١٩)، أي علي وفاطمة يتزوجان، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ (الرحمن: ٢٢) أي يولد منهما الحسن والحسين.

التأويل الباطني عند الشيعة

تأثرت بعض فرق الشيعة وبعض روايتهم بمنهج التأويل الباطني اليهودي السالف، والقارئ لكتب التفسير والحديث القديمة يجد بين طياتها إشارات للتأويل الرمزي، منها:

الجنابة: مبادرة المستجيب بإفشاء السر.

الغسل: تجديد العهد.

الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد.

الصيام: الإمساك عن كشف السر.

الكعبة: النبي محمد ﷺ.

---

(١) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، ص١٥٢، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٢١٦.

الباب: علي بن أبي طالب.

الطوفان: العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة.

نار إبراهيم: غضب الملك نمرود.

ذبح إسحاق: أخذ العهد منه.

عصا موسى: حجته ضد فرعون.

يأجوج ومأجوج: أهل الظاهر.

الجنة والنار: أسماء رجال[1].

صور أئمة الشيعة منطبعة ومعلقة بالعرش

في كثير من مصادر الشيعة، يرد أن الله خلق آدم من طينة حمأ مسنون، أما خلق محمد الرسول ﷺ، والأئمة فإنه من طينة مختلفة خلقها الله قبل خلق آدم، وجعلها معلقة تحت العرش، ووضع في ظهر محمد ﷺ نورًا، وهذا النور انتقل منه إلى علي والحسن والحسين عن طريق فاطمة، هكذا إلى بقية الأئمة[2].



(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص٦٠، وما بعدها.

(٢) أجناس جولدزيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٠٥.

الفصل التاسع

النقمة على المخالفين

١ - ستحل عقوبة الخالق بالمخالفين عند اليهود

تكرر التعاليم اليهودية انتقام الرب من العصاة والمخالفين، وذلك خاصة في (يوم الرب) (أخيرت هياميم = يوم الآخرة) (انظر حزقيال ١٢ / ٢١). وفي (الإصحاح ٤٩: التكوين).

«... يبرز كوكب من يعقوب، ويقدم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب...» أو «.. فيهلك كل نبي الوغى». أو: «يزلزل سائر بني شيت». وجاء في التلمود في باب «السنهدرين»: «.. إن أبانا إلياهو غضوب...» وفي الصلاة التاسعة عشرة التي أضافها صموئيل جاء في بعضها: «... لا تكن رجاء للوشاة بحيث يهلك كل البغاة توًا، ويستأصل كل أعدائك ومبغضيك عاجلًا فتقتلع وتحطم وتدمر ملك الفساد...». ويتكرر الدعاء بالخلاص مما هم فيه من اضطهاد وضيق.

فيكرر وعد الرب في التعاليم اليهودية أنه سينتقم لهم من أعدائهم وجلاديهم ومن آذاهم وقاتلهم، وأن عقوبة الرب ستحل بأعدائهم. وبسبب انكسار اليهود واضطهادهم قديمًا وما تعرضوا له من مآس ظهر بينهم صلاة ابتدعها رجال دينهم، تسمى صلاة الحزن، تتلى بصوت حزين وعبارات فيها تضرع وانكسار للرب: أن ينقذهم مما هم فيه من ضيق وعنت[1].

---

(١) انظر تفاصيل هذه التلاوة الحزينة ونصوصها عند حسن ظاظا: المصدر السابق، ص١٥٧-١٦١.

رأي اليهود مخالفيهم

يرى اليهود عمومًا حسب نصوص التوراة: والتلمود أن مخالفيهم من الأمم الأخرى إنما هم كفار وثنيون. وقد نص التلمود صراحة على كفر المسيح نفسه. وتبيح التوراة لليهود دماء مخالفيهم وأموالهم: «.. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيبًا، فلا تستبق منهم نسمة ما» (الإصحاح ٢٠-١٠-١٧).

إن اليهود في مصادرهم يستعملون كلمة (غويم) أو (غوي) للمخالفين من الأمم الأخرى، الذين يستحلونهم، إن تعاليم التلمود أشد وطأة على مخالفي اليهود ليس فقط في استباحة دمائهم وأموالهم، بل عدم جواز مساعدتهم وإنقاذ من يتعرض للهلاك منهم. وقد أباحت التوراة الذهب والفضة والمتاع الذي أخذه اليهود من المصريين في أثناء الخروج خلسة من مصر (الإصحاح: ٣-٢١-٢٢).

وأمرت التوراة اليهود بألا يقطعوا عهدًا، ولا يصاهروا، ولا يشفقوا على مخالفيهم (التثنية، الإصحاح ٢/٧).

والأمم الأخرى عند اليهود أمم نجسة، قامت طوال الوقت بتنجيس الأرض (الأوبين الإصحاح ١٨/٢٤-٢٨). وبسبب هذه النجاسة يحرم على اليهود طعام المخالفين وآنيتهم. وفي تعاليم التلمود غلو وتشديد على وجوب تجنب أن ينجس المخالف طعام اليهودي أو شرابه أو ملابسه بالملامسة أو عن طريق استعمال تلك الآنية أو الأثواب.. وما الأمم الأخرى في نظرهم إلا حيوانات مسخرة لخدمة اليهود.

اضطهاد اليهود

تعكس نصوص التوراة في كثير من المواضع غضب الرب على بني إسرائيل، لما قاموا به من عبادة العجل قديمًا ثم ما قاموا به من مظالم استحقوا عليها

العقوبة من الخالق. وقد تركز الشعور بالذنب والخطيئة عندهم، وبالغوا في تصويرها والعزف عليها واستغلالها لأغراضهم السياسية، وادعاء المبالغة في موضوع المحرقة هو آخر إبداعات الصهيونية؛ ولذا فإن الحزن صفة ملازمة لليهودي أينما حل، حزن على ما فات من تاريخ، وحزن على المجهول من المستقبل[١] . وقد استغل اليهود فكرة معاداة السامية للنيل من خصومهم في العصر الحديث، وأصبحت سبة يخاف منها الساسة الغربيون، فقد أخذت أبعادًا سياسية لخدمة أغراض الصهيونية العالمية[٢].

اضطهاد الشيعة

بسبب حركات الشيعة السياسية الفاشلة في العصر الأموي والعباسي ظلوا مضطهدين سياسيًا، وبقيت عقائدهم سرية، لما فيها من مخالفة لمجموع ما عليه المسلمون. وتعكس هذه الحقيقة ما ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمي رواية عن المنهال بن عمرو وعلي بن الحسن بن علي: أنهما سألا الإمام الصادق: كيف أصبحت؟ فرد عليهما: «أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البرية بعد محمد يلعن على المنابر و...»[٣].

ولشدة مراقبة السلطة السياسية لأئمة الشيعة لحقهم الكثير من المضايقات والأذى، وقد بثوا هذه الشكوى لمن حولهم، فنقلت إلينا الروايات الكثيرة الدالة على تبرم الأئمة مما حولهم، إلى درجة أنهم أعدوا ذلك الأذى

---

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة. ص٣١٥.

(٢) عبدالوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية. المجلد الأول ص١٢٧ وما بعدها.

(٣) القمي: تفسير. جـ٢، ص١١١.

جزءًا من الابتلاء، فكان لسان حال بعضهم قوله: «لو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل من يؤذيه ليأجره على ذلك»[1].

ولصفات الشيعة السالفة فقد أورثوا في طبعهم الحدة، وهو الأمر الذي لاحظه راوي ابن بابويه القمي في علل الشرائع، حيث ذكر ذلك للإمام الصادق، فعلل له ذلك بأن الشيعة أدخلوا النار، فأصابهم منها وهج، فالحدة من ذلك الوهج، أما مخالفوهم فلم يدخلوا النار، فمن ثم لهم سمت ولهم وقار [2].

هذا ولكون أكثر الشيعة ليسوا عربًا، وقد كانوا ينبزون بأنهم علوج أو نبط، فإننا نجد رد الفعل في الحديث الذي يرويه ابن بابويه القمي في علل الشرائع رافعاً شأنهم: «المؤمن علوي، لأنه علا في المعرفة، وهو هاشمي لأنه هشم الضلالة، وهو قرشي لأنه أقر بالشيء المأخوذ عنا، وهو عجمي لأنه استعجم عليه الشر، وهو نبطي لأنه استنبط العلم، وهو أنصاري لأنه نصر آل البيت، وهو مجاهد لأنه جاهد بالتقيَّة»[3].

وتعكس المصادر الشيعية القديمة أن عموم الشيعة كانوا مع اضطهادهم الفكري السالف كانوا فقراء في المجتمع بالنسبة لمخالفيهم. ففي كتاب علل الشرائع يعلل ابن بابويه القمي لماذا كان المهر في الزواج عند أبناء جلدته خمس مئة درهم، بينما المخالفون مهورهم أربعة آلاف درهم[4].

وحقيقة الفقر في المجتمعات تصاحب الجهل والمرض غالبًا. وينقل محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث تفيد عمومًا: أن المرض من صفات المؤمن[5].

---

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٦٠.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٠٧.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٧٧-١٧٨.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢١٣.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار: المجلد ص .

وما ذلك في الحقيقة إلا انتكاس للحالة الاجتماعية للشيعة في المجتمع الإسلامي: اضطهاد فكري، وفقر، ومرض. كما يذكر ابن بابويه القمي العلة التي من شأنها أن الرجل هو الذي يدفع المهر للمرأة في الزواج، قائلاً: لأنه يشتريها[1].

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان الحارثي) مع أنه عربي الأصل من حارثة اليمن، ولكنه يمالئ بني بويه حكام العراق، فيذكر صفات المؤمن في حديث منسوب للإمام، ورد بعضه: أن المؤمن أعجمي لأنه أعجم عن الدلام، والمؤمن فارسي لأنه يفرس في الإيمان[2].

رأي الشيعة في مخالفيهم

للشيعة مخالفون كثر، ولكن أهم المخالفين الذين يريدون في كتبهم هم (النواصب)، وهم الذين نصبوا الحيلة لتفويت الإمامة على علي بن أبي طالب، ثم من جاء بعدهم ممن لا يقر لهم بعقيدتهم، خاصة ما تعلق منها بولاية علي والأئمة الاثني عشر. وتوصل بعض الأحاديث مرتبة الناصب في بغضه أشد من الذمي غير المسلم، ففي حديث أورده الكليني عن الصادق: أن الشيعي إذا سلم على الذمي فليمسح يده بالحائط، أما إذا سلم على الناصبي فليغسلها[3]. ويروون عن أئمتهم أن أول شهادة زور وقعت في الإسلام هي شهادتهم: أن صاحبهم مستخلف من رسول الله ﷺ، وينقلون أن أصحاب علي مثل عمار بن ياسر وسلمان الفارسي استضعفوا فلم يسمع لهم، وينقلون أن سلمان قال: «استضعفوني، كما استضعف بنو إسرائيل هارون»[4].

---

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع. جـ٢. ص٢١٥.

(٢) المفيد: الاختصاص. ص ١٤٣.

(٣) الكليني: الكافي، الأصول، ص٦٥٨.

(٤) الكليني: الكافي، الأصول، ص٦٨٧.

وتعكس بعض الأحاديث رأي المخالفين في الشيعة أنهم: «أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»[1].

ويستخدم علماء الشيعة تأويل آي القرآن ضد من يكرهون، ففي معرض تفسير الآية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: (يعني) الأول (أبا بكر رضي الله عنه). (يا ليتني اتخذت مع الرسول عليًا وليًا. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا) يعني الثاني (عمر رضي الله عنه). وكان الشيطان يعني الثاني (عمر رضي الله عنه) للإنسان خذولًا[2].

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي ينقل روايات: أن النواصب أنجس من الكلاب ومن اليهود والنصارى حسب نقله[3]. ونقل حديثين عن الأكراد، ونهى عن مخالطتهم، لأن أصلهم من الجن[4].

وينقل ابن بابويه عدة أحاديث عن الصادق أنه يفتي أتباعه الذين لا يجدون من يفتيهم في أمور دينهم في بلد ما إلا قصتين من العامة (السنة)، فيقول لهم: آت مفتي العامة واسأله عن المسألة، ثم خالفه فيها، فإن الحق ما خالفه[5].

ويصل الحقد على الناصب إلى إباحة قتله، ولكن بطريقة لا تثبت على قاتله. روى ابن بابويه حديثًا: «عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبدالله (الصادق) ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، لكني اتق عليك، فإن

(١) الكليني: الكافي، الأصول، ص٧٠٨.

(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٨٩.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٣٤٠.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٤٤.

(٥) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٤٨-٢٤٩.

قدرت أن تقلب عليه حائطًا، أو تغرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه»[1].

ومنذ القرن الثالث الهجري وعلاقة الشيعة بالترك غير حسنة، ربما لأن الترك لم يتقبلوا التشيع كتقبل الفرس والإيرانيين عمومًا.

ففي كتاب الأمالي للشيخ الطوسي حديث منسوب إلى النبيّ يقول: «تاركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكها وما خولها الله لبنو قنطورين كركره وهم الترك»[2]. وكراهية الشيعة للترك ربما جاءت من سيطرة الجيش العباسي التركي في سامراء، هذا من جهه، ومن جهة أخرى كراهية الفرس منذ القدم للعنصر التركي، والحروب التاريخية بين الطرفين معروفة، ولم ينتشر التشيع بين الترك إلا متأخرًا وبين عناصر أكثرها غير تركية.

وينسب الطوسي قولًا إلى الإمام علي رضي الله عنه مفاده: أن النواصب أشر من الكلب[3]. ومصادر الشيعة خاصة القديمة مليئة بالهجوم والرد على من خالفهم حتى من أئمتهم.

ومن أوائل ردود فعل الشيعة ضد أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب نجد لها بعض الآثار في مصادر الشيعة القديمة بلا شك، تسجل الخلاف بين الفريقين. فريق اعتزل السياسة واقتدى بأبيه، الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان كما هو معروف. وفريق استمر مقتدياً بأبيه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ثار على يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء. فقد نقل المجلسي رواية عن الإمام الصادق: كنت

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٦.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي الأمالي. بيروت ١٩٨١م.

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩.

أنظر في كتاب فاطمة فليس فيه ملك إلا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً[1].

وهذه مصادرة في الحال والمستقبل من أن يكون لأولاد الحسن بن علي أي حق في الإمامة والسلطان، وتذهب رواية أخرى إلى حد تصوير أولاد الحسن بأنهم أعداء لأولاد الحسين بن علي. ففي رواية وضعت على لسان الصادق قال: «ليس منا إلا وله عدو من أهل بيته، فقيل: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق، قال: بلى، ولكنهم يمنعهم الحسد»[2] ولتخلي أولاد الحسن عن مقالة الشيعة المتعلقة بالإمامة، وخاصة تلك التي تحث على الوقوف ضد بني أمية، أو ربما وصل ببعض أولاد الحسن موالاة الأمويين ومهادنتهم نجد إنكار هذا المسلك في روايات قديمة، منها ما روي عن ابن يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله (الصادق) يقول: «لو توفي الحسن بن الحسن بالزنا والربا وشرب الخمر لكان خيراً مما توفي عليه»[3].

وحيث إن الشيعة افترقت بعد وفاة الإمام الحسين منها من قالت: إن الإمام بعده هو ابنه زيد، وله تنسب فرقة الزيدية كما أسلفنا، ومنهم من قال بإمامة ابنه علي، وهذا ما عليه الإمامية «الاثني عشرية»، ويتمثل رد فعلهم ضد الزيدية بما روي على لسان أحد الرواة أنه قد قيل لأبي عبدالله الصادق: إن ظفر زيد وأصحابه فليس أحد أسوأ حالاً عندهم منا [4]. وهذه المقالة تبدو حال تحفز الإمام زيد بن علي على الثورة ضد الأمويين كما أوضحنا سالفاً.

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص١٨٦.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص١٨٦.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص١٨٦ – ١٨٨.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص٢٠٩.

والجارودية فرقة من الزيدية تنسب إلى أبي الجارود، كما أسلفنا في تفصيل ذلك عند بحث فرقة الزيدية، هؤلاء ورد ضدهم وصمة عار بارتكاب الفاحشة من قبل أحد المنتسبين للجارودية، حيث تذهب الرواية إلى أن هارون بن رئاب له أخ جارودي سأل عنه أبو عبدالله الصادق، فقال هارون: إنه مرض لكن لا يقر بولايتكم زاعماً أنه يتورع، فرد أبو عبدالله: أين ورعه ليلة نهر بلخ؟ فلما رجع هارون لأخيه وأخبره... فقال: والله لم يعلم بها أحد غيري وكان مع رفيق له معه جارية قرب نهر بلخ، واحتاجوا ناراً فذهب صاحب الجارية يلتمس النار وأخو هارون ارتكب الفاحشة بالجارية [1].

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق اختلف الشيعة فيمن هو الإمام بعده فذهب بعضهم إلى أن ابنه محمد هو الإمام وهذه الفرقة تسمى الشمطية، وقال آخرون: بل ابنه عبدالله هو الإمام وهؤلاء هم فرقة الفطحية، وقالت فرقة ثالثة: بل ابنه إسماعيل هو الإمام وتوقفوا في الإمامة عنده، وتنسب فرقة الإسماعيلية له، وكذلك فرقة المباركية، في حين كما هو معلوم أن الإمامية "الاثني عشرية" على الاعتقاد بإمامة ابنه موسى، فسموا بالموسوية أو المفضلية، ومنهم القطعية الذين قطعوا بإمامة موسى وأنه مات مؤكداً، ومنهم أيضاً الواقفة الذين قالوا بعدم وفاة الإمام موسى مؤكدًا. وقد ذكرنا طرفاً من هذه المقالات في بابها، المهم هنا تسجيل رد الفعل السياسي لهذه الفرقة ضد الإسماعيلية؛ لأنه أقسى الجميع [2].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٤٩.
وتسجل كتب الشيعة رد فعل ضد المرجئة والقدرية ولكن ليس بالقساوة الشديدة. انظر المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٣، ص١٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٧٩.

منها ما روي عن ابن أبي الوليد.. عن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل، فقال: تعالَ حتى أريك ابن الرجل، قال: فذهبت معه، قال: فجاءني إلى القوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر فخرجت مغموماً... قال: فذكرت ذلك لأبي عبدالله فقال: «لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته»[1]. وهذا مخرج لطيف يحقق وصمة ضد الإسماعيلية ويبرئ الإمام الصادق وابنه ويلقي اللوم على الشيطان، وينقل المجلسي عن كتاب زيد النرسي وهو من الكتب القديمة رواية منسوبة لأبي عبدالله الصادق قال: «ناجيت الله ونازلته في إسماعيل ابني أن يكون من بعدي، فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني»[2].

كما تسجل مصادر الشيعة الإمامية رد فعل ضد فرق غير شيعية مثل المرجئة والقدرية. وتذكر المصادر أن أول من قال بفكرة الإرجاء هو شخص من آل علي، وهو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، حيث ذكر أنه كان يكتب إلى الأمصار بفكرة الإرجاء، التي من صلبها أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، حيث إن الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان، فلا يزول الإيمان بزوالها[3].

وروى الكليني في كتابه «الروضة» رواية طويلة عن الإمام محمد الباقر جاء فيها قول الإمام: «اللهم العن المرجئة، فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»[4].

وأورد المجلسي في كتابه البحار رواية عن سليمان بن رشيد مرفوعة إلى الإمام علي قال: «يحشر المرجئة عمياناً إمامهم أعمى، فيقول بعض من

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٥.
(٢) الحكيم. محسن الطبطبائي الحكيم. مستمسك العروة الوثقى. جـ١. ص ٣٧٤.
(٣) الشهرستاني. الملل والنحل. في هامش ابن حزم. الملل. ص١٩١.
(٤) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. جـ١٢. ص ٤١٨.

يراهم من غير أمتنا ما تكون أمة محمد إلا عميانًا، فأقول لهم: ليسوا من أمة محمد؛ لأنهم بدلوا فبدل بهم»[1].

وسبب نقمة الشيعة على المرجئة أنهم يرون عليًّا بالدرجة الرابعة بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة [2]. كما أن فكرة الإرجاء خدمت الأمويين سياسياً، حيث إن معصية الخليفة الأموي لا تخرجه عن الإسلام.

ومثل هذا وأشد نجده ضد من يسمونهم النواصب، والأصل كما يبدو أن المعنيين بالنواصب الذين في اعتقادهم نصبوا واحتالوا على علي بأخذ الإمامة منه يوم السقيفة، ويخصون بذلك الخليفتين أبا بكر وعمر، ثم اتسعت الدلالة على مر العصور وبفعل عوامل البغضاء السياسية إلى أن حصرها السيد محسن الطبطبائي الحكيم في المعاني الآتية:

١- إنه من نصب العداوة لأهل البيت.

٢- المتدين ببغض علي أو القادح في علي.

٣- من ينسب لأحدهم (ويقصد بذلك الأئمة) ما يسقط العدالة.

٤- من ينكر فضيلة الأئمة لو سمعها.

٥- من يعتقد بفضيلة غير علي.

٦- من ينكر النص بإمامة علي بعد سماعه أو وصوله إليه بوجه يصدقه[3].

وتتسع فكرة الناصب عند بعضهم إلى رواية موضوعة على فم الصادق رواها المعلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «ليس الناصب من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٣.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧. ص ٥.

(٣) الحكيم: محسن الطباطبائي الحكيم: مستمسك العروة الوثقى. جـ١. ص٣٧٤.

نصب لنا أهل البيت؛ لأنك لا تجد أحداً يقول: إني أبغض آل محمد ﷺ، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تقولون بنا وتبرؤون من أعدائنا»[1].

وعلى هذا التحديد فإن أبناء أهل السنة أو غيرهم إذا انطبق على أحدهم الأوصاف السالفة فهو من النواصب، وإلا فهو مسلم مخالف، وعادة ما يسمون في كتب الشيعة الإمامية بالمخالفين أو العامة وقد قال السيد محسن الحكيم: «المعروف بين أصحابنا إسلام المخالفين»[2] وفي تفسير الآية الكريمة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ نقل المجلسي: أن المعنى هم الذين خالفوا دين الله وصلوا وصاموا ونصبوا لأمير المؤمنين... فلا يقبل شيء من أفعالهم[3]. وفي رواية منسوبة للصادق: أن كل من ناصب وإن تعبد منسوبة لهذه الآية [4].

ومن أهم أحكام النواصب عند الشيعة الإمامية أنه لا يجوز تزويجهم. ففي رواية عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟ قال: لا، الناصب كافر[5]. وفي رواية أخرى أنه قال: لا تناكحهم، ولا تأكل ذبيحتهم، ولا تسكن معهم[6]. والحكم الثاني: أن الناصب نجس شأنه شأن اليهود والنصارى والغلاة والخوارج، فالجميع نجس لا يجوز تزويجهم أو الزواج منهم زواجاً دائماً. ومن المعروف أن الإمام عليًا قد قاتل الخوارج، فورثت كتب الفقه ردود فعل ضدهم، فعن الفضل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله: إن لامرأتي أختاً عارفة على رأينا وليس على رأينا

---

(١) الحكيم. مستمسك. جـ١. ص٣٧٠.
(٢) الحكيم. مستمسك. جـ١. ص٣٧١.
(٣) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.
(٤) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.
(٥) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). جـ٧. ٣٠٣.
(٦) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). جـ٧. ٣٠٣.

بالبصرة إلا قليل، فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟ قال: لا، ولا نعمة، إن الله عز وجل يقول: ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [1].

كما يوردون خبراً مفاده أن علي بن الحسين كان تحته امرأة شيبانية خارجية، فلما تبين له أنها تشتم عليًّا أخلى سبيلها [2].

وتقع كتب الشيعة الإمامية في مشكلة تبرير كيف أن الإمام عليًّا زوج ابنته لعمر وعثمان، وكذلك في تزويج النبي ﷺ ابنته إلى عمر وأبي العاص ابن الربيع؛ لأنهم في نظرهم من النواصب. فالبعض ذهب إلى أنه يجوز تزويج الناصب تقية، ويروون عن زرارة عن الإمام جعفر في تزويج علي ابنته أم كلثوم إلى عمر؛ أن ذلك فرخ غبنّاه. وعن هشام بن سالم عن الإمام جعفر قال: لما خطب إليه (خطب عمر أم كلثوم من علي) قال له أمير المؤمنين: إنها صبية، قال: فلقي العباس، فقال: ما لي أبي بأس؟ فقال: ما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردوني، أما والله لأغورن زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها، ولأقيمن عليه شاهدين بأنه سرق، ولأقطعن يمينه. فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله له [3]. والبعض ذهب إلى أن أخبار تزويج النبي ﷺ ابنتيه إلى عثمان وأن الإمام عليًّا رضي الله عنه زوج عمر رضي الله عنه إنما هي أخبار آحاد لم تثبت أو أنه زوجه جنية تمثلت أم كلثوم.

وبعضهم ذهب إلى أن تزويج الرسول ﷺ إلى عثمان كان صحيحاً في وقته؛ لأن ذلك قبل إمامة علي رضي الله عنه [4]. ورواية عن زرارة قال: إن ذلك جائز، حيث كان من امرأة نوح ولوط خيانة لهما [5].

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٤. ص٤٢٤.
(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٤. ص٤٢٥.
(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧ جـ ١٤. ص ٤٣٣ – ٤٣٤.
(٤) عبدالنبي الجزائري: المبسوط. ص٩٥. ص١٠٣ – ١٠٤.
(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٤. ص ٤٣٠.

وعلى العموم، فهذا منزلق خطر يوسع الشقة بين المسلمين، وعائق كبير ضد وحدتهم ومستقبل قوتهم ضد أعدائهم، وإذا كنا نجد المبررات التاريخية القديمة في عداء الشيعة للخوارج أو عدائهم من كان يسب الإمام عليًّا في العهد الأموي، فإن ذلك أمر انقضى، ولا يوجد بين ظهرانينا اليوم من يرى رأي الخوارج في علي ولا من يسبه. وتوسيع فكرة الناصب إلى أن تشمل كل من يعتقد بفضيلة غيره، أو ينكر النص عليه، كما هو نص العروة الوثقى أمر يحتاج إلى وقفة تصحيح من علماء الشيعة؛ لأن جمهور المسلمين ومنهم السنة يعتقدون بفضيلة أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً، ومنهم علي، كما أنهم لا يرون أن الرسول ﷺ نص على كون الخلافة له من بعده. أما بقية الصفات المذكورة للناصب فلا أحد من المسلمين يعتقد بها، وترك هذا التصحيح يجعل الباب مفتوحاً لأصحاب الأغراض، ليس فقط لاستغلال ذلك لفرقة المسلمين، بل إلى الزيادة والكذب والتأويل إلى أن يتسع الخرق، فيصعب سده من أصعب المهمات، ولا شك أن كثيراً من رواة الشيعة – لأسباب في أنفسهم – تقولوا على الأئمة ما لم يقولوه، ودونته كتب الشيعة دون مناقشة وتمحيص؛ لأنهم يخافون من رد أي رواية عن الإمام، إلى درجة أن شيخاً مثل الكليني يورد روايات في الحال، حينما يشكل على الشيعة أمر فقهي لا يعلم الرأي فيه، فتقول هذه الروايات الموضوعة على لسان الإمام الصادق أن ينظر إلى العامة (المسلمين من غير الشيعة) فيخالفهم في المسألة التي أشكلت عليه «فإن الحق ما خالفهم»[1].

والأعمال الصالحة يتقبلها الله من جميع المسلمين دونما تمييز بينهم، ولكن ترد رواية مرفوعة إلى الإمام الصادق أنه قال لمنصور بن الصقيل:

(١) الكليني. الأصول. ص٣٩ عن زيد العقيدة. ص ٢٣٦.

يا منصور إن أكثرتم أو قللتم فو الله لا يقبل إلا منكم [1]. وهذا من الشطط والضلال.

إن إخفاء الشيعة لعقائدهم وكتبهم منذ صراعهم السياسي الأول مع مخالفيهم ليس فقط حرمهم فرصة تنقيتها، وإنما يشجع الكثير من مريدهم على المبالغة والكذب، دون أن تتهيأ لعلماء الشيعة الحرية أو القدرة على تنقيتها. إن الاضطهاد السياسي الذي تعرض له الشيعة طيلة حياتهم السياسية أوقعهم في دائرة مظلمة جعلتهم يخفون عقائدهم، وتزين الروايات لهم أن ذلك أحب عند الله. ففي رواية عن علي بن ساباط قال: أخبرني بعض أصحابنا عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر: يا ابن مسلم، الناس أهل رياء غيركم، وذلكم أنكم أخفيتم ما يحب الله ﷻ، وأظهرتهم ما يحب الناس. والناس أظهروا ما يسخط الله ﷻ، وأخفوا ما يحبه الله. يا ابن مسلم، إن الله ﷻ رأف بكم، فجعل المتعة عوضاً لكم عن الأشربة [2].

وفي تعليل لماذا أن الزنا جعل الشارع لثبوته أربعة شهود، وفي القتل شاهدين على الرغم من أن القتل أفظع من الزنا، يأتي التأويل موضوعاً على لسان الإمام الصادق: «إن الله تبارك وتعالى أحل لكم المتعة، وعلم أنها ستنكر عليكم، فجعل الأربعة شهودًا احتياطاً لكم، لولا ذلك لا أتى عليكم» [3].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص١٣٨.

(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. جـ١٢. ص١٥٥-١٥٦. ومن الممكن أن تفهم هذه الرواية بأنها رد فعل لشيعة الكوفة ضد الأحناف الذين أحلوا شراب النبيذ كما هو معلوم من خلاف كتاب الفقه.

(٣) محمد بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه. ص ٣٢٩. وانظر أيضاً كتابه (علل الشرائع). ص ٥٠٩. المكتبة الحيدرية.

وفي هذا إقناع للمريدين أنهم دون سواهم على حق. وأن الشارع سبحانه وتعالى قد شرع الأحكام مراعياً بذلك أفكارهم وعقائدهم.

وحتى لا يطلع الشيعة وخاصة أحداثهم على علوم غيرهم من المذاهب فيتأثروا بها، جمع لنا الحر العاملي ست روايات كلها تنهى عن سماع حديث (العامة)[1]. وهذا ينم عن خوف الشيعة على مريديهم من أن ينفضوا عنهم، كما يدل على عدم ثقة بما عندهم مقارنة بما لدى غيرهم.

وعند المجلسي في كتابه بحار الأنوار باب في فضائل الشيعة ذكر فيه أنهم: «هم أهل دين الله، وهم على دين أنبيائه، وهم على الحق، ولا يغفر إلا لهم، ولا يقبل إلا منهم».

وذكر روايات عن الأئمة بهذا المعنى منها ما رواه عن الإمام الحسين ابن علي: «ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء». وأخرى عن الإمام جعفر في حق من هم على غير التشيع، قال: «لا. والله ما هم على شيء مما جاء به الرسول ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط»[2].

وتتفتق عقول الملفقين عن آراء أريد بها استبقاء أفراد الشيعة على هذا الاعتقاد؛ لأنهم دون غيرهم على حق، وسيدخلهم الله الجنة، ويغفر لهم وإن زنى فرد منهم وسرق، كما في تلك الرواية الموضوعة على لسان الصادق [3]. وهذا خطأ فادح؛ لأن فيه تسهيلاً على المسلم الشيعي المتهاون في أحكام الله واقتراف الآثام، مازال أنه مقيم على حب آل النبي ﷺ. وهذا ما هو واقع مع

---

(١) الحر العاملي. وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٥. ص ١٩٦.
(٢) المجلسي.. بحار الأنوار. المجلد ١٥. ص ١٠٣ — ١٢٦.
(٣) المصدر السابق. ١٣٢. ١٤٠.

الأسـف، ليس في واقع اليـوم، بل هو من القديم سجلته كتب الشيعة في رواية عـن عبد الله بن كيسـان، قال: قلت لأبي عبد الله (جعفـر الصادق): جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان.. وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالـط الرجل فأرى له حسن السمت وحسـن الخلق وكثرة الأمانة، ثـم أفتشه فأفتشه عن عداوتكـم، وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانته، ثم أفتشه فأفتشه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ قال: فقال لي: أما علمـت يا ابن كيسان أن الله أخـذ طينة من الجنة وطينة من النار، فخلطها جميعاً ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه، فما رأيت في أولئك من هؤلاء من قلـة الأمانة وسوء الخلق والزعارة مما مسهـم من طينة النار، وهم يعودون لما خلقوا منه[1].

وهـذا فيه معذرة لأفراد الشيعة العصـاة؛ لأن هذا العصيان ليس منهم، إنمـا هو مـن طينة غيرهم، بـل ورد ما هو أصـرح من ذلك في روايـة عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت للإمام الباقر... يا ابن رسول الله، أجد في شيعة أمير المؤمنين ومن مواليكم مـن يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون في الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد.. فكيف هذا؟.. واني لأجد الناصب الـذي لا شك في كفـره يتورع من هـذه الأشياء لا يستحل الـ.. فكيف هذا؟... فـرد الإمـام: إن الله مزج طينتكم بطينتهـم، ولو ترك طينتهـم على حاله ما عملـوا صالحاً ولا... فما تـراه من شيعتنا من ربا وزنـا ولواطة وخيانة وشرب خمـر وترك للصـلاة والصيام و... فهي كلها من عـدو ناصب وسبخه ومزجه الـذي مـزج بطينته، وما رأيته في هذا العدو الناصب مـن الزهد والعبادة و... فذلك كله من طين المؤمن وسبخه ومزاجه، فإذا عرضت أعمال المؤمن وأعمال

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ ص٢٤.

الناصب على الله يقول الله عز وجل: أنا عدل لا أجور وعزتي وجلالي.. ما أظلم مؤمناً بذنب مرتب من سبخ الناصب وطينته ومزاجه، هذه الأعمال الصالحة كلها من طين المؤمن ومزاجه. والأعمال الرديئة التي كانت من المؤمن من طين العدو الناصب يلزم الله تعالى كل واحد منهم ما هو من أصله وطينته.. فإذا كان يوم القيامة نزع الله من العدو الناصب سبخ المؤمن ومزاجه وطينته مع جميع أعماله الصالحة ويرده إلى المؤمن، وينزع الله من المؤمن سبخ الناصب ومزاجه وطينته و... مع جميع أعماله السيئة ويرده إلى الناصب عدلاً منه ويقول للناصب: لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك أنت أولى بها، وهذه الأعمال الصالحة من طين المؤمن، وهو أولى بها[1].

إن هذه إساءة بالغة ليس من قبل هؤلاء الرواة من الشيعة ضد مخالفيهم، ففي أمثاله الكثير في كتب الشيعة، ولكن في ذلك إساءة للأتقياء والعلماء من الشيعة في كل عصر وزمان؛ لأنهم في هذا المنطق وتحت هذا المقياس يستوي الأخيار من الشيعة بأشرارهم، وتختلط الأمور على العقلاء، فينقادون إلى الجهلاء والمغرضين، وفي هذا تبعة ثقيلة على علماء الشيعة في تنقية هذه العقائد والتبرء من أصحابها بعد أن تجذرت في النفوس [2].

ونتساءل: من أين للشيعة هذه الأفكار؟ والجواب: هذه نجدها ومثيلاتها لدى اليهود، وفي أقوال الحاخامات وشراح التلمود، وما نقلناه لا يعدو أن يكون نقلاً قام به الموالي الشيعة الذين هم على صلة بالأفكار اليهودية المنتشرة خاصة في المدائن عاصمة الدولة الفارسية التي كان فيها وجود يهودي رسمي في بلاط الشاهنشاه. جاء في تعاليم التلمود: «اعلم أن أقوال الحاخامات هي

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص٢٨ -٢٩.

(٢) الكليني. الأصول. جـ١١. ص٢٨٠.

أفضل من أقوال الأنبياء»، وجاء أيضاً: «الإسرائيلي عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممي إسرائيليًا فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت. ولو لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والأرض. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب»، وجاء أيضاً في تعاليم التلمود: «الأجانب (غير اليهود) كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب... والكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي...».

وخلق أرواح الشيعة المنزهة عن أرواح (العامة) مشتقات تماماً من نص تعاليم التلمود القائلة: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده». وقد ذكر القرآن مقالة اليهود هذه بأنهم: ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ إن من الأسباب التي جرت الويلات والمشكلات على الشيعة طيلة تاريخهم هي تلك الأفكار الخارجة عن تقبل المجتمع الإسلامي، وعدم ملاءمتها للفكر الذي يدين به المجموع، مما أوغر صدور الآخرين عليهم [1].

وقد أفزعت فكرة سب الصحابة ﷺ أحمد الكسروي الذي كان أستاذاً في جامعة طهران، وتولى قبلها مناصب قضائية عدة، فكتب نافياً صحة ما ترددة المصادر القديمة من ارتداد أكثر الصحابة أو سبهم، وقد تعلق بأفكاره هذه بعض أبناء جيله وتلامذته، ويروى أن فعله لم يكن بسبب ديني، وإنما كان للاتجاه المادي ورفض كامل للدين عند جميع الفرقاء على السواء.

ومطولات كتب الشيعة بعد أن تبحث أحكام النواصب على عمومهم، فإنها أيضاً تخص بالبحث الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبا بكر وعمر

---

(١) د. محمد علي البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص١١- ١٢. الدار السعودية. ١٩٨٧م.

وعثمان ﷺ وتشتد في تكفير الاثنين؛ لأنهما في رأيهم هم أول النواصب الذين نصبوا حيلة في سقيفة بني ساعدة، حيث بايع عمر أبا بكر، وقال له: ابسط يدك أبايعك. فتسبب في ذلك مبايعة الناس لأبي بكر. وتصف رواية الكليني أن الناس ارتدوا عن الإسلام عند مبايعة أبي بكر إلا أربعة، وفي رواية: إلا ستة. وذكر منهم المقداد وسلمان وحذيفة.

وهذا شطط كبير في الحكم على جميع المسلمين، ومنهم صحابة الرسول ﷺ بالكفر؛ لأن الردة عن الإسلام كفر، وكيف يتم مثل هذا الإجماع على هذا الأمر القبيح في العقيدة، ولا يتنبه له إلا بضعة أفراد من الصحابة، وهذا طعن شديد على المسلمين والإسلام معاً ولا يمكن حصوله عقلاً.

ويبدو لي أن هذه الروايات وأمثالها في تكفير الصحابة وعلى الأخص الشيخين، وتلك التي تأمر بسبهما والبراءة منهما وضعها رواة الشيعة في مدة احتدام الصراع السياسي في العصر الأموي وما قبله من اقتتال بين أصحاب علي وأصحاب معاوية. وقد كانت الكيسانية وما تفرع عنها من فرق شيعية غالية قد توسعت في سب الصحابة خاصة بعد خروج المختار بن عبيد الله الثقفي.

إن مصادر الشيعة في أغلب الأحيان لا تورد اسم أبي بكر وعمر صريحاً حينما يتعلق الأمر بسبهما أو لعنهما أو تكفيرهما، وإنما تورد اسم كنايات أو إشارات مثل لفظة (الرجلين) أو (صنمي قريش) أو (الجبت والطاغوت) أو (فرعون وهامان)، وذلك حماية لنفس كاتبها وألا يتعرض للمساءلة. أما تلك المصادر التي كتبت في مدة ساد فيها التشيع، وأمن فيها المؤلفون من الشيعة، فقد يرد اسمهما صريحاً، كما في بعض المصادر التي كتبت في العصر البويهي أو الصفوي.

أورد الكشي في كتابه (الرجال) رواية أسند آخرها إلى داود بن النعمان، قال: دخل الكميت بن زيد الشاعر المعروف على الإمام الصادق، فانشده... فقال الكميت: يا سيدي، أسألك عن مسألة.. ثم قال: أسالك عن الرجلين؟ فقال «يا كميت بن زيد، ما أهريق في الإسلام محجة من دم ولا.. إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما»[1].

وقد تأول المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) قول الإمام الحسين لمنهال ابن عمرو: «وأصحابنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا»... قال المجلسي: «فلما تقدم استدلال علي أن المراد بفرعون وهامان وجنوده أبو بكر وعمر وأتباعهما» [2].

وعند المجلسي في كتابه (البحار) (باب كفر المخالفين والنصاب)[3]. حيث جعلهما في حكم واحد، وهذا خلاف ما عليه أكثر علماء الشيعة ومحققيهم، والسبب في ذلك أن المجلسي كتب (البحار) في مدة احتدام القتال بين دولة الصفويين الشيعية ودولة الأتراك السنية، وهذا يفسر ورود اللعن صريحاً باسمي الشيخين في كثير من مواضع الكتاب، منها ما نقله المجلسي من كتاب (تقريب المعارف) لأبي الصلاح الحلبي (عن أبي علي الخراساني عن مولى لعلي بن الحسين قال: كنت معه في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقاً إلا تخبرني عن هذين الرجلين عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من (أحبهما)[4]. كما أورد المجلسي رواية عن أبي حمزة

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص٢٠٦ – ٢٠٧.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص٢١٣-٢١٤.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ القسم الثالث. ص ١٤.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٤.

الثمــالي أنه سأل الإمــام علي بن الحسين عنهما فقــال: «كافران، كافر من تولاهمــا»، ثــم قال: وتناقل الخــبر عن علي بن الحســين ومحمد بن علي بن جعفــر بن محمد من طــرق مختلفة أنهــم قالوا: «ثلاثة لا ينظــر الله إليهم يوم القيامــة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: من زعم أنه إمام وليس بإمام. ومــن جحد إمامة مــن الله. ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً»[1]. ويروي المجلســي تعليــلاً لماذا سمــي أبو بكر بالصديــق وعمر بالفــاروق عن الإمام الصادق: «أن الرسول ﷺ سمي أبا بكر بالصديق لما كشف الرسول ﷺ له أن يــرى سفينة بني عبد المطلب تضطرب، فلما رآها أبو بكر أضمر في نفسه أن الرسول ﷺ لساحر، فقال له الرسول ﷺ: صديق أنت».

وعمــر سمــي بالفــاروق لأنــه فــرق بين الحــق والباطــل وأخــذ الناس بالباطــل[2]. ومثــل هــذه الروايــات كثيرة في كتــب القدمــاء والمتأخرين من الشيعة، ولكن بالنسبة للباحث النزيه المتجرد من الهوى، لا يمكن له أن يفهم النصــ دون معرفة الظــروف التي قيل فيها، ولكن مبدئياً ننزه أيّا من الأئمة علــي وبنيــه من أن يقولــوا مثل ذلك في أبــي بكر وعمر، ولكــن لا أستبعد أن يخــرج ذلك من أتبــاع الشيعة، كما ذكرت إبان الفتنــة الكبرى بين المسلمين في العصــر الأول، فمــن أحل أن يقتل يحل أن يشتم ويكفــر من بــاب أولــى؛ لأنه لم يقاتل إلا من اعتقد بخروجه عن الإسلام، وهذا شأن كثير ممن دخل في معركــة الجمل وصفين والنهروان، جميعهــم مسلمون، ولكن الكثير يشتم ويكفــر بعضه بعضــاً ، منهم المتأولون ومنهــم أصحاب الأهــواء والأغراض السياسيــة، ففــي حرب الجمل بين علي وعائشة رضي الله عنهما قــال الراوي: .... وجعل

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٤.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ٢١٨ -٢١٩.

يسير بي حتى أتينا عائشة ، فسمعت سب عثمان علانية فبكيت، فقلت: لا أقيم في بلد يسب فيه عثمان علانية[1].

ففي هذه المعارك الكبيرة التي قاتل المسلمون بعضهم بعضاً، أفرزت مقالات وحججًا لكل منهم ضد الآخر، استخدم فيها الجميع كل ما أوتي من برهان يصلح له تأويلاً من القرآن أو الحديث أو المنطق، ثم دخل في هذه الاحتجاجات أناس ورواة لا يخافون الله، كل همهم إرضاء السامع وبيع ذممهم بأبخس الأثمان. فإذا كانت وقعة الجمل قد قتل فيها ما يزيد على خمسة عشر ألف قتيل فعليك أن تقدر عظم المأساة والقتلى في صفين والنهروان[2]. وما نتج عن ذلك من تمزق وشتات بين المسلمين في مدة لم تكن بالقصيرة، فلما استقرت الخلافة إلى معاوية وتنازل له الحسن بن علي تنفس المسلمون الصعداء واستبشروا خيراً، وسموا ذلك العام عام الجماعة، حقنت فيه دماؤهم، وتصالحوا فيما بينهم، ولكن نتائج هذه الحروب ومآسيها صبت على رأس المنهزم الأخير، مهما قيل عن شرعية وجوده وقتاله، وهكذا ظهر تيار كبير في بداية العصر الأموي يعزو ما حدث للمسلمين للإمام علي وأتباعه.

روى الشيخ المفيد في أماليه أن رجلاً سأل ابن عباس عن علي، فذكره مادحاً إياه: «لم يشرك ولم.. ولم.. فقال الرجل: لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حمله السيف على عاتقه يختاله ويختال به حتى البصرة، فقتل أربعين ألفًا، ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم بعضاً حتى قتله، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم..»[3].

---

(١) الشيخ المفيد. الجمل. ص ١٧٨.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل. رواية سيف الضبي. جمع أحمد راتب عرموش. ص ٢٤ وما بعده. بيروت ١٩٨٤م.

(٣) الشيخ المفيد. أمالي المفيد. ص ١٤٦.

وأدى الخصـام السياسـي بالأمويـين إلى وضع أحاديـث وروايات ضد علي وأصحابه[1] كما قام العباسيون فيما بعد بوضع أحاديث في سب معاوية والأمويـين[2] وهكذا فإن واقعة سب الإمـام علي وأصحابه في العصر الأموي تثبتها الكثير من المصادر غير الشيعية، سواء على المستوى الرسمي من قبل الأمـراء الأمويين أم علـى المستوى الشعبي بعد أن شـاع موضوع الشتم على الأفـواه. ذكر المسعـودي رواية تفيد أنـه «لما حج معاوية طـاف بالبيت ومعه سعد بن عبادة، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريـره، ووقع في علي ﷺ، وشرع في سبه، فرجف سعـد، ثم قال: أجلستني معـك على سريرك، ثـم شرعت في سب علي، والله لا أكون في خصلة واحدة من خصال عليٍّ أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس»[3].

وبطبيعة الحال، فإن هـذا الشتم كان يؤذي آل علي، فقد ذكر الطبري عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقلـت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلـك، لا يدري كيف أصبحنـا، فأما إذا ما تدري أو تعلم فأخبرك: أصبحنا في قومنـا كمنزلـة بنـي إسرائيل في آل فرعـون، إذ كانوا يذبحـون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه علـى المنابـر، وأصبحت قريش تعـد أن لها الفضل على العـرب؛ لأن محمدًا منها.... [4].

---

(١) الطبري. تاريخ. جـ٢. ص١١٢.

(٢) الطبري. تاريخ. جـ٣. ص٢١٧ وما بعدها.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. جـ٥. ص٤٠. ابن عبدربه. العقد الفريد. جـ٤. ص٣٦٦.

(٤) الطبري. المنتخب. جـ١٣. ص ٨٩.

ولم يكن لآل علي حول ولا قوة للرد على خصومهم حينذاك. روى الطبري عن سالم مولى أبي جعفر قال: كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي ابن الحسين وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي، فلما ولي الوليد بن عبدالملك عزله وأمر به أن يوقف للناس، قال: فجمع علي بن الحسين ولده وحاشيته ونهاهم عن التعرض له[1].

وفي رسالة الجاحظ المتعلقة بفضل هاشم على عبدشمس انتقاد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان حيث قال: «... حسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير في منع بني هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب على منابر، ويرمى بالفجور في مجالسه، وهذا قرة عين عدوه وعين وليه..»[2].

وذكر ابن عبدربه رواية تفيد أن محمد بن هشام حج سنة من السنين فنزلت رفقة بجانبه فيها رجل كبير، فقيل له: إنه عراقي من الكوفة فاستدعاه محمد بن هشام وأمره بلعن علي، فقال: أو ما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك، فمن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟ قال: وما ذاك قال: الله وهو خير منك في عيسى وهو خير مني في النصارى وهم شر من علي، إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

ورواية أخرى تذكر أن معاوية جالس ومعه الأحنف بن قيس (وهو من أصحاب علي) إذ دخل رجل من أهل الشام فتكلم وسب عليًا فرد الأحنف: اتركوا عليًا في قبره.. فقال معاوية: والله لتلعننه على المنبر، فأبى الأحنف فتركه معاوية[3]. وأخرى تذكر أن معاوية أمر عقيلًا أن يلعن عليًّا، فقام

---

(١) الطبري. المنتخب. جـ١٢. ص ٨٩.

(٢) الجاحظ. آثار الجاحظ. ص٢١٦. الطبعة الأولى ١٩٦٩.

(٣) ابن عبد ربه. العقد الفريد. جـ٤. ص ٢٨.

عقيل على المنبر، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليًا فالعنوه لعنه الله. فقال معاوية: إنك لم تبين؟ فقال: الكلام على نية قائله[1].

ويؤكد ابن عبدربه في العقد الفريد أن معاوية كان يلعن عليًّا على المنبر، وكتب إلى عماله في الأمصار أن يلعنوا عليًّا على المنابر، وقد فعلوا ذلك[2].

والخلفاء العباسيون على علم بما كان يفعله الأمويون في سب الإمام علي، فقد ذكر أن محمد بن عبدالله بن حسن (العلوي) لما خرج في المدينة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور جرى بينهم كتب متبادلة احتج فيها محمد بن عبدالله بقرابته من رسول الله ﷺ وبأمور أخرى، فرد عليه المنصور، وكان مما ورد في قوله: «وابتلى بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على المنابر، كما تلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم فيما قالوا فيه»[3].

واستمرار السب لعلي زمن الأمويين جعل المجتمع يستمرئ مثل هذا العمل، ويقبل به، وقلما يحصل منكر لذلك، وذلك لغلبة السلطان. ذكر المسعودي في مروج الذهب: أن ابن عباس وقد كان أعمى في حينه سمع قوماً يسبون عليًّا، فقال لقائده: أدنني منهم، ثم قال لهم: أيكم الساب لله؟ قالوا: نعوذ بالله قال: أيكم الساب لرسول الله؟ قالوا: نعوذ إليه، قال: أيكم الساب لعلي؟ قالوا: أما هذا فنعم، قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سبني فقد سب الله، فمن سب عليًّا فقد سبني، فأطرقوا[4].

---

(١) المصدر السابق. جـ٤. ص٢٨.

(٢) المصدر السابق. جـ٤. ص٣٦٦.

(٣) المصدر السابق. جـ٥. ص٨٤.

(٤) المسعودي. مروج الذهب. جـ٤. ص٤٥١.

ويبـدو أن ذلـك لم يكـن يحصل إلا من أهـل الزلفى وأهـل الجهالة أو مـن صغار لا يعلمون من هو علي بن أبي طالـب. وقد ذكر أن سبب ميتة أبي العباس بن محمد أحمد الملقب بأبي العبر، وهو شاعر أحمق أنه كان هجاء، وقـد خرج إلى أرض الكوفـة، فسمعه بعض أهلها يقـول في علي قولاً قبيحاً، فقتله هناك[1].

ولما ولي الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز أمر بالكف عن سب علي بعدما أصبحت عادة، فمدحه الشعراء على ذلك، فقال فيه كثير عزة:

وليت فلم تشتم عليًا ولم تخف بريًا ولم تتبع مقالة مجرم

وقـد أنكـر الشاعر عبيـدالله بن كثـير السهمي على خالـد بن عبدالله القسـري وكان والياً للأمويين على مكة، وكان يسـب عليًّا والحسن والحسين على المنبر. قال عبيدالله السهمي:

لعـن اللـه مـن يســب عليًا وحسيناً مـن سوقة وإمـام

يأمن الطير والحمام ولا يأ من آل الرســول عند المقام

وينسـب لعبـدالله بـن الوليد بـن عثمان بن عفـان ﷺ أنـه كان يلعن عليًّا ﷺ ويقول: إن عليًّا ﷺ قتل جدي الزبير وعثمان [2].

(١) الأصفهاني. الأغاني. جـ٢٠. ص ٩٣ النسخة القديمة.

(٢) الجاحظ، فضل هاشم علي ابن عبدشمس. رسائل الجاحظ، ص ٢١٤-٢١٥. الطبعة الأولى. ١٩٦٩م.

ورأي الخـوارج معروف في علي وعثمان رضي الله عنهما وهـو أنهم يكفرونهما، ومن يتولاهمـا[1]. وكان السيد الحمـيري الشاعر المعروف مـن أبوين خارجيين، ولكنه يتشيع لعلي فقال يهجو والديه:

لعـن اللـه والـديّ جميـعـاً	ثـم أصـلاهـمـا عـذاب الجحـيم
حكما غدوة كما صليا الفجـر	بلـعـن الـوصـي بـاب العـلوم
لعنا خير من مشى فوق ظهر	الأرض أو طاف محرماً بالحطيم[2]

ويذكر المسعودي في أخبار عمر بن عبدالعزيز أنه ترك لعن علي رضي الله عنه على المنابر وجعل مكانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وأنـه كتب إلى عامله على المدينة أن يقسم في ولده عشرة آلاف دينار.. وقال له: «.. فطالما تعديتم حقوقهم»[3].

---

(١) يوضح هذا النهج للخوارج كتاب نافع بن عبدالله بن عبدالله زعيم فرقة الأزارقة، وهم من الخوارج إلى عبدالله بن الزبير يدعوه إلى الأخذ برأي الخوارج، قال: «أما بعد: فإني أحذرك من الله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾..... فاتق الله ربك، ولا تتول الظالمين، فإن الله يقول: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقد حضرت عثمان حين قتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن قاتلوه مهتدين وإنهم لمهتدون – لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده. ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل، وأن تتولى أباك وطلحة وعثمان... ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود... فبايعه أبوك وطلحة ثم خالفاه ظالمين له، وإن القول فيك وفيهما لكما، قال ابن عباس: إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً، أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل. ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائر لقد بؤتم بغضب من الله، لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوًا..».
انظر الكامل للمبرد. جـ٣. ص١٠٢٧. البابي الحلبي. مصر. ١٣٥٦ هـ.

(٢) السيد الحميري، ديوان شعر السيد الحميري، مكتبة الحياة، بيروت .ص٣٩١-٣٩٣.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. جـ ٥. ص ٤١٩. ٤٢١.

وليس الشعر والشعراء وحدهم عكسوا الواقع الشائع المتعلق بلعن علي أو سبه، بل أيضاً مجالس القضاء قد شهدت أحكاماً في هذا الصدد. فقد ذكر القاضي وكيع في كتابه أخبار القضاة أن سالم بن إبراهيم بن أبي بكر ابن عياش نازع أحد الأشخاص في إمامة علي بن أبي طالب، فاتهمه خصمه بسب علي و... فحدث إنكار لهذه الواقعة وطالب الناس بقتله.. ولكنه عوقب بالجلد ثلاثين جلدة، وكان محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين حاضراً في مجلس هذه القضية[1].

كما أن بحوث الفقهاء تناولت مسألة اللعن، وعما إذا كان داخلاً في الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ لمن يسب أصحابه، فقد ذكر ابن تيمية أن من لعن بعض السلف الصالح عُدّ داخلاً في الوعيد وإن كان متأولاً[2].

ثم هل اللاعن يُعدّ فاسقاً؟ فإن كان فاسقاً بهذا يخرجه من الإمامة أو القضاء؟ ذكر السرخسي وهو حنفي المذهب: أن الفسق لا يخرج صاحبه من الإمامة والسلطنة، فإن الأئمة بعد الخلفاء الراشدين قلما يخلو واحد منهم عن فسق، فالقول يخرجه من أن يكون إماماً بالفسق يؤدي إلى فساد عظيم، ومن ضرورة كونه أهلاً للإمامة كونه أهلاً للقضاء..[3].

وهكذا يبدو أن واقعة سب الإمام علي في العصر الأموي لها دوافع سياسية واضحة، وكان عمر بن عبدالعزيز أول خلفاء الأمويين الذي أوقف السب؛ لغلبة تدينه وعدله على دوافعه السياسية. فقد حكى هو عن نفسه: أنه كان غلاماً يقرأ القرآن على شيخ من أولاد عتبة بن مسعود، فمر الشيخ بعمر

(١) وكيع. أخبار القضاة. جـ٣. ص١٩١- ١٩٢.
(٢) ابن تيمية. رفع الملام. ص١٢٣ — ١٢٤.
(٣) السرخسي المبسوط. جـ٥. ص٣٢.

يومًا وهو يلعب مع صبية يلعنون عليًّا، يقول عمر: فجئت إليه فأعرض عني، ثم قال: أنت اللاعن لعلي؟ قلت: نعم، قال: متى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلت: وهل علي من أهل بدر؟ ثم قلت: لا أعود. ثم ذكر عمر أنه كان يحضر الجمعة مع والده الذي يخطب على منبر المدينة، ويقول عن والده: إنه إذا مر على موضع لعن عليًّا من الخطبة تلعثم، فكان يعجب لذلك، فسأله يوماً فقال له أبوه: إن من ترى من تحت منبري من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. قال عمر: فوقرت كلمته في صدري، فأعطيت الله عهداً لأغيرنه إن كان لي بهذا الأمر نصيب. وقد قال الشريف الرضي في حق عمر بن عبدالعزيز:

أنت نزهتنا عن السب والقذف ... فلو أمكن الجزاء جزيتك[1]

وما سلف من تحقيق اعتمدنا فيه على مصادر غير شيعية، أما مصادر الشيعة فتذكر موضوع لعن علي وسبه بشيء من المرارة، ولا تخلو من زيادات ومبالغات. ويعد من يشتم عليًّا في كتب الفقه الشيعية أنه ناصبي إلا أن يفعل ذلك تقية، وقلبه مستقر على محبة علي[2].

اعترف بعض محققي الشيعة أن الروايات الدالة على النصب وأحكامه السالفة روايات لم تصح أسانيدها، وإنها مخالفة للمشهور من الأصحاب، وإنها متعارضة فيما بينها[3].

---

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. جـ٤. ص٥٨ — ٥٩.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص٢٢٤ — ٢٣٦، الحر العاملي. وسائل الشيعة. مجلد ٧. جـ١٤. ص ٤٢٥. ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. جـ٤. ص ٥٨ — ٦٣، وكذلك انظر جـ ٥. ص ١٣١.

(٣) الحكيم. المستمسك. جـ١. ص ٣٧٣.

الكذابون علــى أئمة الشيعة حسب رواية الكشــي في الرجال[1] عن ابن سنان عن الصادق:

مسيلمة: يكذب على رسول الله ﷺ

عبدالله بن سبأ: يكذب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المختار: يكذب على الحسين بن علي عليه السلام.

ثم ذكر الصادق الكذابين:

الحارث الشامي.

بيان.

المغيرة بن سعيد.

بزيغا.

السري.

أبو الخطاب.

معمر.

بشار الشعيري.

حمزة البريدي.

صائد النهدي.

وقد نقل أبو سعيد نشــوان الحميري (ت٥٧٣هـ) في كتابه الحور العين عــن أبي طالــب في كتــاب الدعامــة: «أن كثيرًا مــن أسانيد الاثنــي عشرية مبنيــة على أسام لا مسمى لهــا من الرجال...»[2]. ونحاول أن نستعرض تلك الأسماء، ونلقي الضوء على الدور الذي قاموا به في النقل والكذب من جهة، ومن الاستعارة من الأفكار اليهودية.

---

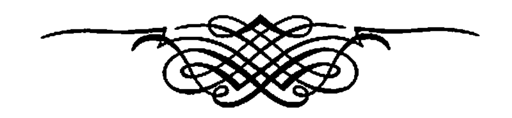
(١) الكشي: رجال. ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق: ص٢٠٧. ط٢ عام ١٩٨٢، بيروت.



البَابُ الثَّالِثُ

وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع المغالي



الفصل الأول

بعض الرجال

عبدالله بن سبأ:

تجمع مصادر الشيعة القديمة فضلاً عن مصادر السنة على وجود هذه الشخصية، والدور الذي قامت به في الفتن الأولى بين المسلمين منذ مقتل الخليفة عثمان، كما أوردنا تفصيل ذلك في موضعه.

والحقيقة أنه لم يكن لعبدالله بن سبأ -اليهودي الأصل- وأفكاره وحدها الأثر في المسلمين، وإنما هناك أسماء عدة، ولكن لشهرته في موضع الفتنة والحرب بين المسلمين تركزت حوله الأنظار منذ القديم، وتناقلت المصادر أخباره وأفكاره، وعمت أفكاره على مجموع المعارضين آنذاك، كما أن فرق الشيعة ليست وحدها في وقوع أفكارها تحت تأثير بعض الشخصيات اليهودية، وإنما الحال قد حصل عند الشيعة وغيرهم من الفرق، كل حسب معتقده والظروف المحيطة به آنذاك، وربما لم يحفظ لنا التاريخ كل الشخصيات المؤثرة لسبب أو لآخر.

إن من المحقق عند المؤرخين اتصال العرب قبل الإسلام ومعرفتهم للشعوب السامية، وخاصة العبرانيين عن طريق قبائل الشمال (سوريا)، ثم عن طريق الجنوب (اليمن) والعراق، حيث انتشرت في هذه المناطق التعاليم اليهودية والنصرانية، وكانت كتبهم في متناول الراغبين وأحبار اليهود والنصارى وبيوتهم الدينية على تماس بالعرب على قدر مختلف[1]. فقبائل

(1) جواد علي، العرب قبل الإسلام، جـ1، ص 174-289.

وسط الجزيرة العربية أكثر بعداً عنهم، بينما القبائل العربية في اليمن والعراق ومصر والشام كانت أكثر قرباً واحتكاكاً بهذه التعاليم والمعتقدات [1].

إن بعض القبائل العربية دخلت في الديانة النصرانية قبل الإسلام، وكان لها تعاليمها الدينية وكنائسها المعروفة في الشام والعراق ومصر... وبعد ظهور الإسلام دخل كثير من أفرادها في الإسلام، وكانوا أداة انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين على أقدار مختلفة في الزمان والمكان والمقولة الفكرية.

لقد ذكرنا أنه لا يمكن إنكار الأثر الواضح من الإسرائيليات والمعلومات المتعلقة بالأنساب الموجودة في التوراة والتلمود على مفكري المسلمين جميعاً، فكتب السير مليئة بالقصص المأخوذة من العهد القديم، بل إن أسماء الأنبياء وما ورد في حقهم في القرآن الكريم دفع المفسرين المسلمين لمعرفة المزيد عنهم وعن أنسابهم من المصادر اليهودية[2]، بل إن من المسلمين من قام بالنقل مباشرة من نصوص أهل الكتاب بشكل صريح وواضح ككعب الأحبار وهو يهودي دخل الإسلام، ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام، وهؤلاء لهم صلة وقرابة باليهود أو كانوا يهودًا. حتى من ولد من أبوين مسلمين من بعض المؤرخين المسلمين الأوائل اعتمد في مروياته على أهل الكتاب مثل محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وقد سمى أهل الكتاب بأهل العلم الأول [3].

ومنهم أيضاً محمد بن سائب الكلبي وابنه هشام، وقد كان أبو يعقوب اليهودي من أهل تدمر يزورون الكلبي وغيره، ويعلمه بأخبار أهل الكتاب [4].

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٢٠٧-٢٠٨.
(٢) جواد علي: المصدر السابق.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٦.
(٤) الواقدي، الطبقات، جـ١، ص ٢٩، القسم الأول.

وقد ذكـر الطبري في تفسيره: أن أناساً من اليهـود كانوا يكتبون كتباً، فيبيعونهـا أو يحدثون بها العرب، لقاء ثمن قليل، وأماكن هذه الأخبار كانت تخص اليمن والمدينة (يثرب) والعراق والكوفة [1].

لقـد أصبـح من المعلوم عنـد العلماء والمحققـين أن الأفـكار الإنسانية التـي حملتها حضارات البشر من القـديم وإلى اليوم، سواء وردت في كتبهم الدينيـة أو الفلسفيـة أو... ليست ملكاً لقوم دون آخريـن، بل كل أدلى بدلوه فيهـا وطورها، وأضاف إليها وأخرجها بالشـكل الملائم لحاجته وفكره، وفي بعض الأحيان تحصل استعارة لنص كامل كما سنرى برهان ذلك فيما بعد.

لا يعيـب الإسلام - وهو ديـن الله الحق كما أوحى به إلى نبيه ﷺ - أن يقـوم أهله وعلماؤه بالاجتهاد مستعينين بذلك التوضيح على ما في الديانات السماويـة الأخـرى بالقدر الذي لا يخرج عن معنـى الوحي المنزل، فمن شذ عـن ذلـك وذهب بعيداً في تبني فكرة لا صلة لها بالوحي كان له بقية العلماء بالمرصاد لإرجاعه إلى الحق، وإن أصاب أو لم يخطئ على الأقل سكت عنه، وقـد بحث الأصوليـون في مسألة شريعة أهل الكتـاب، وهل أن من شرائعهم يُعدّ شرعًا لنا أيضاً.

لقـد أثبـت المحققـون أن أفـكار المذاهـب الكلامية الأولى مـن قدرية وجبريـة،... كان سببهـا ومصدرهـا الأول مـا عنـد أهـل الكتـاب من فكر مشابـه لهـا، وليس هنا مكان بسـط هذا الموضوع، كمـا أن كثيراً من العرب اليهـود والنصـارى كان لهم دور كبير في علـوم الفلسفة والطـب والكيمياء والرياضيات، وليس هنا بسط الكلام في هذا الباب.

---

(١) الطبري، تفسير، جـ١، ص ٣٠٠، وجـ٣، ص ٢٣١ — ٢٣٢.

إن المصادر القديمة ومنها الشيعية تكاد تكون مجمعة على وجود شخصية ابن سبأ، وأنه كان يهوديًا من اليمن، أسلم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويبدو أن نشاطه السياسي والمذهبي منذ إسلامه ظل واضحاً لمن حوله، خاصة ما تعلق بيهوديته وأفكاره المتعلقة بالديانة اليهودية، التي حاول إدخالها وإقناع من حوله بها، ينقل الطبري تبرم الصحابي أبي الدرداء حيث قال له: من أنت؟ أظنك والله يهوديًا. وطرده ابن عامر والي البصرة [1].

وتنقل ابن سبأ بين الكوفة والشام والبصرة، ولكنه استقر نسبيًا بمصر، حيث وجد تربة بث فيها أفكاره على من نقموا على الخليفة.

إن أول من شكك في وجود شخصية عبدالله بن سبأ هم بعض المستشرقين، وبعض منهم ذهب إلى صحة وجوده، ولكن قلل من دوره الذي تعكسه المصادر العربية. فبرنالد لويس ينفي وجود هذه الشخصية، أما كيتاني المستشرق الإيطالي وفلاهوزن الألماني فقد قللا من دوره الفكري، وأن المصادر تبالغ في نسبة كل فكرة مخالفة للإسلام لابن سبأ.

كما أن طه حسين ذهب إلى أن ابن سبأ لم يكن إلا وهمًا [2].

ومن الشيعة المعاصرين الذين يذهبون إلى حقيقة وجود شخصية ابن سبأ محمد حسين العاملي في كتابه (الشيعة في التاريخ).

ويذهب المستشرق جولدزيهر إلى أن ابن سبأ أول من قال بتأليه الإمام علي رضي الله عنه [3].

---

(١) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص: ٣٤، ٢٨٣، ٣٢٦.

(٢) غلاة الشيعة، فتحي الزغبي، ص ٧٥-٨١.

(٣) العقيدة والشريعة، جولدزيهر، ص ٢٢٩.

لقد سلك بعض الباحثين الشيعة مجدداً إلى نفي وجود شخصية عبدالله بن سبأ بقصد مسبق، وهو التخلص من ادعاء أثره وآثار اليهودية على التشيع، وهو بحث عميق وجهد واسع مضنٍ، تمنيت أن يكون هذا الجهد في الطريق الصحيح للوصول إلى النتيجة التاريخية الصحيحة؛ لما لها من آثار كبيرة على مسيرة العقائد وتطورها عند الشيعة خاصة، بل الأصلح للعالم الإقرار بالحقيقة، فمسلك البحث في نفي شخصية ابن سبأ مسلك ليس فقط مناقضًا لمسلك حقائق التاريخ المتفق عليها عند علماء الشيعة والسنة (بل جميع الفرق الأخرى)، وإنما هو سباحة شاقة ومضنية عكس المنطق والفعل وطبيعة الأشياء، كما أوردناها في هذه المقدمة؛ وما عبدالله بن سبأ إلا لبنة صغيرة في جسر طويل زمناً عبرت منه الكثير من أفكار وتعاليم أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الأخرى، يؤيد ذلك ما سنورده من أدلة ملموسة في كتب الشيعة نفسها.

إن سنة الاستعارة والاقتباس بين البشر من سنن الله في خلقه منذ الأزل، وهذه حقيقة مثبتة عند الدارسين للحضارات القديمة والحديثة، وقد قامت على برهانها شواهد من القديم والحديث لا يمكن إنكارها وإن سار أي إنسان بخلاف ذلك. وكم من شخصية غير عبدالله بن سبأ كان لها أثر في انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين وفرقهم المختلفة، ولكن لم تعرف قطعاً أو أنها لم تشتهر كما اشتهرت شخصية ابن سبأ في التشيع.

إن عناصر الديانة اليهودية والنصرانية كما نقرؤها في مصادرهم اليوم هي الأخرى لا يمكن أن يدعي أنها أصيلة، إنما هي أفكار مقتبسة من أمم وحضارات قديمة. وقد قام الباحثون في مقارنة الأديان بدراسة هذه الأفكار، ووجدوا بينها تشابهاً كبيراً يدعو العالم إلى العجب والتمعن

واستخلاص العبرة والحقيقة التي ذكرناها، فمن فجر التدوين الذي وصلنا منه القليل عن الآشوريين والبابليين والفراعنة والعبرانيين وجميع الأمم السامية القديمة، وكذلك عند الأمم غير السامية من الإغريق والرومان نرى عناصر من هذه الحضارات وأفكارها، هي التي تكونت منها اليهودية مع تحويرات اقتضتها الظروف التاريخية والفكرية في وقتها. ولم يشذ التشيع ولا الفرق الأخرى عن ذلك[1].

أفكار عبدالله بن سبأ كما وردت عند الشيعة:

ذكر علماء الشيعة القدماء الباحثون في العراق ومنهم النوبختي شيعة الإمام علي ﷺ، وأنها افترقت بعد مقتله إلى فرق عدة، فالسبئية (نسبة إلى عبد الله بن سبأ) قالت: «إن عليًّا لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت، حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أول فرقة في الإسلام قالت بالوقف بعد النبي ﷺ من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب (عبدالله بن سبأ)، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ﷺ وتبرأ منهم وقال: إن عليًّا ﷺ أمره بذلك فأخذه علي ﷺ فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك، فصيره إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي ﷺ أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا ﷺ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ في علي ﷺ بمثل ذلك، وهو أول من شهد القول بفرض إمامة علي ﷺ، وأظهر البراءة

(1) Roberson smith, Kinship and marriage, London, 1903, PP.204.

مـن أعدائه وكاشف مخالفيـه، فمن هناك قال من خالـف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. ولما بلغ عبدالله بن سبأ نعي علي رضي الله عنه بالمدائن، قـال للذي نعـاه: كذبت لو جئتنا بدماغـه في سبعين صـرة، وأقمت على قتله سبعـين عدلاً، لعلمنـا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتـى يملك الأرض»[1].
وقد نقلنا كلام النوبختي كما ورد، ومنه نفهم ما يأتي:

«إن السبئيـة أول فرقـة شيعية مـن الغلاة ومقولاتها التـي ذكرها هي مقـولات الشيعـة الغلاة. وذلـك أن النوبختـي سبق أن ذكر وهـو يعدد فرق الشيعـة: وفرقة قالـت: إن عليًّا كان أولى الناس بعـد رسول الله ﷺ بالناس لفضله وسابقته وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم وأسخاهم وأورعهـم وأزهدهـم، وأجـازوا مع ذلك إمـامـة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعدوهما أهلاً لذلك المكان والمقام، وذكروا أن عليًّا رضي الله عنه سلم لهما الأمر، ورضي بذلك وبايعهمـا طائعاً غير مكره وتـرك حقه لهما، فنحن راضـون كما رضي الله المسلمـين لـه ولمن بايع لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسـع منا أحداً إلا ذلك، وإن ولايـة أبي بكر رضي الله عنه صـارت رشداً وهدى، لتسليم علي رضي الله عنه ورضاه، ولولا رضاه وتسليمه لكان أبو بكر رضي الله عنه مخطئاً ضالاً هالكاً، وهم أوائل البترية»[2]. فهؤلاء هـم شيعة علي رضي الله عنه الأوائل الذين لم تصبهم رياح التغيير، ولم تدخل عليهم عناصر الفكر الأجنبي من اليهودية أو الفارسية.

إن الشيعـة السبئيـة الغلاة هم أول فرقة شيعيـة قالت بفكرة (الوقف) بعـد النبي ﷺ. أي توقفـت عند نبوته ولم تقر بموته وأنـه سيرجع. ومن هنا نفهـم أن فكرة الوقف خـرج منها بالضرورة فكرة الرجعـة، وهذا يقود إلى فكـرة الغيبة. على مقولة: إنهـم يتوقفون عند موته فلا يقـرون لإمام بعده؛

(١) النوبختي. الفرق. ص٤٣- ٤٤.
(٢) النوبختي. الفرق. ص٤١-٤٢.

لأنه لم يمت وإنما اختفى وغاب وسيرجع بعدئذ لموضعه في إمامة المسلمين، فلا تحل لأحد بعده. وهذه الأفكار الثلاث هي الخميرة الصغيرة الأولى التي بذرها عبدالله بن سبأ. وتكررت هذه الأفكار في التراث الفكري الشيعي عند فرق مختلفة، واتسعت تبريراتها وكثرت المقالات والاحتجاجات حولها، كما هو معلوم هذا الحال عند وفاة النبي ﷺ؛ لأن ابن سبأ احتج ضد من خالفه بالآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وقال: عجباً لمن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع[1]. وهذه فكرة معزية حقًّا لكل من فقد حبيباً له ينكر أنه مات ويتعلق بوهم رجعته، وما هي إلا غيبة يسيرة وسيعود، ومن الوفاء وجوب الانتظار.

تذكر الروايات أن عمر بن الخطاب ﷺ لما بلغه وفاة رسول الله ﷺ أنكر ذلك على من بلَّغه، وكأنه يرى أن مركز النبوة والعظمة المحيطة من الله لرسوله ﷺ تمنع من موته، ولكن أبا بكر الصديق ﷺ رد على عمر ﷺ بالآية الكريمة: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾.

تجمع المصادر التاريخية على أن ابن سبأ كان يهوديًا فأسلم، وصاحب هذه المقالة على علم بالتعاليم اليهودية، فمن أين استعار ابن سبأ هذه الفكرة؟ لقد وردت هذه الفكرة ببساطة في التوراة تحكي قصة بني إسرائيل لما أخرجهم موسى عليه السلام من مصر وقادهم إلى سيناء وذهب إلى موعد ربه؛ لتسلم تعاليم الألواح وأناب أخاه في قومه، فتأخر في الرجوع إليهم. تقول التوراة: «ولما رأى الشعب أن موسى عليه السلام أبطأ في النزول من الجبل اجتمع

(١) الطبري. تاريخ. ج٣. ص٣٧٨.

الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا إلهًا....» فلما صنع لهم عجلاً له خوار، قالوا له: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ كما يحكي القرآن الكريم عنهم، فالقائد فقده قومه وتاهوا لا يعلمون عنه شيئاً، ولكنهم متعلقون به، وأنه سيرجع مؤكداً بعد غيبته.

كما تكرر تعلق اليهود بشخصية ستنقذهم مما هم فيه من مهانة وعبودية بعد سبيهم من قبل نبوخذ نصر وتهديم هيكلهم في القدس (٥٩٨ قبل الميلاد)، فظهرت نبوءاتهم القائلة بظهور المسيا الذي سيظهر، فينتقم من أعدائهم وسيجمع شملهم ويقيم دولتهم[1].

وربما قد استعار اليهود هذه الفكرة من الديانة الزرادشتية المنتشرة في العراق واليمن وقت خضوعهما للنفوذ الفارسي أمداً طويلاً. كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

يعتقد اليهود أن نبي الله إيليا لم يمت، إنما رفعه الله إلى السماء، وأنه سيعود في آخر الزمان وأن غيبته إنما هي إرادة من الله[2].

إن عبدالله بن سبأ أول من قال بفكرة كون الإمام علي رضي الله عنه وصي رسول الله ﷺ وإن منزلة علي رضي الله عنه في الإمامة كمنزلة يوشع بن نون من موسى عليه السلام بمعنى أن موسى عليه السلام أوصى له بعده. وإن ابن سبأ أول من أظهر للملأ الطعن على خصوم علي رضي الله عنه فكشف القول المنكر الذي لم يستطع الإمام علي رضي الله عنه بزعمه البوح به؟ وهذه كلها كانت بذورًا صغيرة بذرها ابن سبأ والمعارضة عمومًا كان لها الأثر الكبير في التشيع، حيث تلقفها من بعده

---

(1) Enc. Islamica ;al-masih, Ghoyboh.

(٢) جولدزيهر. العقيدة والشريعة. ص١٩٢.

غـلاة الشيعـة، وبنوا حولهـا الطعن علـى صحابة رسـول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ كما نعلم.

إن عبـد الله بن سبـأ إضافة إلى كونه يهوديًّا عارفًـا بالعقيدة اليهودية فـإن أصلـه مـن اليمن كما ذكرنـا، وقـد كان اليمن يحكم من قبـل الفرس وكانت الزرادشتية وتعاليمها مختلطة بالأفكار اليهودية، فليس ببعيد أن ابن سبـأ قد استعار فكرة الغيبة ومجـيء المنتظر من الديانة الزرادشتية، بل إن اليهوديـة قد تأثرت كثيراً بالديانة الفارسيـة القديمة، حيث تسربت تعاليم الزرادشتيـين إلـى أقوال الربان (رجـال دين اليهود) الذيـن أدخلوها حين تدوينهم للتلمود البابلي في العراق (بابل).

لقـد ذكرنـا قـول النوبختي: أن ابن سبـأ رفض تصديـق مقتل الإمام علي ﷺ، وأنه لن يموت حتى يملك الأرض، وهذا يعني أنه ربما غاب وسيعود ليملك الأرض طبعاً. وهذه إشارة إلى فكرة الغيبة والرجعة بعدها، فمن أين جاء مصدر هذه الأفكار؟

نقلنا: إن فكرة رجوع النبي إيليا عند اليهود، وأنه إنما غاب في السماء وسيعـود في آخر الزمان، وهذه النبـوءة اليهودية اقتبسها اليهود من الفرس عند تدوين التلمود بعد السبي البابلي، وتعرضهم للمهانة والشتات في العراق وفارس، فهم في حال يتعلقون بأمل مستقبلي لزعيم يظهر ليقودهم من جديد، كما قادهم موسى ﷺ، وأنقذهم من نير العبودية عند المصريين، وسينتقم من أعدائهم وكل من تسبب في آلامهم. وعقيدة الفرس الزرادشتية القديمة تؤمـن بظهور الابن الإلهي من ولـد بشتاسف بن بهراسف اسمه الشوثن، وأنه غائـب في حصن عظيم بين خراسـان والصين وأنه سيظهر آخـر الزمان[1].

---

(١) القاضي عبدالجبار. تثبيت دلائل النبوة. ج١. ص١٧٩.

إن اليهـود في العراق لا بـد أنهم سمعوا هذه الفكرة من الفرس، وهم في أمس الحاجـة لها خاصة رؤساءهم وأحبارهم مـن أجل أن يطمئنوا أتباعهم بأنهم لا بـد عائدون إلى أورشليم، ويقيمـون الهيكل المهدم، ويتعبدون مرة أخرى في ظل قيادة خارقة قوية تميت كل الشرور في النفوس، ويسود الأرض السلام، وادعى أحبار اليهود أن إلههم يهوه قد وعدهم بذلك، وأنه سيظهر (المسيا) كيف؟

ورد في سفـر أشعيا: «العذراء تحبل ولداً ابناً. يولد لنا ابن ونعطي ابنًا، وتكون الرياسة على كتفـه، ويدعى اسمه عجيب، ويكون إلهاً قديراً أبًا أبدياً رئيس السلام، يجلس على كرسـي داود وعلى مملكته؛ ليثبتهـا ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد....»[1].

ثم يتكلم السفر عن كيفية قضاء هذا المنقذ القائم، فيقول: «..... فلا يقضـي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسـب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه....».

وحينمـا يستتب الأمـر لهـذا القـائـم المنتظـر تبـدأ حقبة السـلام، فيقـول السفـر: «.... فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معاً. وصبي يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهمـا معاً، والأسـد كالبقر يأكل تبناً ويلعب الرضيـع على سرب الصل، ويمـد الفطيم يده إلـى جحر الأفعـوان.....». «... ويكون في ذلـك اليوم أن السيـد يعيد يده ثانية؛ ليقتني بقية شعبه، التي بقيت في آشور ومن مصر... ويرفع راية للأمم، ويجمع منفيي إسرائيل....»[2].

---

(1) أشعيا. الإصحاح: آية ٦-٧.
(2) سفر أشعيا ١٥:٧، الإصحاح ٦:٩ -٧ و١١ ١:١ -١٠.

وبسبب هـذه التنبؤات والأماني المنتشرة بين اليهـود بفارس والعراق ظهـر أدعياء كثر بأنهم القائم المنتظر. ففي القرن الثامن الميلادي ظهر في بلدة شيربه الفارسية رجل ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بعودة اليهود إلى فلسطـين، وتكرر في القرن نفسه أيضاً ظهور يهودي اسمه أبو عيسى في بلدة أصفهـان ادعـى أنه المسيح وجمـع جيشاً من عشـرة آلاف مقاتل من اليهود منتهـزاً فرصة انشغال الدولة العباسية في عهد أبـي العباس السفاح، ولكن الخليفة المنصور فيما بعد شتت جيشه واختفى أبو عيسى. وفي القرن السابع عشـر ظهر في سالونيك رجـل يهودي اسمه سبتاي زئيفـي ادعى أنه المسيح المخلص لليهود من الظلم الذي لحقهم على أيدي الأوربيين، وتبعه الكثيرون الذيـن راحوا يبيعون ممتلكاتهم (١٦٢٦م) لأجـل العودة إلى فلسطين، وقد انتهـى به الأمر إلى السجن في قلعة الدردنيـل حتى رجع عن مقولته وأسلم، وسمى نفسه محمد أفندي[(١)].

إن الحاجة البشرية هي الدافع الأول في نشأة العقائد عند جميع الفرق في الأمم جميعاً، وإن أكثر الحاجات البشرية إلحاحاً هي الاستقرار والأمان على الأرواح والأموال والمعتقد السابق الموروث.

وهذه كلها تجمعها الدوافع السياسية عند البشر.

جمعـت حولها كثيرًا مـن المعارضين للحكم على اختـلاف أغراضهم. ويبـدو أن المصادر التاريخية والرواة الذين دونوا أخبار السبئية ربما عمموا أفكار المخالفين للحكم وأطلقوا عليهم السبئية؛ لغلبة هذه الفرقة أو المجموعة على المعارضة وقتها.

---

(١) أحمد شلبي. مقارنة الأديان. اليهودية. ص١٩٢ وما بعدها.

أ- ذكر الكشي في كتابه الرجال (القرن الرابع الهجري)، وهو من الكتب الموثقة عند الشيعة، روايات عدة عن الإمام الصادق وعن الإمام علي ابن الحسين عليه السلام أنهم يلعنون فيها عبدالله بن سبأ بسبب مقالاته المنكرة في ربوبية علي بن أبي طالب عليه السلام ويرمونه بالكذب[1]، وأورد الكشي في كتاب الرجال الاتهامات نفسها، وذكر الاسترابادي في منهج المقال: أن الإمام عليًا عليه السلام أحرق ابن سبأ لأفكاره وغلوه، وقد ذكر ذلك أيضاً كل من سعد القمي في كتاب المقالات والفرق، والشيخ الطوسي في كتابه الرجال، والتستري في قاموس الرجال، وعباس القمي في تحفة الأحباب، والخونساري في روضات الجنان، وكلها كتب موثقة شيعية إمامية، ولم يشك أحد في وجود هذه الشخصية إلا أخيراً.

من أوائل من تشكك في وجود شخصية عبدالله بن سبأ المستشرق برنارد لويس (في كتابه عن أصول الإسماعيلية)، وذلك استناداً إلى أن الآراء المنقولة عن ابن سبأ لم تكن آراء سنة ٣٥هـ التاريخ الذي نسب عند ظهوره، وإنما هي آراء ظهرت أخيراً بعد أكثر من قرن، وتابعهم في هذا الشك طه حسين وغيره من العرب.

والحقيقة لا يمنع القول بوجود ابن سبأ كون الأفكار المنقولة عنه أفكار القرن اللاحق له بحجة أنها عند التحقيق لم تظهر في عصره، وهذا القول فيه جانب كبير من الحقيقة، وذلك أن ابن سبأ كان موجوداً وحقيقيًا، ولكن لم تكن جميع الآراء التي نسبت إليه قد قال بها. ولكن إذا جمعنا شتى الظروف تبين لنا أن هذه الأقوال مستمدة من الفلسفة، وما عند الديانات السابقة وعلى خلافهم، فإن أوائل المستشرقين قد أقروا بوجود

(١) الكشي، رجال، ص١٠٠.

هـذه الشخصية اليهودية مثل يوليوس فلهاوزن، حيث قال: «ومنشأ السبئية يرجـع إلى زمان علي والحسين ﷺ وتنسب إلى عبد الله بن سبأ، وكما يتضح مـن اسمه الغريب فإنـه كان يمنيًّا، والواقع أنه من صنعـاء، وهذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية..»[1].

زرارة بن أعين بن سنسن (من موالي الكوفة).

كان أبوه عبداً روميًّا لرجل من بني شيبان، فعرض الشيباني على عبده أعـين أن يُسمَّـى باسمه (الشيباني) على عادة العـرب، حيث كانوا يمنحون لقبهـم لمواليهم بعد إسلامهـم فرفض أعين، وقال لمـولاه: أبقني على ولائي سنسـن راهباً في بلد الروم[2]. وقد أعده النجاشي (شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدميهـم وكان قارئاً فقيهاً متكلماً)[3].وذكـر أن له تصانيف وكتبًا، ومن كتبـه التي يبدو أنها نُقُولٌ من فكر أهل الكتـاب إلى الفكر الإسلامي (كتاب الاستطاعـة والجـبر والعهود)، وقد سبق أن ذكرنـا أن أول من تكلم في هذه الموضوعـات هم أولئـك الرجال الذين كانوا على علـم بالديانات السماوية، فنقلوا إلى الفكر الإسلامي تلك المقولات في علم الكلام خاصة.

وقـد شهد الإمام الصادق على زرارة بأنه ليس فقط من النصارى أو اليهـود، بل هـو شر منهم؛ لقبح المقـالات التي أدخلها، وادعـى أن الصادق والباقـر قـد قالا بهـا[4]. وقد تحايـل زرارة على الإمام الصـادق، فذكر أن الإمـام أعطـاه الاستطاعـة من حيـث لا يعلـم، أي إن الصادق أقـر بفكرة

(١) انظر يوليوس فلها وزن الخوارج والشيعة، ص ١٧٠، ترجمة عبد الرحمن بدوي.
(٢) الطوسي، الفهرست، ص ١٤١.
(٣) النجاشي، رجال، ص ١٢٥.
(٤) الكشي، رجال، ص ١٦٠.

الاستطاعة عند الإنسان وأنه غير مجبر، وما ذلك إلا من المؤثرات السابقة والمختمرة بفكر زرارة وأهله، فقد ذكرنا أيضاً أنه اعترف بأن جده سنسن كان راهباً في بلد الروم.

إن آل أعين من البيوت الكبيرة في الكوفة كما يبدو من مصادر الشيعة؛ لأن الأخبار تفيد أن لزرارة جماعة يترددون عليه ذكر منهم يزيد بن معاوية العجلي وغيره، وقد رد الإمام الصادق على أحد السائلين لما عليه أهل الكتاب، فأجابه أن هذه من مسائل زرارة. وعلق الصادق على ذلك قائلاً: إن آل أعين يريدون أن يكونوا على غلب [1]. ومن أتباع زرارة أيضاً يونس (ابن ضبان)، وقد لعنه الصادق أيضاً لاتباعه مقالات زرارة، وكذلك يذكر معهم أبو بصير والليث بن البحتري المرادي.

بيان بن سمعان النهدي اليمني:

انتقل بيان من اليمن إلى الكوفة، وكان من أتباع حمزة سالف الذكر، وكان يعمل تباناً بالكوفة، ينسب له مع الجعد بن درهم القول بخلق القرآن، وادعى بيان أن ابن الحنفية قد أوصى له، وأن الأمانة في عقبه، ثم ادعى كذلك النبوة، وقال متأولاً: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وذكر أنه أرسل للإمام محمد الباقر رسالة يدعي فيها النبوة، وطلب من الباقر اتباعه، وسلم رسالته عمر بن عفيف فرد عليه الباقر: أن يأكل قرطاسه، ونسب إليه القول بحلول الألوهية في الإمام علي ﷺ، وأن عليًّا ﷺ هو الذي أرسله نبيًّا. ثم ادعى نفسه الألوهية عن طريق التناسخ الذي انتقل من الإمام

(١) الكشي، رجال، ص ١٢٤.

علـي ﷺ إلى ابنه محمد ابـن الحنفية، ثم إلى هاشم بـن محمد، ثم لبيان نفسـه، وهذا صريح مذهب الحلول المعروف عنـد الهندوسية والزرادشتية، ويذكـر أن بيانًا سبق هشام بن الحكم القـول بتشبيه الخالق بالجسم تعالى الله عن ذلك، ولكن بيان وخمسة عشر من أصحابه حرقهم الوالي خالد بن عبدالله القسري في الكوفة، وذلك سنة ١١٩هـ[1].

محمد بن نصير النميري:

قـد انشق عن الإماميـة وكان صاحب الإمام الحسـن العسكري، وذكر النوبختـي: أنـه ادعـى النبـوة، وذكر البعضـ أن طائفـة النصيريـة تنسب إليـه، ويذكـر أن خلفـاء النصيري هذا استمـروا على مذهبـه، وهم محمد بن جنـدب والحسين بن حمـدان الخصيبـي، وبعده بختيار بـن معز الدولة البويهـي الديلمـي الفارسي، وقد توفى محمد بن نصـير سنة ٢٦٠هـ، ونسب لـه أن روح الله قـد حلت به، بل ذكر عنـه ألوهية الإمام الحسـن العسكري، وأنـه قال بإباحة المحارم. كما نسب له النوبختي تحليله نكاح الرجال، ونسب لفرقـة النصيرية القول بالتناسخ للأرواح والإلهيـة للأنبياء والأئمة من دور إلـى دور، وذلك إلى يوم الحسـاب[2]. كما نسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمـر وعبـادة الهـواء، وهذه تُعـدُّ حقيقتهـا في رأيهم متجسـدة في الإمام علي ﷺ نفسه، قال بعضهم: إن السواد في القمر هو علي بن أبي طالب، ولكنه محجوب عن الأعين، فالقمر هو علي ﷺ ذاته، وعبادة القمر هي عبادة لعلي

(١) فتحي الزغبي، غلاة الشيعة، ص ١٣٤.

(٢) فتحي الزغبي، غلاة الشيعة، ص ٢٦٠

ﷺ، فهو الرب والإله[1]. والعناصر المجوسية الفارسية واضحة في عقيدتهم، بل إن عبادة القمر لدى الآشوريين والبابليين ولدى العرب في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام كما سبق، وأن علمنا ذلك واضحة جلية في معتقداتهم.

رواة الشيعة الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب.

نقل كثير من الرواة الشيعة عناصر من عقيدة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وادعوا أنهم سمعوها من الأئمة. ويبدو أن أكثر العناصر الأجنبية التي دخلت على التشيع كانت من قبل عناصر فارسية؛ لأن أكثرية الرواة كانوا من الموالي الفرس، نقلوا أفكارهم وأفكار آبائهم وأجدادهم الأقدمين؛ لحاجتهم إليها في الاحتجاج إلى دعوتهم أو مشاركاتهم في الثورات، التي قامت ضد الدولة الأموية أو العباسية. ومع ذلك لم يسلم التشيع من دخول عناصر من عقيدة وأفكار أهل الكتاب خاصة اليهود، ذلك أن رجال الشيعة كانوا على مقربة من الجاليات اليهودية، التي كانت منبثة في العراق، خاصة في المدن القديمة التي سبق للفرس أن شجعوا اليهود أو منحوهم الحماية لاستيطانها كاردشير وماخوزا (المدائن) وطيسفون وشكنزب وسورا ويمباديتا ومخوزا (سلوفية) وغيرها من المدن الفارسية مثل ميديا التي ورد اسمها والجاليات اليهودية التي كانت تسكنها وأسماء الأحبار اليهود الذين كانوا يترددون على هذه الجاليات، لتفقد رعاياهم كل ذلك برعاية من الدولة الكسروية، وكان في بلاط كسرى في المدائن ممثل للجاليات اليهودية (سفير)[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٢) كرستنس. إيران في العهد الساساني. ص٢٤ ترجمة الخشاب.

يبدو أنه حتى المدن التي أسسها الجيش العربي الإسلامي أيام الفتح لم تسلم بعد ذلك من سكن اليهود بين ظهراني العرب والمسلمين عامة؛ لما عرف من تسامح أهل البلاد المفتوحة منذ القدم مع هذه الأمم والديانات. ذكر الكشي أن الإمام الصادق قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريف. إن المغيرة كذب على أبي، فسلبه الله الإيمان...»[1]. وقد مثل الإمام جعفر الصادق المغيرة بن سعيد مثل بلعم بن عورا عند اليهود الذي قال المفسرون: إنه هو المقصود بالآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[2].

وقد كان المغيرة هذا من أهل الكوفة، واليهودية التي يتردد عليها لم تكن طبعاً تسكن وحدها، لما عرف عن اليهود أنهم يسكنون جماعات لا أفراداً إلى يومنا هذا في كل مكان. والتردد لم يكن هدفه الأساسي إلا فكريًّا تعليميًّا، فهل كان المغيرة يلتقي معها فقط أم مع قومها أيضًا، فيتعلم منهم ولا بد أن المغيرة بن سعيد لم يكن هو الوحيد في الكوفة الذي يصنع ذلك، وإنما يقتضي الحال كل من كان على شاكلته وأصحابه. ولمعرفة مدى أثر المغيرة بن سعيد في الفكر الشيعي وما دسه من أفكار مغالية يجب تتبع مروياته في الحديث المبثوثة في كتب حديث الشيعة، فيا ترى كم من الأحاديث دسها المغيرة؟ ذكر في مقدمة تنقيح المقال، وهو من كتب الرجال المعتمدة عند الشيعة: أن المغيرة نفسه اعترف قائلاً: «قد دسست في أخباركم أخبارًا كثيرة تقرب من مئة ألف حديث»[3].

(١) الكشي. رجال. ص١٩٦.

(٢) الكشي. رجال، ص١٩٨.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج١. ص١٧٤ (النجف).

هشام بن الحكم:

إن الإمام الصادق كان على علم ممن ينتحل التشيع، ويدس به الأفكار والعقائد الأجنبية، وخاصة من أولئك الموالي الذين يأخذون من أهل الكتاب، والذين أسلموا ظاهراً، ولكنهم استمروا على بعض عقائدهم القديمة وأصروا عليها. ومنهم هشام بن الحكم مولى كندة وجماعته الذين نسبوا إلى مقولته في التشبيه والتجسيم للخالق تعالى الله عن ذلك وقد سبق أن أشرنا إلى الحديث عنه في هذا البحث وكان من أهل الكوفة، وقد سكن بغداد، وخلاصة أقواله في التجسيم ما يأتي:

إن الله جسم وصورة، واحتج بأن الأشياء جسم وفعل، فلا يجوز أن يكون الله الصانع هو الفعل، بل هو الجسم.

وقد زعم أن الخالق بوصفه جسمًا، فإن له طولًا وعرضًا: كبقية الأجسام، وزعم أن طول ربه سبعة أشبار (بشبر نفسه).

إن علم الله محدث.

إن الإنسان مجبر جبراً شديداً.

إن الله نور ساطع يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها.

إن الله ذو طعم ورائحة ومجسة.

كان الله ولا مكان، فلما تحرك حدث المكان.

إن الله يعلم ما تحت الثرى بالإشعاع.

إن علم الله صفة له، وعلمه لا محدث ولا قديم، والصفة لا توصف.

إن الأنبيــاء يعصــون ربهــم. ويــرى عصمــة الأئمة مــن الذنــوب، بدليل أخــذ الرســول ﷺ الفداء مــن الأسرى. فــإن أخطــأ النبي ســدده الله بالوحي. أمــا الإمــام فمعصــوم فــلا يحتــاج إلــى وحــي يســدده. وهــو يؤمــن بإمامــة علي ﷺ، كما يراها الشيعة الإمامية.

وهــذه الآراء ليست فقــط أفكار هشام بن الحكم إنمــا أيضًا نسبت أو بعضهــا لرواة مــن الشيعة أمثال يونســ بن عبد الرحمن القمــي وأبي جعفر الأحــول ومحمد بــن النعمــان صاحب الطــاق ومحمد بن جعفــر بن محمد الأســدي الكوفي وهــارون بن سعدان وعلي بن ميثــم التمار وغيرهم كثير في مدرسة التجسيم والتشبيه[1].

صفــات الإلــه عنــد اليهود وتشابههــا بمــا يقول هشــام بن الحكم وأصحابه.

علم الله موسى وأصحابه من اليهود عدم التصريح باسم الإله (يهوه) احترامــاً لــه، وأن يكتفوا بالإشارة لــه، وقد انتقلت هذه الفكــرة إلى التشيع الإمامي، فمن التعاليم عندهم عدم التصريح باسم الإمام الثاني عشر، بل الاكتفاء بلقبه أو الإشارة إليه بالقائم. الغائب. صاحب السرداب.

عند خروج بني إسرائيل من مصر كان (الرب) يسير أمامهم في عمود سحاب نهاراً؛ ليهديهم في البرية، وليلاً في عمود نار.

حينما صعد موسى وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف، كذات السماء من النقاوة.

---

(١) الكشي. رجال. ص٢٧٠-٢٧٨. والمامقاني. تنقيح المقال. ج٣. ص٢٩٨-٢٩٩.

وقد استعار هشام بن الحكم صورة العقيق الأزرق، فاستبدلها باللؤلؤ المضيء بالنور.

هيكل سليمان الذي يعبده اليهود هو مقر الإله يهوه، وزخرفة هذا الهيكل وتجسيمه قد أودعته الأنبياء كما يدعون، فهو مسكن الأرواح، وبه المذبح حيث قتل قائد جيش النبي سليمان عليه السلام، وهو ممسك بقرون العجل رمز عبوديتهم ليهوه إلههم. وبسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل سمى اليهود عزرا (ابن الله)[1].

وجاء في التوراة: أن الله قد خلق آدم على هيئته، أو على صورته.

وقد نقلت المصادر القديمة مقالات كثيرة من غلاة الشيعة في الكوفة، منهم حمزة بن عمارة البربري، فقد ذكر النوبختي: أن هذا ادعى النبوة، وأن المختار هو الله (تعالى الله عن ذلك) وقيل: إنه قد نكح ابنته وأحل المحارم، ونقل عنه: أنه من عرف إمامه فليصنع ما شاء. ويذكر النوبختي: أنه قد تبعه رجلان من نهد: الأول صائد، والثاني اسمه بيان[2].

ومن هؤلاء في الكوفة أيضًا عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، ويقال: إنه من تلاميذ عبدالله بن سبأ، فهو الذي قال برجعة محمد ابن الحنفية، والقول بالأسباط الأئمة الأربعة علي والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية. وذكر عنه أنه قد تأول هؤلاء الأربعة من الآية: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ حيث إن الله أقسم بهم. وهؤلاء الأسباط هم الذين عناهم السيد الحميري:

(١) فتحي الزغبي. غلاة الشيعة. ص١٢٨-١٣٠.
(٢) النوبختي. فرق الشيعة ص٢٥.

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء

وادعى ابن حرب هذا رجعة ابن الحنفية وبيده معجزته سيف كعصا موسى، فيهز سيفه دون قرن الشمس، يراه جميع أهل الأرض وأهل السماء. كما ادعى ابن حرب: أن روح الله التي تناسخت في الأنبياء والأئمة، ومنهم ابن الحنفية انتقلت فحلت به[1].

إن أثر العقائد والأفكار القديمة استمر مؤثراً على التشيع حتى في العصور المتأخرة، وما انشقاق فرقة البابية من المذهب (الاثني عشري الشيعي) إلا مظهراً من هذه المظاهر، حيث ادعى الميرزا علي محمد في شيراز أولًا أنه هو الباب المقصود في المذهب، ثم ادعى أنه هو الإمام المنتظر عند الشيعة، ثم تجرأ وادعى النبوة ونسخ شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ.

وسنتعرض لهذه الفرقة في موضعه إن شاء الله، حيث انحرفت هذه الفرقة، واقتربت من مذهب الإسماعيلية في التأويل للجنة والنار ويوم القيامة، ومالت إلى فكرة التناسخ.

مالك بن الأشتر النخعي

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، ونسبه بعضهم إلى السبئية والقول بمقالة عبدالله بن سبأ، ذكر ذلك محمد بن يحيى المالقي في كتابه التمهيد والبيان. ومالك بن الأشتر من قبيلة مذحج من النخع. وله أدوار قتالية في جيش الإمام علي في الكوفة. وقيل: إن الخليفة عثمان رضي الله عنه سبق

(١) المصدر السابق.

أن غضب عليه وضربه. وفي سنة ٣٨هـ من خلافة الإمام علي رضي الله عنه ولاه الإمام على مصر، وكتب له كتابًا سمي (عهد الإمام علي لمالك الأشتر في توليه لمصر)، ذكر في نهج البلاغة يشتمل على توجيهات ونصائح سياسية. ولكن قبل وصول مالك الأشتر لمصر توفي في الطريق. قيل: توفي مسمومًا، كما تدعي المصادر الشيعية، التي ضخمت هذا العهد إلى درجة أنه أمسى مصدرًا من مصادر دستور الحكومة الإسلامية في إيران، ولا أدل على هذا التفخيم من اختلاف المصادر والرواة في نص هذا العهد.

الأسود بن يزيد

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ونسب إليه أيضًا أنه من جملة السبئية التي قالت بمقولة عبد الله بن سبأ، ذكر ذلك محمد ابن يحيى المالقي في كتابه التمهيد والبيان. والحقيقة أن أمثال هؤلاء كثير، وكان الإخباريون يطلقون عليهم اسم السبئية.

عمرو بن ثابت بن هرمز البكري (ت١٧٢هـ)

وشهرته ابن أبي المقداد العجلي:

وهو من موالي عجل. روى عن أبيه وعن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وسماك بن حرب وغيرهم. أما الذين رووا عنه فقد ذكر منهم أبو داود الطيالسي ويحيى بن بكير وسعيد بن منصور وعباد بن يعقوب الرواجي وغيرهم [1].

(١) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ٢١٢ وما بعدها.

هذا ولم يوثقه البخاري، وقاله عنه النسائي: إنه متروك الحديث. وقال عنه أبو أحمد الحاكم: إن حديثه ليس بمستقيم. وضعفه يحيى بن معين وقال: إنـه ليس بشـيء. ولكن أباه ثقة، حيـث روى أبوه عن شعبـة وسفيان الثوري. وذكـر عنـه أبو زرعة أنه شديـد التشيع واهي الحديث. وذكـره ابن حبان في الوضاعـين. وقـال عنه الإمام أحمد بـن حنبل أيضاً: إنـه كان يشتم عثمان. وترك ابن المبارك حديثه، وإنه كان يقدم الإمام عليًا ﷺ على الشيخين.

ومن المناكير التي رواها أن النبي ﷺ لما مات كفر الناس إلا خمسة، وفي روايـة عنه أيضـاً إلا أربعة. وقد سبق تناول هـذه الرواية وقول الشيعة فيها. وذكر ابن المبارك سبب كون حديثه متروكًا أنه يسب صحابة الرسول ﷺ.

أمـا كتب الشيعة فتذكـره في أصحاب الإمام محمـد الباقر، وتذكر أن الباقـر أو الصـادق هـو الذي سماه عمرو بـن أبي المقداد، وهـو مولى عجل كـوفي تابعي. وأكثر محدثي الشيعة على توثيقه، لكن ابن الغضائري عده من المجروحين في كتابه الضعفاء والمذمومين. وذكر الخوئي أن المروي عن عمرو ابن أبي المقداد يبلغ نحو خمسين مورداً.

من ورد عنهم الوصية للإمام علي ﷺ:

١- كُدَير بن قتادة الضبي المختلف في صحبته. وعند المحدثين يروي المراسيل، وعند أكثر المحدثين أنه تابعي. ذكر الحافظ العقيلي رواية عن سماك بن سلمة أنه دخل على كُدَير بيته فسمعه يقول في الصلاة: سلام على النبي والوحي. وقد ضعفه البخاري. وقال عنه الجوزجاني: إنه كان زائغاً[1].

٢- الأصبـغ بـن نباتة الكـوفي التميمي. وكان من أصحـاب الإمام علي ﷺ، عيَّنه على شرطة الخميس قائداً. ومصادر السنة لا توثقه وتعده متروك

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. جـ٤٢ – ٤٦.

الحديث وغير ثقة، وبخلافهم مصادر الشيعة كما سيأتي تفصيل ذلك، وقد روى أحاديث منكرة وخارجة عن المعقول، ومما يتعلق منها بالوصية روايته عن الإمام علي ﷺ: «إن لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب، براثنه في الأرض السابعة، وعرفه تحت العرش له جناحان..... فكلما حضر وقت الصلاة قام الديك... ثم نادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، وأن وصيَّه خير الوصيين.. فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه..»[1].

وقد ورد في تفسير فرات أحد تفاسير الشيعة رواية مرفوعة عن الأصبغ ابن نباتة عن سلمان الفارسي قوله: «أقسم بالله لسمعت رسول الله ﷺ وهو يقول لعلي: يا علي، أنت والأوصياء من بعدي». أو قال: «من بعدك لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم وأعراف لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه»[2].

من ورد عنهم القول بفكرة الرجعة:

يقصد بالرجعة هنا رجوع الميت إلى الحياة مرة أخرى، وقد كانت الفكرة عند أمم سابقة قبل الإسلام سبق أن تناولناها في موضعها، وكان أخصها وأقربها فكرة رجوع سيدنا المسيح وكونه لم يمت.

وأول ما ظهرت فكرة الرجعة بين المسلمين كانت بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ذكر بعضهم أنه سيرجع، ونسب ذلك إلى عبدالله بن سبأ والسبئية

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. جـ٢ ٤٢ – ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٤.

عموماً. ثم ذكرت أيضاً بعد موت الإمام علي ﷺ وأنه سيرجع فيحكم العرب، ونسب القول أيضاً لعبدالله بن سبأ والسبئية. ويبدو أن الكوفة كانت موطن هذه الدعاوى؛ لاتصالها بالنصرانية والحيرة ومعرفة كثير ممن دخل الإسلام بفكرة رجعة عيسى أو غيره من الأنبياء عند الأمم السابقة، هذا وقد ورد القول بالرجعة عن بعض الصحابة والتابعين، منهم:

١- أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي:

ذكر المحدثون في مصادر السنة أن أصبغ قد روى عن عمر وعلي والحسن بن علي وعمار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري. أما الذين رووا عنه فسعد بن طريف والأجلح الكندي وثابت البناني ومحمد بن السائب الكلبي ورزين بن حبيب الجهني.

وفي مصادر الشيعة ذكر ممن روى عنه طائفة منهم أبو الجارود زياد ابن المنذر الهمداني ومحمد بن داود الغنوي وإبراهيم بن مهزم ومحمد ابن الوليد ومحمد بن الفرات وأحمد بن أبي عبدالله والحارث بن حصيرة والحارث بن المغيرة، وإن أكثر مصادر السنة لا توثقه، فقد قال عنه أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي (ت ١٩٤هـ): إنه كان كذاباً. وقال عنه يحيى بن معين: ليس ثقة، وعند النسائي وابن حبان: إنه متروك الحديث. وقال الدارقطني: إنه منكر الحديث. وقال عنه الجوزجاني: إنه زائغ. وقال عنه ابن حبان: إنه فتن بحب الإمام علي حتى أتى بالطامات فاستحق الترك. وقال عنه البزار: إن أكثر أحاديثه في علي ﷺ لا يرويها أحد غيره. وقال عنه ابن سعد: إنه كان على شرطة علي ﷺ. وانفرد بتوثيقه أحمد بن عبدالله العجلي (ت ٢٦١هـ)، وذكر الحافظ العقيلي (ت ٣٢٢هـ) أن الأصبغ كان يقول

بالرجعة، وروى عنه بعض الشيعة ذلك. نقل العاملي عن أبي الفتح الكراجكي رواية عن الأصبغ أن معاوية سأله: إنكم تزعمون أن عليًّا دابة الأرض (إشارة لما ورد في الآية الكريمة) فقال: نحن نقول بما تقول به اليهود عن إليا. فقال معاوية: ويلك ما أقرب إليا من علياً. وتذكر مصادر الشيعة أنه من الموثوق بهم ومن أصحاب علي، روى عن الإمام علي عهده لمالك بن الأشتر حينما ولاه مصر. كما روى وصية الإمام علي لابنه محمد ابن الحنفية. وشرطة الخميس بضعة آلاف شارطهم الإمام علي على الجنة، على أن يكونوا في مقدمة جيشه ورجاله، يطلبهم في الملمات [1]. وسأل الأصبغ:

كيف سميتم شرطة الخميس؟ قال: أنا ضمنا له الذبح.

وتنسب رواية للأصبغ عن الإمام علي قوله: إن رسول الله ﷺ: «علمه ألف باب في الحلال والحرام مما كان ومما كائن إلى يوم القيامة، كل باب يفتح ألفًا حتى علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب، وحتى علمت المنكرات من النساء والمؤمنين من الرجال».

وقد ورد في تفسير فرات الكوفي رواية تفيد اعتقاد أصبغ بالوصية لعلي، وأنه أي الإمام علي أفضل الأوصياء. كما نسب إليه القول بالرجعة على ما تقدم [2].

٢- رشيد الهجري الرياشي بن عدي الطائي (ت ١٢٨هـ).

ذكر أنه من أصحاب الإمام علي. وأنه روى عن أبيه، كما روى عنه سيف بياع السابري. لم يوثقه البخاري ولا النسائي، وقال عنه ابن حبان: إنه

(١) المصدر السابق. ص ٤٠ – ٤٢. د. سعدي الهاشمي: المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق. ص ٤٤ – ٤٦.

كان يؤمن بالرجعة. وقيل: إنه كان يرى بأن عليًّا هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. ففي رواية عن حبيب بن مهبان قال: «سمعت عليًّا على المنبر يقول: دابة الأرض تأكل بفيها وتحدث بأستها. فقال رشيد الهجري: أشهد أنك تلك الدابة، فقال له علي رضي الله عنه قولاً شديداً»[1]. ومن المناكير التي رواها ما نقله ابن حبان والشعبي عنه أنه قال: خرجت حاجاً، فقلت: لأعهدن بأمير المؤمنين، فأتيت بيت علي، فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم، والله إنه يتنفس الآن نفس الحي، قال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل، فدخلت على أمير المؤمنين، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذباً فلعنك الله»[2].

أما مصادر الشيعة فتوثقه وتعدّ روايته السابقة دلالة على علمه بالبلايا والمنايا، كما قال المامقاني[3]. وتروي أن الإمام عليًّا أخبره أنه سيموت مقطوع اليدين والرجلين واللسان، فكان ذلك على يد عبيدالله بن زياد والي الكوفة، حسب رواية ابنته قنواء. ولقد تداولت مصادر الشيعة هذه الرواية وغيرها عن رشيد الهجري، واستفاضت في مدحه وتوثيقه، وأنه يصل إلى حد العصمة ومعرفة الغيب[4]. ومن هنا ندرك كيف دخلت على مصادر الشيعة القديمة تلك الأفكار الغالية، التي دفعت والي الكوفة إلى قتله، وقتل كثير ممن ادعوا أفكار الغالية كما هو معلوم، وأشير إلى أن مصادر السنة المتعلقة بالأنساب أو الرجال تخلو عن ذكر هذه الشخصية، مثل تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير والإصابة لابن حجر وطبقات ابن سعد، وتهذيب الكمال

(١) المصدر السابق. ص ٤٨. عن ميزان الاعتدال. جـ٢. ص ٥٢. ولسان الميزان. جـ ٢. ص ٤٦١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المامقاني. تنقيح المقال. جـ١. ص ٤٣١.
(٤) المجلسي. البحار. جـ ٢٥. ص ٢٥١.

للمـزي، وتهذيب التهذيب لابن حجر وكتب الأنساب عند الكلبي أو ابن حزم في أنساب العرب.

٣- داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأزدي الزعافري الكوفي الأعرج (ت١٥١هـ).

تذكـر كتب الحديث عند السنة أنـه روى عن أبيه، وعن كل من الشعبي والحكـم بن عيينـة وسماك بن حرب والمغـيرة بن شبيـل وإبراهيم النخعي وغيرهـم. أمـا الذين رووا عنـه، فمنهم شعبـة وأبو نعيم وخـلاد بن يحيى وسفيان بن عيينة ووكيع وغيرهم.

أما أقوال المحدثين فيه فهو عند أحمد وأبي داود وابن معين ضعيف. ولم يوثقه النسائي. وقال عنه العجلي: لا بأس به. يكتب حديثه. قد روى له البخاري حديثاً واحدًا في الأدب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان يؤمن بالرجعة[1].

٤- المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي (ت ١٢٠هـ).

تنسب له فرقة المغيرية التي نشأت بالكوفة، حيث قد ذكرت المصادر أنه ادعـى النبوة، واشتغل بالشعبـذة والتمويه على ضعاف العقـول بالكوفة. قال عنـه يحيى بن معـين: إنه رجل سوء. وقال عنه ابن عبد البـر: إنه كان ساحراً مشعبـذاً. قتله خالد القسري والي الكوفة وأحرقه، وتشير المصادر إلى أنه لم يكن عربيًا، وإنما كان مولى لخالد القسري. وقال عنه ابن حبان: إنه من حمقى الروافض بالكوفة ومن واضعي الحديث. وقالوا عنه: إنه زور على الإمام علي وعلى آل البيت أحاديث منكرة. وتذكر المصادر أنه كان أعمى، وكان على علم بالديانـات القديمة، خاصة المانوية والمندائيـة (الصابئة)، وقد ذكر العقيلي

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

أن المغيرة بن سعيد يؤمن بالرجعة، وينتقص من الشيخين ويلعنهما. ونسبت له بعض الروايات قوله بألوهية الإمام علي وتكفير أكثر الصحابة. وزعم أن الإمام عليًا يحيي الموتى. وأنه مسح على عيني أعمى فأبصر[1]. وتناقلت كتب الشيعة هذه الروايات واعتمدت تصديقها، كما هو عند الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، وقد جمع المجلسي في كتابه البحار جملة من معجزات الأئمة أسند بعضها للإمام علي عن المغيرة بن سعيد وغيره من الرواة؛ ولذا فإنه من الأهمية بمكان لمن يريد معرفة جذور التشيع، وكيف نشأ أن يتناول هؤلاء الرجال، ويستعرض أفكارهم وحياتهم؛ ليدرك كيف دخلت أفكارهم بعدئذ على التشيع وصدقتها الشيعة بمرور الزمن، وأصبحت مبادئ ومعتقدات لا يمكن الرجوع عنها أو إنكارها؛ لأنها من ضرورات المذهب[2].

٥- جابر بن يزيد الجعفي الكوفي:

روى جابر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وأبي الضحى مسلم بن صبيح وعكرمة وعطاء وطاوس وخيثمة والمغيرة بن شبل والشعبي.

وروى عنه شعبة والثوري وإسرائيل والحسن بن حي وشريك ومسعر ومعمر وأبوعوانة وغيرهم. وأما من روى عنه من الشيعة فقد ذكر بعضهم النجاشي منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف ابن يعقوب.

وصفه سفيان الثوري بالورع. ويظهر أن شعبة كان يتكلم في جابر، فلم يقبل منه الثوري ذلك. وذكر الإمام أحمد أن ما رواه شعبة عن جابر

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣.

يبلغ نحو سبعين حديثاً. وقال عنه يحيى القطان (ت ١٩٨هـ): «تركنا حديث جابر قبل أن يقدم علينا الثوري». كما ذكر أن عبدالرحمن بن مهدي ترك الرواية عن جابر بعد أن كان يروي عنه.

٦- محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن الكلبي (أبو النضر الكوفي) (ت ١٤٦هـ).

وقد روى ابن الكلبي عن أخويه سفيان وسلمة وعامر الشعبي والأصبغ ابن نباتة وأبي صالح مولى أم هانئ.

كما روى عنه كل من ابنه هشام وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج وغيرهم كثير، أما قول أهل الجرح والتعديل فلا يوثقونه عموماً، فقد قال فيه أبو حاتم: إن أهل الحديث مجمعون على ترك حديثه. ولم يوثقه النسائي، وقال عنه الدارقطني وغيره: إنه متروك الحديث. روى ابن أبي حاتم بسنده قول ابن الكلبي: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد ﷺ فنفثوا في فيَّ، فحفظت ما كنت نسيت.

وقد عجب بعض أهل الحديث كيف أن سفيان الثوري يروي عن ابن الكلبي وهذه حاله، فقيل: إنما يروي على سبيل إيضاح حالة صحيحة من سقيمها؛ ليحذر منه.

هذا وقد تناولت كتب التفسير بعض الروايات عن الكلبي، ويسند الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس، وتحقيق العلماء في هذه الرواية أنها باطلة؛ لأن أبا صالح لم يرَ ابن عباس مطلقاً.

ومـن المناكـير التي رويت عـن الكلبي هـذا أن جبريـل كان يوحي إلى النبـي ﷺ، فقام النبي لحاجتـه وجلس علي فأوحى إلى علـي. قال عنه ابن حبـان: إنه كان سبئيًّا. وكان من الذين يقولـون: إن عليًّا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا[1].

٧- عثمان بن عمير البجلي الثقفي الكوفي الأعمى (ت ١٥٠ هـ).

وقـد روى عثمان هذا عـن أنس وزيد بن وهب وأبـي الطفيل وعدي بن ثابت وأبي حرب ابن أبي الأسود.

وقـد روى عنــه حصين بـن عبد الرحمـن والأعمش وحجاج بـن أرطأة وسفيان الثوري ومهدي بن ميمون وشريك.

أمـا أهـل الحديث فلـم يوثقـه أكثرهـم، فقال عنه ابـن معين: «ليس بشـيء». وعند الدار قطنـي: أنه متروك الحديث. وعنـد الحاكم: أنه زائغ. وقـال ابن عبد البر: «كلهم ضعفه». وذكر البخاري: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن عدي: «رديء المذهب غالٍ في التشيع، يؤمن بالرجعة، على أن الثقات قد رووا عنه مع ضعفه»[2].

٨- عمرو بن جابر الحضرمي:

ومـن شيوخ عمرو الذين روى عنهم جابر بـن عبد الله وسهيل بن سعد وعبد الله بن الحارث وعمر بن علي بن أبي طالب والأعمش.

---

(١) النجاشي. رجال. ص ١٤٠-١٤٦. د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٤.

أما من روى عنه فكثير، منهم ابنه عمران وعكرمة بن عمار وسعيد بن أبي أيوب وأبي لهيعة وبكر بن مضر وهانئ بن المنذر الكلاعي.

نقل عن أحمد بن حنبل أنه قد بلغه أن عَمْرًا كان يكذب. كما قال: إنه قد روى عن جابر مناكير. قال عنه الجوزجاني: إنه غير ثقة وعلى حمق وجهل. قال عنه الأزدي: إنه كان كذاباً. ولكن أبا حاتم ذكر أنه صالح الحديث. ومن المناكير التي رويت عنه أنه كان يقول: إن الإمام عليًّا ﷺ يرى في السحاب. هذا وقد صحح الترمذي حديثه. وروى أكثر من واحد أن عَمْرًا هذا كان يقول إذا مرت به سحابة: «هذا علي بن أبي طالب قد مر في السحاب»[1].

٩- ثابت بن أبي صفية الثمالي الملقب بأبي حمزة (ت ٨٣هـ).

سبق أن ذكرنا أقوال العلماء فيه: أنه من الذين كانوا يشتمون الخليفة عثمان بن عفان ﷺ في الكوفة. وهو الذي ورد عنه حديث (دعاء صنمي قريش).

قال عنه العقيلي فيما روي: أنه يؤمن بالرجعة[2].

وفي تفسير فرات وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة روايات كثيرة عن ثابت الثمالي توضح تأويل الثمالي لكثير من الآيات: أن المقصود منها علي بن أبي طالب منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي بولاية علي. ونسب له أيضاً قوله: إن الآية تقرأ: (وإذا قيل لهم ما أنزل إليكم في علي قالوا أساطير الأولين). كما روي عنه. (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني، ولقد ذكرنا عليًّا في هذا القرآن. كما نقل عنه رواية منكرة يتهم فيها أن علم

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٨

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٦٤. وص ١٧٥.

النبوة لم ينقطع وإنما جعله معه في علي وذريته. هذا إضافة لما نقلناه من اعتقاده بالوصية وما نسب إليه من القول في حق بعض الصحابة إنهم أعداء الله. ونسب ذلك للإمام محمد الباقر[1].

١٠- زياد بن المنذر النهدي الهمداني الملقب بأبي الجارود أو سرحوب (ت١٥٠هـ):

وقد روى عن عطية العوفي وأبي الجحاف داود بن أبي عوف والأصبغ ابن نباتة وأبي الزبير وأبي جعفر.

أما من روى عنه فمنهم مروان بن معاوية الفزاري ويونس بن بكير وعلي بن هاشم بن البريد ومحمد بن سنان العوفي.

وزياد لم يوثقه أكثر أهل الحديث، فهو عند أحمد ضعيف ومتروك وكذلك عند الدارقطني والنسائي. وقال عنه ابن معين: ليس يساوي فلساً. وعند أبي حاتم: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن حبان: لقد كان يضع الحديث في مثالب الصحابة. وقد روى له الترمذي حديثاً واحداً في صفة يوم القيامة.

وتنسب فرقة الجارودية أو السرحروبية إلى زياد بن المنذر وآرائه، فقد ذكر النوبختي: أن من آرائهم أن الإمام عليًّا أحق بالولاية، وأن من دفعه وتقدم عليه كافر، وجعلوا الإمامة بعده لابنه الحسن، ثم الحسين، ثم هي شورى في أولادهما. ومن خرج مستحقاً الإمامة فهو الإمام، وعن هذه الآراء تشعب الزيدية. ونسبوا له القول: إن الرسول ﷺ قد نص على إمامة علي بالإشارة دون التسمية أو التعيين، وينسب البغدادي إلى الجارودية اعتقادهم بتناسخ الأرواح، وأن أرواح الأئمة والأنبياء متولدة.

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٤.

ويسند أبو الجارود رواياته للإمام أبي جعفر الصادق، وهي منتشرة في كتب الشيعة، ومنها كتاب الأصول للكليني وعموم الكتب الأربعة، وكثير من روايته أن الإمام ينظر من الخلف كما ينظر من الإمام [1]، وتختلف المصادر في نسبه، فمرة تذكر أنه نهدي، ومرة أنه ثقفي، ومرة أنه هندي، وربما يكون السبب في ذلك أنه غير عربي وإنما كان مولى.

١١- محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي (ت ٣٢٦هـ):

وقد روى محمد بن القاسم عن علي بن المنذر الطريقي وأبي كريب، وروى عنه الدارقطني ومحمد بن عبدالله القاضي الجعفي.

قال عنه الحافظ أبو الحسن بن حماد الكوفي: «كان يؤمن بالرجعة...»[2].

هذا وقد أنكر كثير من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه فكرة رجعته بعد مماته، منهم عاصم بن ضمرة وهو من أصحاب علي، كما أن أئمة من أهل البيت أنكروا ما كان يروج عن بعض أصحاب الإمام علي من رجعته، منهم ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد ورد في مسند الإمام أحمد أن عاصم بن ضمرة رضي الله عنه قال للحسن بن علي: «إن الشيعة يزعمون أن عليًّا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه» [3] [4].

---

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٠ – ١٨٤.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٨.

(٣) مسند أحمد. جـ٢. ص ٣١٢.

(٤) يمكنك الرجوع إلى الاثني عشر رجلًا من رواة الحديث الذين أدخلوا التراث اليهودي للتشيع، خاصة صراحة بن خصيرة ص ٢٢٥-٢٣٩، وكذلك الأحد عشر رجلًا الذين ورد عنهم بعض أفكار الغلاة. ص ٢٤٠ – ٢٤٨.

وأخيرًا: نود أن نشير إلى أن هناك الكثير من غلاة الشيعة الذين من المحتمل أنهم كانوا يؤمنون بفكرة الرجعة، ولكن لم تذكر المصادر عنهم ذلك بالتحديد من أمثال أبي منصور العجلي البكري، الذي تنسب إليه فرقة المنصورية، وكان أصحابه كما تذكر المصادر يستحلون قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم، وقد قتله يوسف بن عمر الثقفي، ثم صلبه.

نماذج ممن ورد عنهم بعض أفكار الغلاة:

١- فرات بن الأحنف بن مشرح بن أبي بحر الهلالي الكوفي.

روى فرات عن أبيه وعن عقبة بن حريث.

وروى عنه مالك بن سعيد بن الخنس وعبدالواحد بن زياد ومروان الفزاري ومحمد بن فضيل وعبده بن سليمان ووكيع.

وقد وثقه أبو حاتم الرازي ويحيى بن معين. ولكن الذين جرحوه كثيرون، منهم ابن حجر وأبو داود وسفيان والنسائي. وفي رواية لابن حبان بسنده عن ابن نمير: أن فراتًا كان ممن يقول: علي بن أبي طالب في السحاب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان غالياً في تشيعه، لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج بروايته. وقال عنه الذهبي: هو من غلاة الشيعة.

أما مصادر الشيعة فمختلفة في حاله: قال عنه الطوسي: إنه من أصحاب علي بن الحسين. وقال عنه: إنه يرمى بالغلو والتفويض. وذكر الأردبيلي أسماء من رووا عنه، منهم عمرو بن مصعب وأحمد بن محمد بن خالد البرقي. وقال: وروايته عنه مرسلة؛ لأن زمانه بعيد عن زمان فرات. كما ذكر أيضاً من الأسماء عمرو بن عيسى وعثمان بن عيسى ومحمد بن سنان.

وفكـرة التفويض من أفكار الغـلاة، وقد ظهرت مذاهـب من المفوضة الذيـن يقولـون: إن الله سبحانـه وتعالى خلـق محمدًا ﷺ وفوضـ إليه أمر العالم. ثم ذهب بعضهم إلى نقل فكرة التفويض إلى الإمام علي ﷺ.

وقـال عنـه أحمد بـن الحسين (ت ٤١١هــ) الملقب بابـن الغضائري: زعمـوا أنه غالٍ كذاب، قـال عنه العقيلي: «.... إنـه كان يقول في محمد ﷺ شيئاً من القديم» وهو يرمز لفكرة التفويض. وقال عنه ابن داود: «... يرمى بالغلـو والتفويض القول. غـالٍ كذاب». وقال عنه المامقـاني: «... والرجل لا يمكـن إصـلاح حاله مع هذه المـذام...» ومع كون الرجل هـذه حاله في كتب الشيعة، فإن الكليني قد اعتمد رواياته في كثير من أبواب الكافي [1].

٢- أبو القاسم نصر بن الصباح البلخي (من رجال المئة الثالثة):

لا توثقه كتب رجال الشيعة القديمة. ذكر الطوسي أنه من أهل بلخ الشيخ، وقال: «قيل: كان من الطيارة غاليًا». ولفظ الطيارة إما أن المقصود به الارتفاع إشـارة إلـى الغلـو أو أنه إشـارة إلى مذهب الطيـارة من الشيعـة الذين كانوا يعتقـدون أن الأئمـة (أو الشيعة أصحاب هذا المذهـب) لا يموتون، وإنما تطير نفوسهم في الغلس. وفي هذا إشارة إلى أفكار الزرادشتية وتناسخ الأرواح.

وذكـر الكشي أنه من الغـلاة، وكذلك فعل النجاشي، ولكـن كتب المتأخرين على عادتهم يوثقونه، منهم المامقاني ومحمد بن إسماعيل الحائري وغيرهم [2].

٣- علي بن حسكة القمي:

قال عنه الكشي: إنه من الغلاة في وقت الإمام علي بن محمد العسكري، ونقل رواية عن الإمام أبي الحسن العسكري يلعن فيها علي بن حسكة وتلميذه

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٠١ – ٢٠٦. النجاشي. رجال. ص ٤٢.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٠.

القاسـم اليقطيني؛ لأن شيطاناً يتراءى للقاسـم، فيوحي إليه زخرف القول غروراً.

كما نقل رواية أن بعض أصحابهم كتب إلى الإمام أبي الحسن العسكري يسألـه عـن حال علي بن حسكة، الذي يرى: «أنه مـن أولئك وأنت أنت الأول القـديم، وأنـه بابك ونبيـك، أمرته أن يدعـو إلى ذلك، ويزعـم أن الصلاة والـزكاة والحج والصوم كل ذلـك معرفتك...» فكتب إليـه الإمام بلعن ابن حسكة وتكذيبه.... وقال: «فإن وجدت منهم أحداً فاخدش رأسه بحجر»[1].

٤- القاسم اليقطيني الشعراني القمي أبو الحسن بن علي بن يقطين بن موسى مولى بني أسد.

ذكر الطوسي أن الرجل يرمى بالغلو. وقال عنه الكشي: إنه كان يدعي أنه باب وأنه نبي.

وذكـر ابـن الغضائـري أن أهـل قم يرمونـه بالغلو، ولكـن فيه الخير، وذكـر الخوئي أنه من الضعفاء بشهادة ابن الوليد. خاصة ما ذكر من فساد عقيدته. وقد أورد الكشي روايات تدل على تأويل القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة إلى كون الصلاة والصيام والحج و... إنما تدل على رجال ولم يقصد بها حقيقتها. وإن الإمام أبا الحسن العسكري قد أمر باعتزالهم[2].

٥- رشيد الهاجري الطائي:

سبـق الحديث عنه وأنه مـن أصحاب الإمام علي، وأنه من الذين كانوا يؤمنـون برجعة الإمام علي، أو أن الإمـام عليًّا هو المعني بدابة الأرض. وإنـه

(١) سعدي الهاشمي، المصدران السابقان.

(٢) المصدران السابقان

كـان يدعي معرفة سـر آل محمد ﷺ الذي به يكلم الموتى. وأنه ادعى وطلب تكليـم الإمـام علي في قبره، وادعى أنـه يسمعه، وأنه يتنفس في قبره. كما ادعـى أن الإمام عليًّا أخبره بأسرار ستقع وهو في قبره. كما كان يدعي أن الإمام عليًّا قد علمه علم البلايا والمنايا. وأن الله قد من عليه بالعصمة عن مخالفة الرحمن[1].

هذا وانظر آراء العلماء السنة والشيعة فيه كما مر سابقاً.

٦- المغيرة بن سعيد (ت ١٢٠هـ).

سبق الحديث عنه وأقوال علماء السنة والشيعة فيه، ويهمنا استعراض أهم الآراء الغالية التي ادعى بها، كما وردت في المصادر الموثوقة:

١- ادعى النبوة بالكوفة، وكان قد شغل أهل الكوفة بادعاء الشعبذة وإشعال النـيران، فتبعـه خلق كثير مـن ضعاف العقـول، الذين صدقـوا سحره ودعواه، فسموا بالمغيرية.

٢- اعتقاده برجعة الإمام علي إلى الدنيا.

٣- لعنه وانتقاصه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٤- ينسب للإمام علي الخوارق التي لا تصدق: كالمسح على الأعمى فيبصر، وإحياء الموتى و... وقد صدق بعض علماء الشيعة هذه الأقوال، وأوردوها في كتبهم، منهم الشيخ المفيد في كتابه المسائل والإرشاد وغيرها، وابن شهرأشوب في كتاب المناقب والمجلسي في البحار وغيرهم.

---

(١) رجال. ص ٤٩.

٥- كما ادعى أنه وصي لبعض الأئمة من الشيعة، ثم ادعى أنه هو نفسه إمام، وأكد إمامة أبي عبدالله جعفر بن محمد ﷺ، حسبما أورد ذلك النوبختي في كتابه (فرق الشيعة)[1].

٦- ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه بالوحي حسبما ذكر النوبختي. كما ادعى أنه يحيي الموتى.

٧- وردت له تأويلات باطنية لآي من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي بعلي بن أبي طالب. والإحسان: فاطمة. وإيتاء ذي القربى: الحسن والحسين.

وقد وجدت هذه الآراء صدى عند بعض مفسري الشيعة، فقد ورد في تفسير فرات بسنده أن الإمام علي قال: «... ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر، ولقد وفدت على ربي اثنتي عشرة وفادة، فعرفني نفسه، وأعطاني مفاتيح الغيب... أنا قال الله فيه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

وذكر النوبختي: أن بيانًا هذا قد ادعى أنه نبي، وأنه قد نسخ بعض شريعة محمد ﷺ. كما ذكر البغدادي أنه ادعى الربوبية، أي إن الله قد حل به، وزعم أنه هو المقصود بالآية: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وقال: أنا البيان. كما ادعى بالتناسخ والرجعة. وتجرأ فأرسل إلى الإمام محمد الباقر يطلب إليه أن يؤمن به، وقد وصمه الإمام بالكفر واللعن[2].

---

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٨٥

(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥١. البغدادي. الفرق بين الفرق. ص ٢٣٧.

جابر بن يزيد الجعفي:

لقد تم ذكره وآراء العلماء فيه ومدى توثيقه ورأيه المتعلق بالوصية من النبي ﷺ للإمام علي بالإمامة، وأنه يؤمن بالرجعة، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من المصادر تنسب إلى جابر بن يزيد الجعفي آراء أخرى، فقد وصفه يحيى بن يعلى بأنه كان يؤمن بالرجعة. ونقل عنه أنه كان يشتم بعض الصحابة. ونادى بانتقال الإمامة من علي إلى أبنائه. كما نسب لجابر أنه ادعى أنه الباب والواسطة بين الشيعة في الكوفة والإمام محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق. وهذه الآراء نقلتها لنا مصادر الشيعة القديمة خاصة، ففي كتاب الغيبة للنعماني أحاديث تنسب لجابر قوله ورأيه بالوصية[1].

ونقل الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد روايات مسندة إلى جابر بإيمانه بانتقال الإمامة من معصوم إلى إمام معصوم آخر من آل محمد، وأنه يكون هو القائم[2]. كما أورد الكليني في الكافي روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، ويؤمن جابر بأن العلم انتقل من النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب، ومنه انتقل من الإمام إلى الذي يليه. وقد قال المامقاني عن جابر: إنه كان باباً للإمام محمد الباقر، ومن بعده الإمام جعفر الصادق، وعلى ذلك وثقه برغم ما قيل فيه من قدح. وهذا هو رأي الشيعة النصيرية القائلين: إن جابراً كان باباً للإمام الصادق. والباب هو مدخل العلم والأسرار: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وعلى ذلك لا يحصل العلم دون الدخول إليه من الباب، والإيمان بالمعصومين الاثني عشر.

---

(١) النعماني. الغيبة. ص ٩٦، ص ٩٢-٩٦.

(٢) المفيد. الإرشاد. ص ٥٢٦.

ونقـل عن جابـر: أنه كـان يدعي أن علـي بن أبي طالـب هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. وأنه يعلم سـر السلام على الإمام المهدي، ولما سأله أحد أصحابه كيف ذلك رد عليه: إن قلت لك كفرت.

كما نقل أن جابـراً ادعى أن المغيرة بن سعيد قـد أوصى له قبل موته. وادعـى أن للأئمة المعصومين صفة إلهية وأنهم يعلمون الغيب، ونسب لجابر مخاريـق لا يصدقها عقل، فيهـا إيحاء بأنه يعلم الغيب، ويرمي الخاتم بنهر الفـرات، ثم يدعو الخاتم فيجيء، وفيها ما يفهـم أنه يعلم لغة الحيوان وما تقولـه الشاة لولدها. وعنده قوى كرفع سقف البيت، لأن ينظر الرأي ملكوت السماوات[1].

وقـد انقسـم علمـاء الشيعـة في توثيقـه أو جرحـه. فهو عنـد البرقي والطوسي وابن الغضائري من الموثوقين، وكذلك عند البربري والحر العاملي والمامقاني والمجلسي من الثقات.

أمـا من ضعفه ولم يوثقه فهم قلة من القدماء منهم النجاشي، أما من المتأخرين فقد ضعفه ابن داود الحلي[2].

هـذا، وتورد مصـادر الشيعة القديمة آراء غريبة لجابـر متعلقة بالقرآن الكـريم، يستفاد منها أن القرآن قد أنقص منه. روى الكليني بسنده عن جابر أنه قال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: «وإن كنتم في ريب مما نزلنـا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثلـه» كما أورد الكليني روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، وأن القرآن لم يجمعه أحد كما أنزل، إلا الإمام علي[3].

(١) الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ١٩٠ – ١٩٧.
(٢) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ١٢٥.
(٣) الكليني. الأصول. جـ١. ص ٤١٧.

وقد نقل الشيخ المفيد رواية عن جابر أنه كان يقول بإباحة إعارة فرج الأمة. وقد أيد هذه الرواية الشيخ الطوسي في كتاب الاستبصار مسنداً الإباحة من الإمام الصادق. ونسب لجابر رواية عن الصادق أن الرسول ﷺ قال لعلي فيما قال: «لتبلغن الأسباب، والله لتركبن السحاب». ثم ذكرت رواية أخرى: «والله لتؤتين خاتم سليمان وعصا موسى»[1].

أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني النهدي:

سبق الحديث عنه وأقوال العلماء من الفريقين، وإنه كان من المعتقدين بأن الإمامة لعلي رضي الله عنه كانت بالنص من الرسول ﷺ عن طريق الإشارة. فهو ممن يؤمن بالوصية ولكن على نحو آخر. وله آراء متناثرة في كتب الشيعة القديمة، نستعرضها كما يأتي؛ لأنها تحمل الجذور الأولى للتشيع في الكوفة، برغم كون الجارودية وقتها من أصحاب الإمام زيد بن علي؛ لأنهم قالوا بالإمامة لعلي ثم الحسن والحسين، وهي بعد ذلك شورى في أبناء علي، فإن قام أحد منهم رافعاً سيفه استحق الإمامة مثل زيد بن علي المصلوب في كناسة الكوفة[2].

لكننا نجد لأبي الجارود روايات كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة "الاثني عشرية"، نخص منها كتاب التهذيب[3] للطوسي والكافي للكليني[4]، وكتاب الاستبصار للطوسي[5] أيضاً. وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)[6].

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق. ص ١٣٢.
(٢) النوبختي. فرق. سبق ذكره.
(٣) انظر أبواب: الصيد، الصلاة، الظهار، الذبائح.
(٤) الكليني، الكافي، انظر أبواب المعيشة، فضل العلم، الأطعمة، الدواب، الأشربة، الدعاء.
(٥) انظر أبواب: لحم الحمر الأهلية، الأطعمة والأشربة.
(٦) انظر أبواب: الصلاة، الظهار.

وتنسب بعض المصادر تفسيراً لأبي الجارود، والبعض يذكر أنه رواية أبي الجارود عن الإمام الباقر، وقد وردت في تفسير القمي (علي بن إبراهيم) المشهور والمطبوع روايات كثيرة عن أبي الجارود في تفسير بعض الآيات الكريمة، بعضها مسندة إلى الإمام أبي جعفر الصادق، وأخرى مسندة إلى الرسول ﷺ، وثالثة تعد من آرائه الشخصية كما يبدو.

كما أن لروايات أبي الجارود المتعلقة بالتفسير صدى في تفسير فرات المشهور والمعتمد عند الاثني عشرية. وفي بعض هذه الروايات بسند أبي الجارود إلى الإمام زيد بن علي وأخرى لعبدالله بن الحسن بن علي، وفي البعض يسند الرواية إلى الإمام أبي جعفر. ومن أمثلة الروايات المتعلقة بالإمامة، وهي الموضوع المهم عند رجال القرن الأول رواية أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: إنه حين أنزل الله: «اليوم أكملت لكم دينكم....» قال: فكان الدين بولاية علي بن أبي طالب ﷺ[1].

أما أقوال علماء الشيعة بأبي الجارود فمختلفة، فقدماؤهم في الرجال لا يوثقونه، فقد روى الكشي بسنده عن أبي بصير أن الإمام الصادق قال عن أبي الجارود: «أما والله لا يموت إلا تائهاً». وقد ضعفه الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست. وقال عنه الحسن العاملي (ت ١٠١١هـ): مذموم لا شبهة في ذمة. كما ضعفه المامقاني.

وممن وثق أبا الجارود الشيخ المفيد في الرسالة العددية. وعلي بن إبراهيم القمي في تفسيره المعروف وابن الغضائري. والشيخ الخوئي معتمد على جملة أسباب منها الاحتمال الكبير برجوع أبي الجارود عن الزيدية

(١) تفسير فرات، ص ٨٧.

واعتناقه مذهب (الاثني عشرية) بدلالة رواية ابن بابويه القمي مسندة عن أبي الجارود عن جعفر بن محمد عن جابر بن عبدالله الأنصاري: أنه دخل على فاطمة وبين يديها لوح كتب فيه أسماء الأوصياء الاثني عشر[1].

علي بن أبي حمزة سالم البطائني

وهو من موالي الأنصار كوفي، روى عند الشيعة عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، وهو من رؤوس الواقفة، أي الذين توقفوا عند إمامة الثامن ولم يجروا الإمامة للتاسع ومن بعده، وهم كثر في العصر العباسي، ولهذا الأمر سببان: سياسي ومالي؛ فالسياسي غرضه التوقف عن القول بوجود إمام موجود للشيعة في ذلك الوقت، تجنبًا لبطش السلطان العباسي. والثاني: إن كثيرًا من زعماء الواقفة أمثال علي البطائني كان لديهم أموال الإمام، تأتيهم من نواحي وقرى كثيرة: كزكاة أو حق الإمام أو ما سميت فيما بعد بالخمس. فلما توفي الإمام أنكر بعضهم وفاته، وقال: إنه لم يمت بل سيرجع، وآخرون لم يقروا بإمامة ابنه الإمام التاسع، فلم يدفعوا إليه تلك الأموال، بل أخذوها لأنفسهم؛ ولذا نجد صب اللعنات عليهم في كتب رجال الشيعة.

قال عنه الحسن بن علي بن فضال: إن البطائني كذاب متهم ملعون، رويت عنه أحاديث كثيرة في التفسير. لم يوثقه ابن الغضائري. وروى الكشي في رجاله روايات كثيرة في ذمه. وورد ذمه عند كثير من محققي رجال الشيعة، ومع ذلك فإن أحاديثه منبثة في أمهات كتب الشيعة الإمامية، أمثال الكافي والمبسوط والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وغيرها[2].

(١) د. سعدي الهاشمي. الرواة. ص ١٩٣.

(٢) محمد بن علي الأردبلي الحائري: جامع الرواة. المجلد الأول. ص٥٤٧ دار الأضواء. بيروت ١٩٨٣. وقد أوضح محمد ماالله أثر البطائني في التشيع، وأحصى مروياته في أمهات كتب الشيعة. انظر الرافضة وطهارة المولد. ط١، ١٤١١م. ص٢٥ وما بعدها.

وتنقل كتب الشيعة عدم توثيقه من الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، فقد قال له: «يا علي أنت وأصحابك أشباه الحمير»[1].

محمد بن مسلم بن رباح الثقفي

هو مولى لثقيف، ويلقب بالأعور، كوفي، تذكر مصادر الشيعة أنه صحب الإمامين جعفر الصادق ومحمد الباقر مع أنهما في المدينة وهو في الكوفة. قال عنه النجاشي: إنه من أوثق الناس، له كتاب الإربعمائة مسألة. في أبواب الحلال والحرام. وقال عنه الكشي: إن الإمام جعفر قال له: (تواضع)؛ لأنه كان رجلاً شريفًا موسرًا، فلما جاء إلى الكوفة اشترى قوصرة تمر، وأخذ يبيع التمر أمام المسجد بالميزان، حتى اعترض عليه قومه. أما المحدثون المتأخرون فيوثقونه في روايته ويقبلونها، وهو من المكثرين في الرواية.

ومع هذا فقد ورد فيه أقذع الذم. بل أورد الكشي رواية عن جعفر الصادق قوله: «لعن الله محمد بن مسلم، كان يقول: إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون»[2]. وقال الإمام نفسه في حقه: «هلك المتريسون في أديانهم». ومنهم محمد بن مسلم، وعلق الكشي في حق محمد بن مسلم أنه ليس على شيء من دين الإمامية؛ لأنه يقول بالاستطاعة. ولا في شيء من ولايتنا[3]. وروى الكشي أن ابن أبي ليلى رد شهادة محمد بن مسلم[4].

(١) الطوسي: الغيبة. ص٤٤. الكشي: رجال. ص٣٤٥.
النجاشي: رجال. ص١٧٥. قم ١٣٩٧.

(٢) الكشي: رجال. ص٣٩٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق. ص ٣٨٤.

زرارة بن أعين (ت١٥٠)

كان عبدًا روميًا لرجل عربي من بني شيبان تعلم القرآن، فأعتقه سيده. وكان جد زرارة سنسن راهبًا في بلاد الروم، ولزرارة أولاد عدة منهم الحسن والحسين، ومن إخوته رواة الحديث بكير وحمران، ولبيت زرارة أثر كبير في الفكر الشيعي هو وأولاده وإخوانه، كما يقول الطوسي: إن «لهم روايات كثيرة وأصولًا وتصانيف.... ولزرارة تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر والعهود»[1]. وكانوا في الكوفة مركز التشيع.

وقد روى زرارة أحاديث أكثرها عن الإمام الصادق؛ لأنه قد التقى به فتبلغ مروياته من كتب الحديث الأربعة أكثر من ألفين ومئتي حديث، وقد أثنى على زرارة النجاشي، وذكر أنه كان قارئًا للقرآن فقيهًا متكلمًا[2] من كان هذا فيها شأنه في علم الحديث وروايته فما شأنه والوثوق به عند إمام الشيعة الإمامية أبو عبدالله الصادق؟

زرارة والإمام الصادق:

التقى زرارة الإمام الصادق، عندما كان زرارة يأتي من الكوفة حاجًا، فيمر على المدينة المنورة، وقد يمكث فيها ما يمكث الحاج ثم يرجع إلى الكوفة. ونستنتج من الروايات أن الإمام الصادق كان يتتبع أخبار زرارة هذا بسؤال من يأتيه من رجال الكوفة، وهذا التتبع مصدره كما يبدو قلق الإمام الصادق من آراء زرارة وعدم التزامه بتوجيهات الإمام، مما قد يجر على الشيعة مشكلات عدة. ويبدو أن الإمام قد ضاق ذرعًا بزرارة، فوصفه

(١) الطوسي. فهرست. ص ١٤١- ١٤٢.

(٢) النجاشي. رجال. ص ١٢٥.

بالكذب وأنه وأصحابه أشر من اليهود والنصارى، وأمر الإمام الصادق أصحابه من أن يتجنبوا زرارة، فلما علم بذلك زرارة تمادى أكثر ضد الإمام ولم يبال بالكذب عليه والتقول بما لم يقله الإمام عنادًا منه وردًّا على الحرب التي استعرت بينه وبين الإمام. ولابتعاده في الكوفة عن الإمام وجد فيها حرية كبيرة لأن يضع الحديث، ويكذب على إمامه.

روى الكشي أن الإمام الصادق سأل أحد أصحابه، وممن هو من أصحاب زرارة قائلاً: متى عهدك بزرارة؟ قال: ما رأيته منذ أيام. قال الصادق: لا تبالِ. وإن مرض فلا تعده، وإن مات فلا تشهد جنازته. قال: زرارة؟ قال: نعم زرارة. زرارة شر من اليهود والنصارى، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة[1].

ومع أن زرارة ينقل أكاذيبه وآراءه عن طريق الكذب على الإمام (الصادق)، إلا أن بعضهم يعرف كذبه، فيعرض ذلك على الصادق.

روى الكشي عن زياد بن أبي الحلال قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئًا فقبلناه منه وطعناه، وقد أحببت أن أعرضه عليك، فقال: هاته. فقلت: يزعم أنه سألك عن قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فقلت: من ملك زادًا وراحلة. فقال: كل من ملك زادًا وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألني ولا هكذا. قلت: كذب عليّ والله. كذب والله، كذب عليّ والله، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي: من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحج؟ قلت: قد وجب عليه. قال:

---

(١) الكشي، رجال، المطبوع مع اختيار معرفة الرجال للطوسي، ص١٦٠.

فمستطيع هو؟ فقلت: لا حتى يؤذن له. قلت: فأخبر زرارة بذلك؟ قال: نعم. قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبدالله، وسكت عن لعنه، وقال: أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بعد بكلام الرجال[1].

فهذه الرواية توضح بحق أن الهوة بين هؤلاء الرجال وبين إمامهم كبيرة جدًّا وترتيب عليها نتائج مهمة وخطيرة في تكوين عقيدة الإمامية وآرائهم بواسطة هؤلاء الرجال، مع العلم أن هؤلاء الأئمة يذودون عن عقيدة الإسلام الصحيحة في الوقت نفسه، فهذا الإمام الصادق كما روى الكشي بسنده عن مسمع بن كروين، قال: سمعت أبا عبدالله رضي الله عنه يقول: «لعن الله بريدًا، ولعن الله زرارة». والإمام الصادق يتتبع زرارة وأخباره غير مطمئن لسلوكه، لينافح عن هذا الدين.

روى الكشي بسنده عن محمد بن أبي عمر قال: دخلت على أبي عبدالله رضي الله عنه فقال: كيف تركت زرارة؟ فقلت: تركته لا يصلي العصر حتى تغيب الشمس. فقال: فأنت رسولي إليه، فقل له: فليصلِ في مواقيت أصحابي فإني قد حرمت. قال: فأبلغته ذلك، فقال: أنا والله أعلم أنك لم تكذب عليه، ولكن أمرني بشيء، فأكره أن أدعه».

وأثر زرارة يتضح بما له من نفوذ الكلمة بين قومه في الكوفة، حيث يهابه بعضهم إلى درجة أنهم لا يستطيعون الإنكار عليه بدعه وكذبه على الإمام.

روى الكشي عن عبدالرحمن القصير قال: «قال لي أبو عبدالله رضي الله عنه: ائت زرارة وبريدًا، فقل لهما ما هذه البدعة التي ابتدعتموها، أما علمتما أن

---

(١) الكشي. رجال. ص١٤٧.

رسول الله ﷺ قال: كل بدعة ضلالة؟ قلت له: إني أخاف منهما فأرسل معي ليثًا المرادي، فأتينا زرارة، فقلنا له ما قال أبو عبدالله عليه السلام، فقال: والله لقد أعطاني الاستطاعة وما شعر. فأما بريد فقال: والله لا أرجع عنها أبدًا»[1]. وقد خاطب الصادق أبا الصباح قائلًا: «هلك المتريسون في أديانهم منهم زرارة وبريد ومحمد بن مسلم وإسماعيل الجعفي»[2].

وزرارة كان على علم بعقائد أهل الكتاب وخاصة النصارى، وذلك أمر طبيعي حيث كان جده راهبًا نصرانيًا، وقد كانت المذاهب الإسلامية والمتكلمون في ذلك الوقت يتجادلون في مسألة الاستطاعة والجبر، وكان الإمام الصادق على علم بذلك، وعلى علم بآراء زرارة وجماعته في الكوفة بهذه العقائد. روى الكشي بسنده عن حنان بن سدير قال: كنت أنا ومعي رجل أريد أن أسأل أبا عبدالله رضي الله عنه عما قالت اليهود والنصارى والمجوس:

الذين أشركوا هو مما شاء الله أن يقولوا؟ قال فقال لي: إن ذا من مسائل آل أعين ليس من ديني ولا من دين آبائي. قال: قلت ما معي مسألة غير هذه[3].

وهدف زرارة وآل أعين إنما يريدون بذلك أن يظهروا على قومهم بالعلم والنفوذ، وإن خالفوا بذلك إمامهم، وقد وجدوا أنفسهم على علم بعقائد السابقين بين قوم جهلة فيها، فأرادوا السؤدد والظهور. وقد حكم عليهم الإمام الصادق بذلك، فقد روى الكشي بسنده عن إسماعيل بن عبدالخالق عن أبي عبدالله رضي الله عنه قال: ذكر عنده بنو أعين، فقال: «والله ما يريد بنو أعين إلا أن يكونوا على غلب»[4].

(١) الكشي. رجال. ص ١٤٧- ١٤٨.

(٢) القهبائي. مجمع الرجال. ج١ ص٢٥٥.

(٣) الكشي. رجال. ص ١٥٣.

(٤) الكشي، رجال. ص ١٤٢ – ١٤٥.

ويضيق زرارة ذرعًا برأي الإمام الصادق الذي حاول أن ينبه على خطأ مـا يذهب إليـه وعلى عناده وعـدم استقامته على ما يؤمر بـه، روى الكشي بسنده عن أبي مسكان قال: سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر، فإن في قلبـي عليه لفتة. فقلت له: وما حمل زرارة على هذا؟ قال: حمله على هذا أن أبـا عبدالله أخـرج مخازيه. وروى أيضًا أن زرارة سـأل الإمام الصادق عن التشهـد، ولما كانت إجابة الإمام لم تعجب زرارة، قال: فلما خرجت ضرطت في لحيته، وقلت: لا يفلح أبدًا[1].

ويبـدو أن الإمام الصادق قـد يئس من إمكانية استقامـة زرارة أبدًا، وأنه سيموت على ضلال، روى الكشي بسنده عن ليث الراوي قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «لا يموت زرارة إلا تائهًا».

بعد كل هذا الطعن ضد زرارة يسكت عنه أو يوثقه بعض علماء الرجال مـن الإمامية، فيقـول عنه النجاشي: «... زرارة بن أعـين شيخ أصحابنا في زمانـه وفق تقدمهـم، وكان قارئًا فقيهًا متكلمًـا..»[2]. ويذكره الطوسي دون أي طعـن[3]. كما أن البرقي عدّه مـن أصحاب الباقر والصادق والكاظم من الأئمـة، وذلك دون ذكـر ما يشينه. فما هو سبب هذا السكوت والتساهل من الأقدمـين في شأن زرارة وآل أعين جميعًا؟ هل هو لمجرد إخفاء المعايب، لئلا يكثر الطعـن على المذهب وسد الطريق على مخالفي الشيعة برغم ما يمكن أن يحدثـه السكـوت، هذا من انحرافات في المذهب. إنهـا لمسألة خطيرة لم يتصـدَّ لهـا قدماء الشيعة مـع الأسف، بل علـى العكس سايـروا التيار لدى

(١) الكشي، رجال. ص٤٥. وص١٥٩.
(٢) النجاشي. رجال. ص١٢٥.
(٣) الطوسي. الفهرست. ص١٤١.

عامة الشيعة، ولم يغضبوهم في الحق، فكان في ذلك جناية عظيمة على الحديث وروايته وعلى عقائد الشيعة التي تكونت، ووضعت لها أساسًا من هذه المرويات.

وكذلك شأن بعض المتأخرين من علماء الإمامية سكتوا مثل غيرهم، أو اعتذر بعضهم لزرارة. قال السيد محمد حسين المظفر: «... فكان الإمام ينال منه أحيانًا ليرفع بذلك عنه الخطر، ومن ثم جاءت أحاديث تطعن فيه..»[1]. وقال عبدالحسين شرف الدين: «.. كما أنا لم نجد أثرًا ما لشيء مما نسبوه إلى كل من زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم ومؤمن الطاق وأمثالهم، مع أنا قد استفرغنا الوسع والطاقة بالبحث عن ذلك، وما هو إلا البغي والعدوان»[2].

ولربما كان السيد عبدالحسين يرى أن روايات الكشي السالفة لم تثبت أو أن الكشي ليس بثقة، ولكن نرى بعض الرجال قد تابعوا الكشي في تلك الروايات أو بعضها مثل المامقاني في تنقيح المقال[3]. والحر العاملي في وسائل الشيعة [4] والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث[5]. وهذا يدل على قناعتهم بعدم توثيق زرارة، لكن هذا الأمر كما سبق أن قلنا أمر نظري؛ لأن ما هو عملي هو سريان روايات زرارة والأخذ منها. وقد تأسس منذ القديم كثير من معتقدات المذهب عليها. وتضاعف عددها بمرور الوقت. قال المرزا محمد حسين النوري في كتاب الفوائد الملحق بمستدرك الوسائل في معرض

(١) محمد الحسين المظفر. الإمام الصادق. ج٢. ص١٥٢.
(٢) عبدالحسين شرف الدين. المراجعات. ص١١٢.
(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج١ ص٤٤٠- ٤٤٤.
(٤) الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج٣. ص١١٣.
(٥) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج٧. ص٢٢٢.

الحديث عن محمد بن مسلم: إنه روى أو سأل عن ثلاثين ألف مسألة عن الإمام أبي جعفر، وفي رواية أخرى: أنه سمع منه ستة عشر ألف مسألة. وقال النوري: ولا أظن أن أحاديث زرارة تنقص عن أحاديث محمد ابن مسلم، وهو الذي قال فيه أبو عبدالله الصادق: لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب[1].

أبو الخطاب:

هو محمد بن أبي زينب مقلاص البراد الأجدع الأسدي، وكنيته المشهورة أبو الخطاب، ويكنى كذلك أبو إسماعيل. له مقالات منكرة في الدين وعقائد فاسدة في صفات الأئمة، وخاصة الإمام الصادق. وكان ذا نفوذ على أصحاب الصادق، حتى إنه يلقاهم بعد أن يخرجوا من الإمام الصادق، فيبدل ويغير آراءهم بغير ما ذكر الصادق لهؤلاء فيتابعونه على ذلك[2]. وكان أبو الخطاب في الكوفة على معرفة برجال الشيعة فيها، وكانوا أول الأمر يوثقونه، فكان يحمل أسئلة من الكوفة إلى الإمام الصادق في المدينة، فيرجع بها إليه، ولكن الشيعة والإمام اكتشفوا خبث سريرته وكذبه فيما ينقل عن الإمام. نقل المجلسي عن (كا) عن علي بن عقبة قال: كان أبو الخطاب قبل أن يفسد هو يحمل المسائل لأصحابنا ويجيء بجواباتها[3]. ويبدو أن فساد (أبو الخطاب) وقبح آرائه أنه كان يماشي السفلة، ويختلط بهم، ويبدو أنه قد تأثر بهم، وقد نهاه الإمام الصادق عن ذلك، ولكنه أصر على ما هو عليه.

(١) هاشم الحسيني. المبادئ العامة للفقه الجعفري. ص٥٦.
(٢) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص٣٤٤.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد١١. ص٢٠٨.

روى الكشي بسنده عن الفضل قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «اتقِ السفلة واحذر السفلة، فإني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني»[1]. ثم بدأ أبو الخطاب ينسب للإمام أقوالًا لم يقلها، ويكذب عليه في مفتريات شنيعة جاراه فيها أصحابه. فقد ادعى أبو الخطاب: أن الصادق جعله قيمًا على أصحابه في الكوفة ورئيسًا لهم، ثم ادعى أن الصادق عينه وصيًا من بعده، وأنه قد علمه اسم الله. وأخيرًا ادعى أبو الخطاب النبوة، وأنه مرسل من الله إلى الشيعة في الكوفة. ثم ادعى أيضًا أنه من الملائكة المقربين، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه سيكون حجة عليهم يوم القيامة[2].

وقد دمغ الإمام أبو عبدالله الصادق أبا الخطاب بالكذب هو ومجموعة من الكذابين على الأئمة عن ابن سنان، قال: قال أبو عبدالله «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (علي) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه عبدالله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبدالله الحسين بن علي قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبا عبدالله الحارث الشامي وبنان، فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيغًا والسري وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الشعيري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي، فقال: لعنهم الله إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد»[3].

---

(١) الكشي. رجال. ص٢٥٠.
(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص٦٣.
(٣) الكشي. رجال. ص٢٥٧-٢٥٨.

فهذه مجموعة من الرواة الكذابين، ومع ذلك تتردد أسماؤهم في كثير من كتب الحديث القديمة والحديثة، ويلتمس لهم المعذرة كالقول: إن هذا الحديث قد رواه أبو الخطاب في حال استقامته. فأي ميراث هذا الذي تركه أبو الخطاب وأصحابه في الحديث، ومن يملك الشجاعة على تنقية كل ذلك وتبرئة الشيعة والتشيع من هذا الميراث المنكر؟

جابر بن عبدالله الجعفي:

هو من المكثرين في الرواية، ويتردد اسمه في كتب الحديث كثيرًا روى سبعين ألف حديث عن الإمام الباقر، وروى مئة وأربعين ألف حديث عن الآخرين وخاصة عن الإمام الصادق[1]. فهل شافه جابر الإمامين المذكورين؟ أورد الكشي في رجاله عن زرارة قال: «سألت أبا عبدالله ﷺ عن أحاديث جابر، فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل عليَّ قط»[2]. وقد شهد الشيخ المفيد والنجاشي: أن جابرًا كان مختلط العقل. وقد ضعف روايته كثير من المتأخرين وقدحوا به. وضعف روايته آخرون؛ لأن عمر بن شمر دس على جابر أحاديث كثيرة نسبها إليه وهو لم يقلها[3].

أما كتب الحديث عند السنة فقد دمغت جابر هذا بالكذب، فقد ورد عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت أحدًا أكذب من جابر الجعفي[4] فأبو حنيفة يعرفه حق المعرفة؛ لأن كليهما كوفيان».

(١) الحر العاملي. الوسائل. ج٢٠. ص١٥١.
(٢) الكشي. رجال. ص١٩١.
(٣) النجاشي. رجال. ص١٠٠.
(٤) النجاشي. ميزان الاعتدال. ج١ ص٣٧٩.

الفصل الثاني

بعض المدن كمراكز للكذب ونشر التشيع

موقف الأئمة من الرجال الوضاعين

إن أهم مركز من مراكز الكذب في الحديث عند الشيعة ونشر عقائدها عن هذا الطريق كانت الكوفة في العراق. ومنذ اتخذها الإمام علي رضي الله عنه عاصمة له والتشيع كان ينتشر فيها ويعم منها إلى كثير من الأقاليم خاصة الأقاليم الشرقية. كانت الكوفة في القرن الأول الهجري تضم الكثير من المذاهب، والمذاهب الشيعية على الأخص، وبسبب انتكاس حركات العلويين السياسية بعد مقتل الحسين بن علي والمختار بن عبيد الله الثقفي تحولت حركات الشيعة إلى حركة سرية متطرفة في آرائها؛ ولهذا، فالذي يبدو أن الكوفة في ذلك الوقت كانت تضم من الشيعة غلاتها، فقد كانت لهم الكثرة والنفوذ في الأوساط الشيعية.

وتبالغ المصادر الشيعية في عدد الشيعة يومئذ في الكوفة. نقل المجلسي عن كتاب صفات الشيعة للصدوق بإسناده عن المفضل بن قيس عن أبي عبد الله الصادق قال: قال لي: كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت: خمسون ألفًا، فما زال يقول إلى أن قال: «والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلًا يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا الحق[1]». وهذا يدل على كثرة الشيعة في الكوفة حينذاك من فرق شتى، وأن كثرتهم هذه لا فائدة منها، بل هي تمثل متاعب للإمام الصادق الموجود في المدينة المنورة،

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٥. ص٤٣ من القسم الأول.

وذلك بسبب كثرة كذبهم وعدم قولهم الحق مما ينقلون عن الأئمة وعن الصادق نفسه؛ فالمؤمن الحق بينهم أعز من الكبريت الأحمر. نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن قتيبة الأعشى، قال سمعت أبا عبدالله يقول: «المؤمنة أعز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟»[1].

ولهذا، فالنماذج من رجال الشيعة الذين كانوا يفدون على الإمام الصادق من الكوفة، وهم يمثلون صفوة القوم، ويسألونه عن أمور دينهم ودنياهم لم يكن الإمام على ثقة منهم، وذلك بسبب كذبهم عليه وعلى آبائه واستعمال اسمه لأغراضهم ونحلهم التي ابتدعوها. نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن أبي رئاب قال: سمعت أبا عبدالله يقول لأبي بصير: «أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتمهم حديثًا»[2]. فبعد أن آيس منهم الإمام اتخذ منهم موقفًا ألا يحدثهم ولا يبوح لهم بمكنونات نفسه، وأمام هذا الواقع بدأ هؤلاء يتخبطون، ويصنعون مقولات من أنفسهم وينسبونها للإمام. ولعل هذا ينبئ بأن الإمام الصادق له آراء ضد السلطة السياسية في وقته، ولكنه لا يستطيع البوح بها إلى هؤلاء الرجال، خشية نقلها والبوح بها إلى السلطان، فينال الإمام ما نال سلفه من عذاب وهوان. ولعل بعض أصحابه يعرف رأيه السياسي في السلطان والأمراء، فيطلب الإمام منهم ستر ذلك؛ لئلا يلحق الأذى به وبهم، ولكن هؤلاء الرجال استخدموا هذه النصيحة في مسألة السياسة إلى مسائل الدين والعقيدة، فنسبوا له الآراء الغالية في العصمة والرجعة والبداء ومعرفة لغة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الطـير، وما إلى ذلـك مما لا تحتمله العقـول السوية؛ ولهـذا لم يقر الإمام الصـادق أنهم أصحابه بل نفى ذلك، هـو يتحرق أن لأبي حنيفة أصحابًا في الكوفـة في الوقت نفسه، وللحسن البصري أيضًا أصحاب في البصرة، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء.

نقـل المجلسي عن (كا) بسنده عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنـه ليس من احتمال أمرنا التصديق لـه والقبول فقط. من احتمال أمرنا ستره وصيانته و....... بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون. ثم قال: ما الناصب لنا أشد علينا مؤنة من الناطق علينا بما نكره... أما والله لو كنتم تقولـون ما أقول لأقررت أنكم أصحابي و...... هـذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش»[1].

ولكن مما يؤسف له أن علماء الشيعة ذهبوا في فهم هذا التوجه مذهب أولئـك الغلاة في تحريف وفهـم كلام الإمام هذا، فبـدل أن تخصص الأمر بـالآراء السياسيـة التي قصدها الإمام تعدوها إلـى مسائل العقيدة، أي فلا تحدثوهـم في مسائلنـا وآرائنـا السريـة في العصمة وعلم الأئمـة وأحوالهم وخلقهـم وطينتهم إلى آخره من الخوارق، التي كانت تروج لدى غلاة الشيعة في الكوفة وغيرها. وقد عقد المجلسي في البحار بابًا في فضل كتمان السر وذم إذاعتـه، ونقل في ذلك ما يقارب ثلاث مئة حديـث منسوبة إلى الأئمة، تدعو الشيعة بستر الأمر عن مخالفيهم، وألا يرووا معجزاتهم ومخاريقهم[2].

ومـع محاولـة الإمام الصـادق اعتـزال السياسة وعـدم الخروج على السلطـان، ولكن الشيعة في وقته درجت على تسميتـه بالإمام ومحاولة زجه

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٥. ص٤٢. والمجلد ١٦. ص١٢٨ وانظر كذلك المجلد ١١. ص٢١٧.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد١٦. ص١٢٨.

ضـد الأمويـين، أو أن يشترك في الحركات التي ثـارت ضدهم كحركات أبي مسلـم الخراساني. ذكر الواقدي أنه لما خرج محمد بن عبدالله بن الحسين بالمدينة على الأمويين هرب جعفر بن محمد إلى ماله بالفرع، فلم يزل هناك مقيـم مُتَّقٍ عمـا كانوا فيه حتى قتـل محمد، فلما قتل اطمـأن الناس وأمنوا فرجـع جعفر إلى المدينـة[1]. ويبدو أن أبـا مسلم قد كاتب الإمـام الصادق في الاشـتراك في الثـورة، التي قام بها أبـو مسلم إلا أنـه رفض ذلك بحجة أن ذلـك أمر لم يحن وقتـه. ذكر الكليني في كتابه الروضـة المطبوع في آخر الجـزء الثاني عشر مـن أصول الكافي بسنده عن الفضـل الكاتب قال: كنت عنـد أبي عبـدالله فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب اخرج عنـا. فجعلنا يسار بعضنا بعضًا، فقـال: أي شيء تسارون؟ يا فضل، إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد. ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقضِ أجله»[2].

ومـع معرفـة أصحاب الصادق بتوجهـه السياسي هـذا إلا أنهم طبعًا يتحينـون الفرصة للخلاص مما هم فيه، ويصرون على تسميته بإمامهم في حلقـات المسجد، وهو ينفي أن يكون إمامًا لأمثـال هؤلاء. روى الكليني أيضًا بسنـده عن شريك المفضل قال: سمعت أبا عبـدالله يقول: «حلق في المسجد يشهرونـا ويشهرون أنفسهم، أولئك ليسوا منا ولا نحن منهم. انطلق فأواري واستـر، فيهتكون ستري هتك الله ستورهم، يقولـون: إمام، أمـا والله ما أنـا بإمـام إلا لمـن أطـاعني، فأمـا من عصـاني فلست لـه بإمـام. لم يتعلقـون باسمي؟ ألا يكفوا اسمي من أفواههم، فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار»[3].

(١) ابن عبدالبر. تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد. ص٢٤. مكتبة القدسي. القاهرة. ١٣٥٠هـ.
(٢) الكليني. الروضة. في آخر. ج١٢ من الكافي. الأصول. ص٣٦٩-١٧٠.
(٣) الكليني. الروضة. في آخر. ج١٢ من الكافي أصول. ص٥١٤.

فهؤلاء يشير إليهـم بأنهم قد تعلقوا باسمه، أي إنهم سموا بالجعفرية نسبة لاسمـه جعفر بن محمد. روى الكشي بسنده عن أبـي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله: إنا نعير بالكوفة، فيقال لنا: جعفرية. فغضب أبو عبدالله ثـم قال: «إن أصحاب جعفر منكم لقليل إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمـل لخالقه»[1]. وهؤلاء لم يكونوا كذلـك في رأي الإمام. نقل المجلسي عن (كا) بسنـده قـول الصادق لسدير: «... لـو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء (وكانـت سبعـة عشـر جديًا) ما وسعنـي القعـود»[2]. وكان سديـر قد سأل الصادق أن يخرج على السلطان؛ لأن له شيعة يقاربون الآلاف المؤلفة في رأي سديـر. والإمام الصادق كان على علم بمـا ينسب له من الأحاديث المكذوبة من أصحاب هؤلاء النحل. روى الكشي بسنده أن قومًا جاؤوا إلى أبي عبدالله يطلبون الحديث فسألهم عما يحفظون من الحديث فحدثوه أحاديث منسوبة إلى محمد بن علي، وفي بعضها منسوب لجعفر نفسه فأنكرها عليهم، فقالوا له: إنها شائعة في بلدهم يتداولها الناس منها أحاديث في حلية النبيذ والمسح علـى الخفـين... ومنها أبـو بكر أمر خالد بـن الوليد بضـرب عنق علي بعد الصلاة، ثم أمره بعدم ذلك، ومنها أن عليًا كان نادمًا على قتال أهل الجمل وصفـين. ثم سألهم الصادق: «من أين أنتـم؟ قالوا: من البصرة نحن. قال لهم: فهذا الذي تحدثون عنه جعفر بن محمد تعرفونه؟ قالوا: لا، قال: فإذا قال لكم هذا كـذب أكنتم تصدقونه؟ قالوا:لا»[3]. فهذا عناد شديد وإصرار علـى نقـل الكذب، حتـى إن أنكره من نسـب إليه. وإزاء هـذا الوضع السيئ الذي يحيط بالإمام من مخالفيه من أصحابه نراه يشكو العزلة والوحدة في المدينة، ويتمنى أن يسكن هو وأصحابه الطائف بعيدًا عما يقلق خاطره. روى

(١) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص٢٥٥.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص٢١٧.

(٣) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص٢٩٣-٢٩٧.

الكليني بسنده عن عنبسة بن مصعب، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «أشكو إلى الله ﷻ وحدتي وتقلقي بين أهل المدينة حتى تقدموا وأراكم، وآنس بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتخذ قصرًا في الطائف فسكنته وأسكنتكم معي، وأضمن له ألا يجيء من ناحيتنا مكروه أبدًا»[1].

ولا شك في أن الإمام قد وصل إلى وضع نفسي يشف عن روح قلقة منعزلة نتيجة هذا الحصار المفروض عليه من السلطان. إن رسالة الصادق إلى سعد الخير توضح ذلك حيث ذكر فيها توجيهًا لسعد هو حقيقة ما بنفس الإمام الصادق من شعور لما حوله قال له: «... لا تقبل ولا توجد إلا في عباد غرباء أخر من الناس قد اتخذوهم سخريًا لما يرمونهم به المنكرات. وقال يقال: لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون أبغض إلى الناس من جيفة الحمار.... // واعلم أنه لا تنال محبة الله إلا ببغض كثير من الناس[2]». فإذن هذه حاله وحال أصحابه بالنسبة للمجتمع آنذاك، فقد كان الناس يتجنبون مخالطتهم خشية أن يوصموا بهذه الصفات المقيتة التي لحقت بهؤلاء الرجال المختلفين فيما بينهم بكذب بعضهم على بعض. ويكذبون على إمامهم لقاء عرض من الدنيا. ولا يستبعد أن السلطة السياسية آنذاك قد دست فيهم عيونها؛ لمراقبتهم وجرهم إلى الانحراف والكذب.

روى الكشي بسنده عن الفيض بن المختار أنه قال لأبي عبد الله: «ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ (يقصد الاختلاف في الحديث) فقال أبو عبد الله: أجل، هو كما ذكرت يا فيض، إنهم أولعوا بالكذب علينا... وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله،

---

(١) الكليني. الروضة في آخر. ج١٢ من الكافي. أصول. ص٢٧٣.

(٢) الكليني. الروضة ج١١ من الكافي. أصول. ص٣٦١- ٣٦٢.

وذلـك أنهم لا يطلبون بحديثنا ويحبنا ما عنـد الله، وانما يطلبون الدنيا»[1]. وهذه ربما إشارة إلى أنهم يقبضون الدراهم من السلطان على مسلكهم هذا.

ويبدو أن هـؤلاء الرجال كانوا يتكسبون في رواية الحديث على الناس، فيأخـذون منهـم بعض الدراهم لقـاء رواية حديث الإمـام جعفر، فيكذبون عليه، أو يتزيدون في كلامه، أو يتأولون شيئًا لم يقصده الإمام.

ذكـر الكشـي أيضـاً عن يحيى بـن عبدالحميـد الحماني قـال: «قلت لشريـك القاضي في الكوفة: إن أقوامًا يزعمـون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديـث، فقال أخبرك القضية: كان جعفـر بن محمد رجلًا صالحًا مسلمًا ورعًـا، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون أحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلـون الناس بذلك ويأخذون منهـم الدراهم، فكانوا يأتون في ذلك بكل منكـر، فسمعـت العوام بذلك منهـم، فمنهم من هلك، ومنهـم من انكسر، وهـؤلاء مثـل المفضل بـن عمرو وبيـان وعمـرو النبطي وغيرهم ذكـروا أن جعفـراً حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصـوم والصلاة و.... وإن عليًّا في السحـاب يطير مع الريـح.... والله ما قال جعفر شيئًا من ذلك قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضعفوه...»[2].

والزيادة التي يضعها هؤلاء القوم على كلام الإمام جعفر لم تكن زيادة قليلة من أجل التوضيح، بل كانت زيادة منكرة لم يقصدها الإمام البتة. روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «رحم الله عبدًا حببنـا إلـى الناس، ولم يبغضنـا إليهم، أما والله لو يـروون محاسن كلامنا

(١) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص١٣٦.

(٢) الكشي. رجال. مع الطوسي اختيار معرفة الرجال. ص٣٢٤.

لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلقهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرًا»[1].

فانظر إلى شهادة الإمام في مبالغات هؤلاء القوم عند رواية حديثه ومقدار الزيادة عليه تَقَوُّلاً لشيء لم يرده الإمام. ولكن شأن بعض المتأخرين من الشيعة الإمامية إيجاد العذر لهؤلاء الرجال، فيقوم هو الآخر بتأويل مقصد الإمام الواضح سلفًا إلى اعتبار أن كلام الإمام: «فيحط إليها عشراً» هو من باب المبالغة. قال المازندراني شارح كتاب الكليني السالف: «هذا من باب المبالغة المشهورة بين العرب والعجم، وذلك التغيير قد يقع عمدًا لغرض من الأغراض، وقد يقع سهوًا، وقد يقع باعتبار فهم المخاطب من كلام له وجوه... وينبغي أن يعلم أن كلامهم قسمان: قسم في باب الأسرار، فيجوز نقله لغير أهله أصلاً، وقسم يجوز مطلقًا»[2].

وهكذا بدل أن يكون العالم في صف الإمام وقف في صف هؤلاء الكذبة، وحاول إيجاد الأعذار والأسباب، وما ذلك إلا بسبب تقادم الزمن، وأن هؤلاء العلماء قد تشربت عقولهم عقائد هؤلاء الرواة الكذبة في أذهانهم، فلا يستطيعون لها نفيًا.

وهذه دلالة واضحة أن هؤلاء القوم يتعمدون على الإمام الكذب وفساد التأويل؛ لأنهم قد قبضوا أو سيقبضون ثمن ذلك عند من خطط لهذه النتيجة السيئة، التي أورثت بعد تلك الأجيال عقائد ومقولات تقبلها الشيعة بالقبول ونقلوها على أنها آراء الأئمة وما هي كذلك. وقد ابتلي الإمام بهؤلاء القوم

(١) الكليني، الروضة، مع أصول الكافي، ج١٢، ص٢٩٢.
(٢) الكليني، الروضة، مع أصول الكافي، ج١٢، حاشية٢٩٢.

من الكاذبين، ونسبوا إليه ظلمًا وعدوانًا، برغم أنه ينافح عن نفسه ضدهم. نقل المجلسي عن (كا) بسنده أن أبا الصباح الكناني قال لأبي عبدالله: ما تلقى من الناس فيك؟ فقال: وما تلقى من الناس فيّ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل كلام، فيقول: جعفري خبيث. فقال: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم إنما أصحابي من اشتد ورعه[1]. وهؤلاء الرجال أصناف، منهم من يبغي لنفسه الرفعة وعلو الشأن حينما ينادي بتلك الآراء الغريبة والمفترية على الإمام كذبًا، ومنهم الغافل الذي لا يدرك ما حوله، فينقل هذه المفتريات وهو غير عالم بها. وقد وصم الإمام جعفر هؤلاء الكذابين بأشنع الصفات وقرنهم وأعمالهم بالشيطان، بل إنهم قد فاقوا الشياطين بأعمالهم وكذبهم. روى الكليني بسنده عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبدالله: «إن من ينتحل هذا الأمر ليكذب، حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه»[2].

ومن هؤلاء الرواة بعض الغفلة الذين يصدقون بكل شيء دونما تمحيص عقلي، فيروون كل ما يسمعون بل إن بعضهم قد شهد على نفسه بذلك عند الإمام جعفر. فقد روى الكشي بسنده عن عبدالله بن يعفور قال: قلت لأبي عبدالله: والله لو فلقت رمانة نصفين، فقلت: هذا حرام، وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت: حلال حلال، وأن الذي قلت: حرام حرام. فقال: رحمك الله رحمك الله[3]. وماذا يمكن أن يرد الإمام على مثل هذه العقلية، إلا أن يرحمها الله برحمته؛ كي لا تقع في مصارع السوء.

(١) المجلسي. البحار. مجلد ١٥. القسم الثاني. ص٩٧.

(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص٣٣٢.

(٣) الكشي. رجال مع معرفة الرجال للطوسي. ص٢٤٩.

ويبلـغ بالإمام أن يصب لعنته على طـلاب الرئاسة والزعامة بين قومهم إن لم يقوّمهـم ويصلحهم ذوو العقل. روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: كتب أبو عبـد الله إلى الشيعة: «ليعطفن ذوو السن منكم والنهي عن ذوي الجهـل وطلاب الرئاسـة أو لتصيبنكم لعنتي أجمعـين»[1]. والنتيجة لكل ذلك أن الشيعـة أصبحت فئة متميزة ومعزولة عن بقيـة المسلمين بسبب هذه الآراء والمقـولات الفاسدة التـي يروجها هـؤلاء، ومنها أن حب آل البيـت وحده ينفع المرء، وإن سـاءت سريرته وأفعاله، والإمام ينفي ذلك، ولكن ليس من مجيب. روى الكلينـي بسنده عن عنبسـة عن أبي عبد الله قال سمعتـه يقول: «خالطوا الناس فإنه إن لم ينفعكم حب علي وفاطمة في السر لم ينفعكم في العلانية»[2].

ومـاذا عسـى أن يفعل الإمام جعفر ليداوي هـذه الأمراض التي فرقت بـين أصحابه وشيعته، فهو يدعو مرة إلى عدم الاختلاف مع الآخرين، حيث هالـه كـثرة مقولات أصحابـه. روى الكليني بسنده عن جابـر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر فقلت: يا ابن رسول الله، قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبهـا، فقال: يا جابـر ألا أوقفك على معنى اختلافهـم من أين..... ومن أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى. قال: «فلا تختلف إذا اختلفوا»[3].

وأحد أصحاب جعفر يطلب منه أن ينظر في أمر الشيعة الذين اختلفوا فيمـا بينهم وتباغضوا، ويقـترح عليه أن يكتب بذلك كتابًـا يجمعهم، ولكن الإمـام يبدو مترددًا في ذلـك؛ خشية أن يقع مثل هذا الكتـاب بيد السلطان فيأخـذه به، وقد اختـط لنفسه اعتزال مـا من شأنه الخروج عـن السلطة.

---

(١) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٧٠.

(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٧٢.

(٣) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج١١. ص٢٠٢.

روى الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله: «إن شيعتك قد تباغضت، وشنأ بعضهم بعضًا، فلو نظرت جعلت فداك في أمرهم؟ فقال: لقد هممت أن أكتب كتابًا لا يختلف عليّ منهم اثنان، قال: قلت: ما كنا قط أحوج إلى ذلك منا اليوم، ثم قال: أنّى هذا ومروان وابن ذر، قال: فظننت أنه قد منعني ذلك. قال: فقمت من عنده فدخلت على إسماعيل (ابن جعفر) فقلت: يا أبا محمد، إني ذكرت لأبيك اختلاف شيعته وتباغضهم، فقال لك: لقد هممت أن أكتب كتابًا لا يختلف عليه منه اثنان، قال: فقال: ما قال مروان وابن ذر؟ قلت: بلى. قال: يا عبد الأعلى إن لكم علينا لحقًا كحقنا عليكم، والله ما أنتم إلينا بحقوقنا أسرع منا إليكم. ثم قال: سأنظر، ثم قال: يا عبد الأعلى، ما على قوم إذا كان أمرهم أمرًا واحدًا متوجهين إلى رجل واحد يأخذون عنه إلا يختلفون عليه ويسندون أمرهم إليه»[1]. والمشكلة هذه لا تنتهي بكتاب يكتبه الإمام لهم؛ لأن الذي يؤول كلامه على غير محمله، بل يعاند ويصرح بعدم تصديق كلام إمامه سيكون هذا شأنه مع وجود كتاب، فقد كانت تعاليم الإمام الصادق في عدم الفرقة والتمسك بالصلاح والورع عن المحرمات مكتوبة بين يدي أصحابه. ولكنه داء قد أعيا الإمام صلاحه. روى الكشي بسنده عن داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إني لأحدث الرجل بالحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله، وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي، فيتأول حديثي على غير تأويله: أني أمرت قومًا أن يتكلموا ونهيت قومًا، فكل تأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله....»[2]. إن الإمام قد شاهد اختلاف شيعته في مجلسه، وليس فقط بعيدًا عنه، بل حتى أولئك الحاضرون في مجلسه لم ينتهوا عن الخصومة في حضرته، وهو ينهاهم عن ذلك. روى الكشي بسنده

(١) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج١٢. ص٢٨٣-٢٨٤.

(٢) الكشي. رجال. مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص١٧٠.

عن أبي عبدالله أنه سأل عبدالله بن الوليد عن المفضل، ثم أخبره أن عامر بن جذاعة وحجر بن زائدة عابا المفضل عند أبي عبدالله، فأمرهما بالكف عنه، فلم يفعلا ثم دعا عليهما، فلا غفر الله لهما[1].

وبعض هؤلاء الرواة يسمع كلام الإمام الصادق، فإذا خرج منه والتقى أبا الخطاب تغير رأيه. روى الكشي أن أبا عبدالله يشكو أن ابن الأشيم يسمع منه هو وصاحبه حفص بن ميمون، ويسألونه، ولكن إذا خرجوا منه ذهبوا إلى أبي الخطاب، فيخبرهم بخلاف رأي أبي عبدالله، فيأخذون قوله ويذرون قول أبي عبدالله[2].

وفي سورة غضب الإمام من هؤلاء القوم الذين لم يستطع الأخذ على يدهم، ولم يستطع عقلاؤهم أن يصدوهم ويرجعوهم إلى جادة الصواب، بل إنهم يجالسونهم، يهدد الإمام حتى البريء من الشيعة فيأخذه بذنب هؤلاء؛ وذلك لسكوته عن إنكار تلك المقالات الفاسدة ومجالسة هؤلاء السفهاء. روى الكليني بسنده عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبو عبدالله: «لآخذن البريء منكم بذنب السقيم، ولم لا أفعل ويبلغكم عن الرجل ما يشينكم ويشينني، فتجالسونهم وتحدثونهم، فيمر بكم المار، فيقول: هؤلاء شر من هذا، فلو أنكم إذا أبلغكم عنه ما تكرهون زجرتموهم ونهيتموهم كان أبر بي وبكم»[3].

ولماذا لا يقبل عقلاء أصحاب جعفر هذا التوجيه من إمامهم الذي هو في منفعتهم ومنفعته، والجواب يبدو أن هؤلاء السفهاء وأصحاب المقالات الفاسدة من الكثرة لدرجة أن عقلاء القوم لا يستطيعون ردهم. روى الكليني

(١) المصدر السابق. ص٤٠٧.

(٢) المصدر السابق. ص٣٤٤.

(٣) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٦٩.

بسنده عن الحارث بن المغيرة قال: لقيني أبو عبد الله في طريق المدينة، فقال: «من ذا؟ أحارث؟ قلت: نعم. قال: أما لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم. ثم مضى فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت، فقلت: لقيتني فقلت: لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمر عظيم. فقال: نعم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه، فتؤنبوه وتعزلوه، وتقولوا له قولًا بليغًا؟ فقلت: جعلت فداك إذًا لا يطيعوننا ولا يقبلون منا. فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم»[1].

وقد روى الكليني بسنده رسالة طويلة وجهها الإمام الصادق لأصحابه يدعوهم فيها إلى الدعة ومجاملة أهل الباطل والصمت والصبر والتسبيح وألا يحرجوا الإمام بأقوالهم وتصرفاتهم. وقد ورد في ألفاظ هذه الرسالة الطويلة ما يأتي:

- «عليكم بالدعة والوقار.. وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم»[2].
- «عليكم بالتقية فيما بينكم وبينهم»[3].
- «عليكم بالصمت و... التسبيح والحمد و... فاشغلوا ألسنتكم بذلك»[4].
- «تحملوا الضيم من هؤلاء الظلمة... تلتمسون بذلك وجه الله»[5].
- «القرآن فيه كل شيء... وقد ضل أصحاب المقايسة....» [6].

---

(١) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٧٧.
(٢) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج١١. ص١٤١.
(٣) المصدر السابق. ص١٤٢.
(٤) المصدر السابق. ص١٤٧.
(٥) المصدر السابق. ص١٥١.
(٦) المصدر السابق. ص١٥٦-١٥٧.

- «لا تسبوا أعداء الله، حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوًا بغير علم..»[1].
- «ألا يكون منكم محرج للإمام، فإن محرج الإمام هو الذي يسعى بأهل الصلاح... فإذا فعل ذلك أحرج الإمام أن يلعن أهل الصلاح من أتباعه»[2].
- «اصبروا على البلاء في طاعة الله وولايته وولاية من أمر بولايته... فإن الله أمر بولاية الأئمة الذين سماهم في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾»[3].

وكتب الحديث عند مذاهب السنة توثق الإمام جعفر الصادق، ولكن لا توثق مرويات رجال الشيعة عنه. قال جلال الدين عبدالرحمن السيوطي: جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين روى عن أبيه وعطاء وعروة وابن المذكور، وروى عنه أبو حنيفة ومالك ويحيى الأنصاري وشعبة والسفيانان وخلق كثير، قال عنه ابن معين: «ثقة مأمون». وقال عنه أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وقال ابن حبان: من سادات أهل البيت وكبار أتباع التابعين وعلماء أهل المدينة. وأضاف ابن عبدالبر في كتابه تجريد التمهيد: إن جعفرًا كان فاضلًا، وتكذب الشيعة عليه كثيرًا. ولمالك في الموطأ عنه تسعة أحاديث، منها خمسة متصلة مسندة أصلها حديث واحد، وهو حديث جابر الطويل في الحج، والأربعة منقطعة[4].

لقد كان كثير من علماء المسلمين ومحدثيهم مطاردًا من السلطة السياسية، ولقي العنت والمصاعب، ودفع بعضهم حياته، فقتلوا في زمن

---

(١) المصدر السابق. ص١٦١.

(٢) المصدر السابق. ص١٦٧.

(٣) المصدر السابق. ص١٨٠-١٨١.

(٤) السيوطي. جلال الدين عبدالرحمن (إسعاف المبطأ برجال الموطأ). جـ٢. ص مكتبة ومطبعة البابي بمصر. ١٩٥٠م. وانظر أيضاً ابن عبدالبر. تجريد التمهيد. ص٢٤. مكتبة المقدسي. القاهرة ١٣٥٠هـ.

جعفـر، ولكن نقلـت مروياتهم ووثقت من أصحابهم، ومـن رووا عنهم كانوا ثقات، وهكذا فلم يكن العيب في جعفر نفسه، كي تترك كتب الحديث السنية مروياتـه، ولكن المحدثين هالهـم ما روي عنه من تلكم النمـاذج السيئة من الـرواة، فآثـروا سلامة الحديـث وتدوينـه صحيحًا للأجيـال والابتعاد عن مرويـات هؤلاء، بل إن أغلبهم وَصَمَتْهـم كتب الرجال السنية بالكذب فضلًا عمـا نقلنا من كتـب الشيعة الإماميـة أنفسهم. ومن مراكـز وضع الحديث مدينة قم في إيران وصلتها بالكوفة كبيرة جدًّا، فقد كانت رباطًا للمجاهدين أول الأمر وأكثر من تقاطر إليها هم من أهل الكوفة من العرب، وقد أضحت قـم في أوائـل القرن الثالث موئـلًا للغلاة من الشيعة، فكـثر فيها الوضع في الحديـث والكذب على الأئمة لدرجة دفعت الغالبيـة العرب من أهل قم إلى طرد الغلاة وتشتيتهم كما ذكرنا سابقًا.

وقـد حـاول الشيعـة إيجاد مركـز ديني لمدينـة قم، فوضـع الوضاعون أحاديـث في فضـل قم وسكناها، منهـا أن أهل قم لا يحشـرون للحساب يوم القيامـة كسائر المسلمين، إنما يحشرون في قبورهـم، ثم يؤخذون إلى الجنة دون حشر[1].

إن الـرواة يعيشون في ظل حركة سريـة يظلهم الخوف الدائم من انكشاف أمرهـم وشيـوع معتقداتهم لشدة الإنكار عليهم من المجتمـع والسلطان على حد سـواء، ولهـذا ساد بينهم التقلب في العقيدة، فكثير من الرواة يذكر أنه تنقل من معتقـد إلى معتقد آخر سواء من داخل التشيع أو خارجه. وظهر بينهم انتهازيون متقلبـون يسـيرون مـع المنتصر في ظاهر الحـال، ويبطن خلاف ذلـك... وكتب رجـال الشيعـة مليئة بهذه الحقيقـة؛ فكثيرًا ما تتحدث عن راوٍ ثـم تضعفه؛ لأنه

---

(١) المجلسي. البحار. ٦٠ – ٢١٨.

انتقـل إلى صفوف العامة (السنـة)، أو أنه أضحى فطحياً أو واقفياً. وهذا عامل أساسي من عوامل ضعف الحديث.

إن هـؤلاء الرواة قد شاركـوا بطريق أو بآخر في الحـركات المناهضة للدولة الأمويـة أو العباسيـة فيمـا بعد، أو شـارك آباؤهم وأجدادهـم في هذه الحركات، التـي كانت أكثرها حركات فاشلة، فتوافر الحياد السياسي في القول والسلوك أمر نـادر الحصول منهم. إن بعض هؤلاء الرواة قد ادعى النبوة أو ادعى بالوكالة عن الإمام، جمع بعضهم الأموال مدعيًا أنها للإمام ثم يغلها لنفسه ويرفض تسليمها. والبعض ذكـر أنـه شارك في ثـورات الكوفـة ونادى بحليـة المحـارم وإباحة نكاح الغلمـان، والبعض نـادى بأفكاره الفارسية كالتناسخ وغيرهـا مثل ادعاء الربوبية في حق الإمام الصادق. ومن أجل معرفة المدى الذي أحدثه هؤلاء الرواة في إيجاد قواعـد وأصـول الشيعة لا بد من الربط بين ما ذكره علماء الرجال عنهم من طعن وأسبابه وبين الحركات والثورات السياسية التي شارك فيها هؤلاء الرواة في الكوفة والمدائن ومراكز التشيع، كما استعرضناها في مكانها.

مـدى حصول الـراوي على حصة من أمـوال الخمس عـن طريق الجهات النافـذة له أهمية في اتجاه الرجـل وأقواله عن نفسه وعن الآخرين، وقد ذكر أن بعض الرواة احتجزوا لديهم أموال الخمس التي جمعوها ولم يؤدوها للإمام، أو أن البعض أنكروا ما عندهم، أو أن البعض كان وكيلًا عن الإمام فأساء التصرف في هـذه الأموال. ولا شك في أن هذا العامل كان له بالغ الأثر في استغلال ضعاف العقـول والسذج من الشيعة؛ ودافـع أساسي لوضع الأحاديـث والروايات المؤيدة لمصالحهـم المالية، كما شاهدنا في أفـكار البعض لإمامة القادم بعد موت الإمام السابق.

إن إيمـان الرواة بـأن إمامهم معصوم عن الخطأ والمعصية، وأن علمه علم لـدني إلهي يتلقاه من النبـي أو بالإلهام أو يسري بالأصـلاب، وما ينقل لهم من معجـزات وخوارق لا يحتمل العقل البشـري تصديقها، كل ذلك سبب انقسام في عقليـة الرواة، فمنهم بعـد إدراك الحقيقة اندفع بالاستهتـار بالمذهب وعقائده وإمامه، فأظهر المروق واندفع بالكذب على المذهب وعقائده وإمامه، وأخذ ينتحل مـن عقائد أهل الكتاب وأفكارهم وعقائد قومه وأجـداده خاصة إن كان فارسي الأصل؛ لأنها في متناول يده، والقوم حديثو عهد بهذه الأفكار.

ولأن غالبيـة رواة الشيعة من الموالي وإن تسمـوا بأسماء عربية، حيث درج المسلمون قديمًا حينما يشترون رقيقًا أو يكسبونه في الحرب، فيدخل في الإسلام يتسمـى باسم عربي مسلم، ويتخلى غالبًا عن اسمه الأعجمي أو بعضه، وينتسب لنفس قبيلة مولاه، وبجانب ذلك قد أصر أكثر الذين لم يدخلوا الإسلام – وكانوا ممـن يدفع الجزيـة – على الاحتفـاظ بأسمائهم الأعجمية حينًـا، لكن نلاحظ أولاده ونسله يدخلون الإسلام ويتسمون بأسماء عربية.

ولكون أكثر الرواة الشيعة من الموالي وعلى الأخص من الفرس، وإن العرب بينهم قلة نجد لذلك آثارًا كثيرة على أحاديث الشيعة منها:

أ- يرشـح مـن أفكارهم وعقائدهـم كراهية العرب عمومًـا، وأصحاب رسـول الله ﷺ خاصـة، وقـد سبـق أن عالجنا هاتـين الظاهرتين، وأوردنـا تفاصيل وأحداثًـا كثيرة تنم عن ذلك، وقـد شجعهم على ذلـك كون أغلب أئمة الشيعة من أمهـات فارسيات. وقد أظهر هذا العامـل مجموعـة أحاديـث نسبت للأئمـة فيها تحذيـر من العرب والدعوة لكراهيتهم، كما أوردنا على ذلك من أمثلة صريحة.

ب- دسوا أحاديث كثيرة في مدح مدنهم (الكوفة. قم. طينة كربلاء...) وأصولهم الفارسية المنحدرين منها (سلالة الأبناء والأكاسرة). وهذا رد فعل تجاه أسيادهم العرب أصحاب السيادة والمال. وقد أوردنا على ذلك الأمثلة الكثيرة من الأحاديث المكذوبة.

ج - قام هؤلاء الرواة الموالي بنقل عقائد وأفكار دياناتهم القديمة والخرافات، التي كان يؤمن بها أجدادهم في مواطنهم، وألبسوا هذه الأفكار والخرافات صفة دينية شيعية، وضعوها بلسان الإمام برغم نفي أئمتهم لهذه الأفكار كما سبق أن استعرضنا ذلك. كما قام هؤلاء الرواة أو بعضهم من استعارة بعض الأفكار والعقائد من ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية إضافة لأفكارهم الفارسية، سواء الزرادشتية أو المزدكية، وقد عالجنا هذه الأمور في موضعها لأهمية ذلك بالوقائع والأمثلة الدالة.

د- لكون غالبية هؤلاء الرواة من الكوفة نلاحظ أن بينهم وبين الكوفيين الآخرين من مذاهب أخرى تعصبًا ورد فعل ضد مخالفيهم من أصحاب أبي حنيفة مثلًا وخلافهم معهم حول شرب النبيذ أو السجود على ما لم تنبته الأرض أو المسح أو غسل الرجلين أو الجمع بين الصلاتين، وهم يقومون بذلك غالبًا لمجرد التفرد وإظهار المخالفة، وقد أوردنا فكرتهم التي وضعوها على لسان أحد الأئمة أنه إذا أشكل عليهم شيء في الدين، فخالفوا العامة (السنة)، فإن (الحق ما خالفهم). كل ذلك على الرغم من أن مصادر الشيعة خاصة القديمة مثلًا تورد غسل الرجلين في الوضوء من قبل الإمام علي.

هـ- مخالفة بعض هؤلاء الرواة، حتى ما أجمع المسلمون عليه، وذلك لمجرد المصلحة الخاصة، ففي المواريث مثلًا أورد الكليني[1] عن عبد الله بن محرز قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن رجل أوصى إليّ وهلك وترك ابنة، فقال: «أعط الابنة النصف، واترك للموالي النصف». وفي هذا دوافع مادية كما هو واضح برغم مخالفة ذلك لما استقر عليه المسلمون أو حتى مذهب الشيعة الإمامية نفسه.

إن غالبية رواة كتب الحديث الأربعة المعروفة عند الشيعة الإمامية مطعون فيهم عند علماء رجال الشيعة، فمن بين مئة وثلاثين راويًا أوردناهم بوصفهم مثالًا لعينة نجد قرابة نصفهم مطعونًا فيهم من رجال الحديث عند الإمامية أنفسهم، وقد تراوح الطعن بالكذب ووضع الحديث أو كونهم من الغلاة فاسدي المذهب. فإذا أخذنا مثلًا الراوي زرارة بن أعين المطعون فيه عند الجميع الذي وصمه الإمام الصادق بالكذب ثم باللعن نجد له ٢٠٩٤ حديثًا مرويًا في كتب الحديث الأربعة المعروفة، وهذا بعض السر في الداء الذي أصاب رواية الحديث عند الشيعة الإمامية. فكيف بحال الآخرين. ومثله جابر بن يزيد الجعفي الذي ذكر أن له سبعين ألف حديث، وفي رواية أن له خمسين ألف حديث لم يحدث بها مع ورود رواية عن الإمام الصادق في حق جابر أنه لم يَرَه عند والده الإمام الباقر إلا مرة واحدة، ولم يدخل على الإمام الصادق قط. فيبدو أن هناك تساهلًا عند الرواة أمثال جابر (وهو مختلف في توثيقه عند الشيعة الإمامية) من إمكان اعتبار رواية الحديث لا عن لقاء ومشافهة، وإنما مجرد السماع من الآخرين أو القراءة

(١) الكافي. ج٧ ص٨٧ من الفروع.

في كتب اشتراها من السوق على حد تعبير أحد الرواة. إن هذا الوضع تسبب للمتأخرين من المحققين في وضع غاية في الصعوبة والحيرة.

من بين المئة والثلاثين راويًا الذين أوردناهم كعينة توثق كتب الرجال عند الشيعة الإمامية ثلاثة وثلاثين راوياً منهم، وهي نسبة قليلة تجعل أثرهم ضئيلًا في صحة الحديث المروي، خاصة إذا ما علمنا أن كل حديث يعتمد على سلسلة من الرواة قد تبلغ الأربعة أو الخمسة، فقلما يجتمع في هذه السلسلة الموثوقون جميعًا، فإذا وجد موثق واحد وبقية الآخرين مطعون فيهم سقط الحديث طبعًا. والملاحظ من مصادر الرجال المذكورة أن هؤلاء الرواة الموثوق فيهم أكثرهم ليسوا شيعة (اثني عشرية) إمامية، (أي لا يؤمنون باثني عشر إمامًا)، وإنما أكثرهم من الواقفة الذين توقفوا عند إمامة موسى الكاظم، وقالوا: إنه لم يمت بل هو المهدي ولم يقروا بإمام بعده (علي بن موسى) أو إنهم من الفطحية الذين قالوا بإمامة عبدالله بن جعفر بن محمد الأفطح، فلم يسوقوا الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم، كما فعل (الاثني عشرية). أو إن البعض من فرقة الشيعة الزيدية. وهذه ملاحظة مهمة جدًّا يجب التوقف عندها ودراستها؛ للوصول إلى أسباب ذلك.

لماذا تشهد كتب الرجال بأن أكثر الموثوق فيهم هم من الواقفة أو الفطحية أو الزيدية. ولماذا يكون أكثر المطعون فيهم هم من الإمامية (الاثنا عشرية)؟ على الرغم من أن الإمام أبا الحسن الرضا قد وصم الواقفة بأنهم كفار ظالمون أو مشركون يعيشون حيارى، ويموتون زنادقة، ولا تجوز الزكاة لهم. وقد أشار الطوسي في كتابه (الغيبة)، وتساءل كيف يمكن الوثوق بمرويات الواقفة والطعن عليهم كثير من أصحابنا[1].

(١) الطوسي. الغيبة. ص٤٢.

مـن بين المئة والثلاثين راويًا الذين أوردناهم سالفًا أربعة وثلاثون راويًا مختلـف في توثيقـه عند مصادر رجـال الحديث الشيعة، كمـا هو موضح في الجـدول المرفـق، والأصـل في رواية الحديـث احتياطًا ألا يدسـ على الإمام أو النبـي ﷺ مـا لم يقله. وكـذا فإنه يجب أن يسقط روايـات هؤلاء، ويلحقوا بالمطعون فيهم تحوطًا، وبهذا ترتفع نسبة المطعون فيهم إلى أن يصلوا إلى ما يقرب الثلثين، مما يجعـل من الصعب جدا على العلماء والمدققين قبول كتب الحديث، يمثـل ثلثا رواتها مطعون فيهم في المذهـب نفسه. وهناك ملاحظة مهمـة في هـذا الباب هنا، حيـث نجد في هذه الفئة غالبًا مـا يأتي الطعن في الراوي من المصادر القديمة كالكشي أو النجاشي [1].

ثـم يأتـي توثيقه أو تعديلـه من المتأخريـن من رجـال الحديث كالحر العاملي أو المحقق الحلي لأسباب واهية وبعضها عجيب، كأن يقال: إن الطعن ورد علـى دين الرجل ولم يقع على روايته. كما هي عبارة ابن الغضائري عن أبـي بصير ليث المرادي، ويبـدو أن هذه القاعدة هي السائدة في هذا القسم من الرواة الذين ذكرنا منهم هشام بن الحكم والمختار بن عبيدالله الثقفي وغيرهـم ممن عرفـوا بفساد عقيدتهم ودينهم، فمـا الداعي إلى توثيقهم؟ الجـواب الـذي نستقرئه هنا: أن العلمـاء المتأخرين وجـدوا أن غالبية رواة الحديـث في كتب الشيعـة مطعون فيهم في مصادر الشيعـة نفسها، فإن هم أخذوا بهذه الطعون على سبيل الدقة كما هو الحال عند السنة، فإن أحاديث كتب الشيعـة الأربعة أو غيرها تسقط في الاختبـار، فاضطروا إلى التساهل في حـال الراوي، وأخذوا يجـدون له الأعذار بأن ما ورد عليه من طعن مثلًا، إنما كان سابقًا لروايته تلك، فقد تاب الرجل مما وصم به، ورجع عن ذلك،

---

(١) الطوسي. الغيبة. ص٤٢.

وهكذا نجد مثل هذه الأعذار حتى تقبل روايته أو تعدل، وهذا منهج خاطئ، وكان الأولى عقلًا وديانة لحفظ دين الله. إسقاط هؤلاء الرواة وما رووه من أحاديث أصبحت عبئًا على الشيعة والتشيع، والتبرء منهم ومن مقولاتهم هو الأولى.

إن الانحـراف الذي أصـاب التشيع منذ البذرة الأولـى حصل على يد رواة كذبـة مطعون فيهم من الأئمـة أولًا ومن بقية المسلمين، ولكن الحركات السريـة غالبًا لا تستطيع البراءة أو التخلص من المنحرفين للطبيعة السرية في قيـادة المجموعة التي لا تستطيع نشر تعاليمها بكل حرية ووضوح للجميع، فيختلط الغث بالسمين، ويورث هؤلاء الحيرة لعلمائهم المتأخرين. ومن ذلك مثـلًا إصـرار الراوي على أفكاره المخالفة للإمام لمجـرد أنه لا يريد الرجوع عنهـا؛ حمية لنفسه وللشيعة معًا في الكوفة، فهذا محمد بن علي بن النعمان الأحـول يعترف بأنه لكـثرة احتجاجه وخصومته للآخريـن من مخالفيه لا يستطيـع التراجع عن رأيه وإن خالف إمامـه، وذلك لمجرد الحمية[1]. وهذا باب من أبواب الكذب في الحديث دخل على رواة الشيعة.

بعـد وفـاة كل إمام مـن الأئمة الاثني عشـر يختلف الشيعـة في الإمام الواجـب اتباعـه، فتنشأ من هذا الخـلاف فرق أخرى، وهذا قـد أثر كثيرًا على حال الرواة لحديث الشيعة؛ مما أورث عدم الثقة في سلسلة الرواة التي تتعرض للانفصـام كلما توفي إمام وظهر الاختـلاف فيمن يستحق الإمامة بعده.

(١) الكشي. رجال. ص١٩٠.

للطبيعة السرية لفرقة الشيعة ومخالفتها للدولة، فقد درج أئمة الشيعة علـى تنبيه رجالهم بأنهـم تحت رقابة السلطة السياسيـة، وأن أقوال الأئمة محسوبة عليهم من السلطـات، ويطلب الأئمة عدم إحراجهم وتوجيه أسئلة مباشرة في حضرة آخرين خاصة فيما يتعلق بالإمامة أو جمع الأموال المتعلقة بالـزكاة أو.... وقـد أوضحنا ذلـك بالتفصيل، عندما تكلمنـا عن أصحاب الإمـام الصادق وموقفه منهم. لقـد استغل بعض ضعاف النفوس من هؤلاء الـرواة توجيـه الأئمة هذا أوسع نطـاق، فأحيانًا يدعـون أن كلامه ورد على سبيل التقية، وأخرى يدعون أن كلامه ورد بخلاف ما سبق أن أجاب في سنة سالفـة، ففتح الباب أمام الكذابين لاستغلال هـذه الثغرة لتوثيق ما يريدون مـن أقوال ونفـي ما لا يشتهون مما أظهر أفـكارًا لا عهد للأئمة بها، وبرغم نفيهم تلك الأفكار فقد كان صوت هؤلاء الرواة، وخاصة بالكوفة أعلى وأقوى مـن توجيهات الأئمة الذين لا سلطة لهم على هؤلاء ولا على غيرهم، خاصة لبعدهـم في المدينة. وقد ذكرنا كيف أن هشام بـن الحكم يطلب منه الإمام أبـو الحسن علي بـن موسى الرضا عدم الكلام، فلم يمتنع، وقد تسبب ذلك في قتل الإمام، كما فصلنا ذلك في موضعه.

ومما يلاحظ على بعض الرواة المصنفين الذين وثقهم علماء الرجال، بـل ربما أجمعوا على توثيقهم كما ذكرنا ذلك مثلًا في حق محمد بن يعقوب الكليني وعلي بن إبراهيم القمي مع أن هؤلاء قد أوردوا في كتبهم روايات في تحريف القرآن الكريم، حيث إنهم لم ينكروها أو ربما قبلوا بعضها مما دفع بعضـ العلماء إلى الاعتقاد بأنهم يجيزون ويرون صحة الروايات في تحريف القـرآن. ومـع أن هذا أمـر عظيم في دين الإسلام لا يقـول به مسلم صحيح

العقيدة مع كل ذلك اعتبروا من الرواة الموثوقين عند الشيعة أجمعين، إلا ما شــذ من العلماء ربما. وقد سبق أن أوردنــا نصوص الآيات المحرفة والواردة عنــد الاثنين معًــا. وهذا من جملة التساهل الموجود في حــق الرواية والراوي عند الشيعة الإمامية.

ومشكلة أخرى لا تتعلق فقط بعقيدة الراوي، وإنما تتعلق بعمله وسلوكه الشخصــي، فمن الأمور المعروفة في توثيق الراوي ألا يخالف عمله ما يرويه، وقــد شهد الإمام أبــو الحسن ﷺ على مخالفة شيعتــه العملية لما يروى عن الأئمة، فقد ذكر: «لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة (ربما واقفة)، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولــو غربلتهــم لم يبقَ منهــم إلا ما كان لي أنهــم طالما اتكؤوا علــى الأرائك، فقالــوا: نحــن شيعة علي. إنما شيعة علي من صدق قولــه فعله»[1]. فإذا كان الإمــام نفسه قد شهد بأن أفعال أكثر أصحابه هــؤلاء تخالف أقوالهم، فأي ثقة بقيت في الراوي. ولكن بعضًا من المتأخرين من الشيعة المحدثين يفصلون بين عمل الراوي (فساده) ومنطوق روايته.

إن هــذا العــدد الكثير من الــرواة الكذابــين والمطعون فيهــم من كتب الرجــال القديمــة، خاصة مــا ورد ضدهم من لعــن الأئمة إياهــم والأقوال المنكــرة في رواياتهــم المخالفة لعقيدة الأئمة والمسلمــين عمومًا، وكذلك تلك الروايات المشحونة بالخرافات، التي لا يمكن أن يصنعها من كان له ذرة من عقل. أقول: هذا الوضع ليس طبيعيًا ولم يحصل عفويًا، ومن المحتمل أن أعداء الشيعة السياسيين قد دسوا هؤلاء الكذابين؛ ليروا تلك الخزعبلات التي ملئت

(١) الكليني. الكافي. الروضة. ص ٢٢٨.

بهـا كتب الحديث وتلـك الأفكار والعقائد المخالفة لعقيـدة آل البيت، كما هي معروفـة ومحققة عند المسلمين الآن، وهـذا الكذب الهائل لا يمكن أن يحصل اعتباطًـا. وقياسًا على ما يحصل من اختراقات للجماعات السرية في العصر الحديـث وقيـام متعاونين لجمع معلومـات عن هذه الجماعـات، وتكوين فكر مضـاد لها من داخل فكر هذه الجماعات بحيث يؤدي الحال إلى تمزيقها من الداخل أمر ليس ببعيد حدوثه. فمثلًا كتاب سليم بن قيس الذي يشار إليه أنه من أول الكتب التي ظهرت في فكر الشيعة، وأنه من كتب الأصول تعرض لنسبة كبـيرة مـن الانتحال، فقد قيـل: إن ما ورد فيه جملة هو مـن الموضوعات وهو نفسه منهم من الكذابين، ومما يدل على وضعه أنه قد ورد فيه أن الأئمة ثلاثة عشـر إمامـاً لا اثني عشر، وأن محمد بن أبي بكر قد وعظ أباه عند الموت، مع أنـه كان يقترب من السنتين من عمره، وإن علماء الشيعة لديهم نسخ مختلفة في كميـة ما ورد في هـذا الكتاب[1]. وقد ورد صراحـة أن أبان بن أبي عياش، وهـو الـراوي الوحيد لهـذا الكتاب هو الذي وضـع هذا الكتـاب. والسؤال: ما الدافع إلى أبان أن يكذب فيضع هذه المعلومات وما غايته من ذلك؟ إنني أدعو الباحثـين إلى تقصي هذا الأمـر لأهميته البالغة، وأنـه سيكشف في المستقبل الكثير من الغموض المحير في أفكار وعقائد الشيعة.

لماذا يصر هشام بن الحكم على ترويج أفكار الغلاة في الكوفة والعراق، وينســب للإمام أبي الحسن أقـوالًا لم يقلها مما يسبب بذلك اضطهاد الإمام وحبسه من قبل الحاكم وقتله بعد ذلك.

من هو يحيى بن خالدة الذي كان ينقطع إليه هشام بن الحكم؟

---

(١) أورد ذلك العلوي الحسيني في مقدمة الكتاب.

ومن هو أبو شاكر الديصاني الذي تصفه المصادر بأنه زنديق تتلمذ على يده هشام بن الحكم؟

إن الدفاع عن الكذابين، ومن لعنوا على لسان الأئمة ومحاولة تعديل رواياتهم وإيجاد السبل والأسباب لمحاولة توثيقهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا هو غفلة من المحققين وخطأ كبير في حق المذهب ورجاله؛ فإسقاط رواياتهم وأحاديثهم أصلح للمذهب وأهله.

وفي الكلام عن أخبار الآحاد ومدى صحتها والعمل بها ذهب أكثر المحققين إلى صحتها والقول: إن الطائفة درجت على قبولها، وقد ذهب صاحب كتاب العمدة (الطوسي) إلى ما نقله السيد أبو القاسم الخوئي: «... عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب محمد ابن أبي زينب في حال استقامته، وتركوا ما رواه في حال تخليطه»[1]. وقد أفردنا الحديث عن أبي الخطاب ومن كان هذا شأنه من الصعوبة قبول روايته ومن غير الصحيح معرفة أوقات تخليطه واستقامته.

من الذي دفع إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق لأن يتحلق حوله رجال، ثم ينشقون، ويكونون جماعة دينية منفردة بآرائها الغريبة عن الأمة هل تجري مصادفة. روى الكشي بسنده عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك، ما لك ولابني يعني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعًا إليه يقول فيه مع الخطابية»[2].

(١) الخوئي. معجم الرجال. ج١٤. ص٢٥٩.

(٢) الكشي. رجال. ص٢٧٢.

ما المصلحة من دفع ابن الإمام إسماعيل من اعتناق مذهب الخطابية الشاذ، الذي سبق أن أوضحناه، وإدخال ذلك على الشيعة وعلى إمامهم في خاصة أهله وأبنائه؟ وقد ذكر للمفضل مصنفات سربت للمذهب منذ القديم كذبه وأهدافه من خلالها، ومنها ما وصل إلى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة[1].

إن أمثال كثير النوا وسالم بن أبي حفصة وأبي الجارود الذين وصمهم الإمام الصادق ليس فقط بالكذابين وإنما بالمكذبين، فلما سأله أبو أسامة عما يقصد بالمكذبين، قال الإمام: كذابون يأتوننا، فيخبرونا أنهم يصدقونا، وليس كذلك، ويسمعون حديثنا ويكذبون به[2]؛ فالمسألة مقصودة ومدبرة سلفًا كما يبدو. ونقل ابن النديم في الفهرست عن محمد بن سنان قوله في حق أبي الجارود: «لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين»[3]. فماذا تعني ولاية الكافرين هنا أليس منها وضع الأحاديث والكذب على الإمام الصادق؛ بغية إظلال الشيعة في الكوفة وغيرها ووقوعهم في حيرة من أمرهم لهدف سياسي كبير.

إن والي الكوفة لما أراد معرفة مكان اختباء عقيل بن أبي طالب الذي قدم لأخذ البيعة للحسين بن علي من أهل الكوفة دس العيون التي توصلت بالمال والخديعة إلى الهدف المطلوب، وقتل عقيل رحمه الله على إثرها، ونقل لنا التاريخ تفاصيل كيف تم ذلك، ومن الرجال الذين قاموا بذلك، ولكن الكذب

---

(١) الطوسي. الغيبة. ص٢١٠.
(٢) الكشي. رجال. ص٢٠٠.
(٣) ابن النديم. الفهرست. ص٢٥٣.

في الحديث برغم خطورته الفكرية على مستقبل الحركات السياسية لا يبين بوضوح من الشواهد والوقائع الدينية، كما هو الحال في الوقائع السياسية.

لقد أرشد الإمام الباقر قديمًا، فقال في حق هؤلاء الكذبة وفضح مقصدهم «.. لقد رووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله؛ ليبغضونا إلى الناس»[1]. وقد تنبه إلى ذلك كثير من المحققين، وأشار بالطعن على هؤلاء، ولكن ذلك لا يكفي، لقد بقيت تعاليم أولئك الكذابين في بطون الكتب، وتأصلت على أساسها أصول، فهل هناك قدرة على رفعها من جذورها؟

ومن التساهل الواضح في قول الراوي ومحاولة توثيقه خاصة من قبل علماء الرجال المتأخرين، فبعض علماء الرجال القدماء مثلًا يدفع الراوي، فلا يوثقه بسبب ما عنده من غلو في المذهب، فيأتي المتأخرون فيلطفون لفظة الغلو الشنيعة عند جميع العلماء والمسلمين إلى القول: إن في مذهبه (ارتفاعًا)، وهي لفظة ملطفة مفادها أن في مذهبه غلوًا مقبولًا، وهذا يدل عند هؤلاء أن كثيرًا ممن اشتهروا بالغلو قد يكونون رواة مقبولين. ومن أمثلة ذلك محمد بن بحر الرهيني، فقد وصمه الشيخ الطوسي[2] بأنه متهم بالغلو، في حين قال عنه النجاشي: إن في حديثه قربًا من السلامة على الرغم من أن بعض الأصحاب ذكر أن في مذهبه ارتفاعًا[3].

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في حق عبدالله بن خداش المهري الذي قال عنه النجاشي: «ضعيف جدًا وفي مذهبه ارتفاع» ولفظة جدًا هي إشارة إلى أنه من

(١) الكشي. رجال. ص.
(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص٣١٨.
(٣) النجاشي. رجال. ص٢٧١.

أصحــاب الغلو والارتفاع. ولكــن الحر العاملي يفهم من ذلك قائلًا: «إن فساد مذهبه لا ينــافي التوثيق»[1]. وهكذا تتسرب أفكار الغلاة والكذابين عن طريق هذا التساهــل في توثيقهم وقبول روايتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ لأنها هي الخرق الذي دخلت منه البلايا والمصائب على الشيعة.

محمــد بن علي بن هلال عــده الشيخ الطوسي في كتابــه (الغيبة) من المذمومــين، ويستقرئ الحر العاملي أن يكون وجــه الذم اقتران اسمه باسم زرارة الملعــون مــن الإمام الصادق لكذبه، ومع هذا يقــول الحر العاملي عن ابن هلال هذا: «ما نقل عنه من سبب الذم لا ينافي كونه ثقة في الحديث»[2].

اليــوم، وقد تهيــأت سبل التحقيق وحريــة الكتابة والتأليــف، وأصبح ما كان سرًّا يخشــى انتشاره لدى الخصوم أضحى في متناول جميع طلاب العلم والحقيقــة، فلمــاذا لا يشمر طلاب العلــم الشيعة خاصة لدراســة هذا الأمر وإيضاحــه للناس. إن إعــلان الحقيقة ونشر العلم بما فيهــا أخطاء الماضين، ومــا جروه من ويلات، ومــا ارتكبوه من آثام وكذب في حق إخوانهم في المذهب لهو أجــدى اليوم للشيعة والمسلمــين عمومًا من الإصرار علــى أخطاء الماضي وتبريرها بشتى الأسباب الواهية.

أليست وحدة المسلمين واتفاقهم على أصول عقائد الإسلام التي تحميهم مــن التمزق والتشــرذم المذهبي أمام أعدائهــم وخصومهم الكفرة أهم من تأصيــل أفــكار الغلاة وممزقي الأمــة والطاعنين رجالهــا وخلفائها وأئمتها وصحابتها.

(١) الحر العاملي. الخاتمة. ص٢٣٦.

(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٢٣٥.

ماذا يضر مذهب الشيعة إذا أعلن علماؤهم بعد تحقيق ودراسة محايدة إبطال فكرة الغيبة وغيرها إذا تحققوا من أن رواتها ومخترعيها منذ ذلك الوقت، كما أوضحنا كانوا إما أصحاب أغراض شخصية أو من الغلاة الهادفين إلى فرقة الأمة أو على أقل تقدير من حسني النيات الذين اجتهدوا للمذهب وأهله لما ينقذهم في تلك الظروف من محن وعنت أصبحت الآن لا مبرر لها.

من المؤسف أن تتحول شهادات قدماء الشيعة في حق بعض الرواة غير الموثقين لأسباب ذكروها بصراحة مثل ذكر النجاشي عدم توثيق رواية جعفر الجعفي لاختلاطه عقليًا، من المؤسف أن تتحول هذه الشهادة مثلًا عند المامقاني أي اعتبار الاختلاط المذكور لا أصل له؛ لأنه ناشئ عن رواية الجعفي لأمور في الأئمة غير مقبولة عند القدماء، ثم صارت اليوم من ضرورات مذهب الشيعة، وكانت تعد غلوًا. وهذه حجة المامقاني في عدم قبول الآخرين ما ورد من اختلاط عقل الجعفي[1].

إن القاعدة التي استخلصها من محققي الرجال المتأخرين تعتمد أكثر على مدى تطابق ما يروى مع قواعد المذهب التي استقرت فيما بعد عندهم، فإذا كان الحديث منطوقًا يتفق مثلًا مع فكرة البداء أو الغيبة أو التقية أو... فالحديث صحيح والراوي ثقة برغم ما قد يرد من قدح في شخصه. وهذه القاعدة إذا كانت بسيطة وسهلة على المحقق في العصور المتأخرة التي استقرت فيها أصول مذهب الشيعة، وأصبح من العسير تغيير ما توارد عن القدماء، ولكن هذه القاعدة غير صالحة، ولا يمكن تطبيقها على قدماء الرواة وأحاديثهم؛ لأنهم هم الذين اخترعوا هذه الأفكار والعقائد، فأصبحت

(١) المامقاني: تنقيح المقال. ج١. (جابر الجعفي).

بمرور الزمن وتعاقب إخفاء العقيدة وسترها أضحت قواعد وأصولًا لمن جاء بعدهـم، على الرغم من أن مخترعيها ربمـا غلاة كذابون أصحاب أغراض كما ذكرنا.

لقـد تفنن أصحاب الأغراض هؤلاء بهدف وضع الشيعة في ظلام دامس يصعـب على عامتهم، فضلًا عـن عقلائهم معرفة الحقيقـة والوصول إليها بوضـوح دون عناء وتكتم وسرية، فأشاعوا مقولـة الإمام الصادق: «إنه ليس مـن احتمـال أمرنـا التصديق لـه والقبول له فقـط أن احتمـال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله....». أولوا هذه النصيحة وجوب كتمان الأفكار الغالية والمنكـرة التـي أشاعوها في حين كان الإمام الصـادق يعني بذلك ليست تلك الأفكار التي اخترعها هـؤلاء الكذابون، فأضحت أصولًا مـن أصول الشيعة، وإنما المقصود به أمر الشيعة السياسي في التهيؤ للانقضاض على الحكم من يـد الأمويـين وتخليص الشيعة مما هم فيه من شدة وعناء، هذا إن تحقق أن الإمام قد قال ذلك حقًّا.

ليس في أصول الإسلام وقواعده وتعاليمه ما يقتضي ستره وإخفاءه عن كائن من كان، بل بالعكس بعث نبي الإسلام بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها، وليس في أصولها وأفكارها ما يقتضي كتمانه بل يؤثم من يكتم الحق ويخفيه، فما فائدة أن تتحول قواعد الإسلام وتعاليمه إلى تعاليم باطنية خفية تمكن كل صاحب غرض من تأويلها على هواه؟ وقد انتهت التعاليم الباطنية بفناء مذاهبهـا ومريديهـا؛ لاتجاههم نحو سـراب لا يؤمن بـه إلا قطعان الجهلة والغافلون عن الحق أو طلاب الدنيا المستغلون تلك القطعان.

لقد سلك بعض طلاب العلم مؤخرًا بعد أن أدركوا هذه الحقيقة إلى محاولة إنكار بعض شخصيات الرواة أو الرجال الذين تحلق في عنقهم بعض أوائل أصول الشيعة: كعبد الله بن سبأ وغيره، فأنكروا وجود هذه الشخصيات، ولكن هذا المسلك خاطئ من أصله؛ لأنه ينفي الغلاف الخارجي، ويبقي على الحقيقة الباطنية التي خلفها السبئية للتشيع، والصحيح معالجة الجذور والأصول لا القشور الخارجية. وقد قام البعض بجهد مشكور كما فعل السيد هاشم معروف الحسيني في دراساته في الحديث والموضوعات، وأوضح بأجلى بيان أولئك الكذبة والمنافقين والغلاة من الرواة وأوضح توثيق البعض لهم، ولكن هذا العمل برغم أهميته يعد وسيلة للوصول إلى الهدف، والهدف هو معرفة الحقيقة وكشف تلك الأفكار التي بذرها هؤلاء الكذبة منذ القديم، فأصبحت أصولًا لمن جاء بعدهم لا يقدرون الخروج عليها.

ومن قدماء أصحاب الرجال الذين كشفوا أحوال الرواة ما كتبه ابن الغضائري (أحمد بن الحسين)، حيث خص بالكتابة (الضعفاء) ولصراحة ما فيه من انكشاف الكذابين والغلاة عمد بعض علماء الشيعة إلى نفي نسبة الكتاب لصاحبه لأسباب واهية، ومنهم المجلسي وغيره.

هل كان الأئمة يطلبون المستحيل من الرواة الذين يفدون إليهم فيما يتعلق بالنص المنقول؟

هل يعقل أن يطلب الإمام من الراوي أكثر من الصدق فيما ينقل عنه فيما يخص قواعد الدين وتعاليمه وفتاواه؟ لقد أوردنا الكثير من أقوال الإمام الصادق وشكواه من كذب الرواة عليه ولعن بعضهم بالاسم والفعل معًا.

لقـد تفتق ذهن الكذابين على الأئمـة والإسفاف في تضليل الشيعة إلى أن يـرووا عـن الإمام الصادق قولـه: «إني لأحدث الرجـل الحديث فينطلق فيحدث به عني كما سمعه، فاستحل به لعنه والبراءة منه»[1].

ويعلل النعماني ذلك (لأن الكلام عن الغيبة) أن الإمام «يريد أن يحدث به من لا يحتمله، ولا يصلح أن يسمعه». لماذا؟ هل دين الشيعة غير دين الإسلام المعـروف الواضح؟ إن النعماني لما تأصل في ذهنه وعقيدته فكرة الغيبة التي أنكرهـا جمهور المسلمين اعتبرها مما لا تصلح أن يحدث بها كل إنسان أنها سر من أسرار المذهب؛ لأنها مخالفة لما اعتقده المسلمون، ولما سمعوه من نبي الإسلام ﷺ . لماذا لا يكون التأويل أن الإمام ربما قصد ألا يحدث بجميع ما يقـول، وخاصة من أمور سياسية أو لها علاقة بالحكم والسياسة أيًا كان من النـاس؛ خشية أن يـؤذي ذلك الإمام وأتباعه مما هـو معروف من أحوالهم ذلك الوقت.

لم يكـن ديـن الإمام الصادق ولا أئمة آل البيـت جميعًا ما يوجب ستره أو أن يتحـدث به لأناس مخصوصين، وإنما الدافع لذلك أن يستغرق الكذبة والوضاعون، فيحدثون عامة الشيعة بما يعن لهم من أفكار غالية وخزعبلات خارجة عن التصديق، ثم يوحون إليهم أن تصديقها صعب مستصعب حسب كذبهم بأن ذلك من أقوال الأئمة.

وهكـذا تستشري بينهـم تعاليم الكتمان التي ربمـا كانت في الأصل ذات هـدف سياسي سري إلـى أن تنتقل، فتكون كتمان المنكـر في العقيدة والسلوك والأخـلاق واستخدام التقية في غير محلها المشـروع. بدل من كتمان الأهداف

(١) النعماني، الغيبة، ص ٣٦.

السياسيــة، فيندفــع الــرواة الكذابون في إيهــام العامة أن الأئمــة لديهم علوم عظيمــة مخفية كعلم الجفــر، وأن لديهم (الجامعة) التي حــوت علوم الأولين ومعارفهم. ولهذا، فالأئمة يعلمون جميع اللغات ويعلمون لغات الحيوان والطير، بــل وصل بهؤلاء الكذبة أن الأئمة يعلمون الغيب، وجمعوا معجزات ذكروها لكل إمــام ترشح بالغلو والكذب، وهي إساءة للأئمة فضــلًا على كونها سخرية من عقــول من يقرؤها، فهل ينتظرون أحدًا يصدقهــا؟ أم أن النتيجة المطلوبة هي رفضها ورفض التشيع والأئمة معًا؟

وقــال بعض علمــاء الشيعة: إن الميــزان في توثيق الروايــة ليس الراوي، وإنمــا إذا كانــت روايته قد عمل بهــا ومشهورة في المذهب تكــون مقبولة وتُعدّ حجــة ولا حاجة بنا إلى علم الرجــال[1]. وهؤلاء هم الإخباريون الذين يوثقون كل مــا جاء غالبًــا في كتب الحديث خاصــة الكتب الأربعة. وقــد نقض السيد الخوئــي حجتهم. واحتج الطوسي نفسه (يعود لــه كتابان من الأربعة)، فذكر في كتابــه الفهرست: «إن كثيرًا من المصنفين وأصحاب الأصول كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة»[2].

إن كتب حديث الشيعة التي دونها الكليني والطوسي وابن بابويه القمي ذكــروا: أنهم دونوها عن كتب الأصــول. فأين تلك الأصول؟ ولماذا لم تحفظ كمــا حفظت غيرها؟. قال البعض: إن كتب الأصــول قد اندرست واستعاض النــاس عنها بالكتب الأربعة[3]. واتجه كثير من فقهاء الشيعة ومحققيهم على اعتماد صحة ما ورد في الكتب الأربعة، وخاصة الكافي مثل ابن طاوس (رضي

---

(١) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج١. ص ٣٥.

(٢) الطوسي. فهرست. ص ٢٤.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج٢٠. ص ٧٥. و ص٣.

الدين)، والنجاشي والمازندراني (في شرحه للكافي)، بل ذهب القزويني إلى حد القول: إن الكافي مروي عن الإمام الصادق بلا واسطة، وإن جميع أخباره حق واجب العمل بها....[1].

وبخلاف ذلك، فإن جملة من العلماء الآخرين والأصوليين الشيعة لا يذهبون هذا المذهب، فلو أخذنا مثلًا الجزء الأول من كتاب الكافي، وهو متعلق بأبواب العقل والعلم والتوحيد والحجة لجمعنا الملاحظات الآتية:

١- إن ما يقرب من مئة وثمانين حديثاً في هذا الجزء يرويها علي بن محمد (أحاديث غيبة الإمام الثاني عشر)، فمن هو علي بن محمد؟ إن أكثر من واحد ممن عدوا في الضعفاء اسمهم علي بن محمد. وكذلك الحال في الراوي محمد بن إسماعيل.

٢- ورد في سلسلة الرواة لـ١٢٢ حديثًا فيها سهل بن زياد الرازي، حيث ضعفه النجاشي والطوسي وغيرهم بسبب كذبه، وإنه مرمي بالغلو، وأنه طرد من قم مع بقية الغلاة. وذكر الخوئي في معجم رجال الحديث، أنه قد ورد له في الكافي ٢٣٠٤ أحاديث؟

٣- هناك ١٧٢ رواية في هذا الجزء يرويها الكليني عن مجاهيل عن فلان؟ عمن سمعه؟....

٤- هناك أكثر من عشرين راويًا ممن ورد ذكرهم في سند روايات الكليني في هذا الجزء كلهم مطعون فيهم من درجة الضعف إلى درجة الكذب والغلو وفساد المذهب، يمكن مقارنة أسمائهم بما ذكر عن بعضهم سابقًا.

(١) محمد أبو زهرة. الإمام الصادق. ص ٤٢٥.

والحقيقـة التـي يخرج بها الباحـث المنصف عـن رواة الشيعة حسبما وردت في مصادرهـم سبقنـا إليها رجل شيعي إمامـي عربي متخصص في علم الرجال، وقد كتب كتابه المعروف برجال النجاشي.

كمـا أن تلك الشهـادة اعترف بها أكبر علماء الشيعـة في القرن الرابع الهجـري، ذلك هـو الشيخ الطوسي، تلـك الحقيقة المرة نقلهـا إلينا محمد هـادي اليوسفي الغروي في مقدمته لكتاب رجال النجاشي، حاكيًا عن كتاب الفهرست عن الطوسي. قال: «... لأن كثيرًا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلـون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة...»[1]. وعليك أن تفكر كيف تكون كتبهم معتمدة، وهي تصدر من أصحاب مذاهب فاسدة؟



(١) النجاشي. رجال. المقدمة ص٩.

المراجع والمصادر

- إبراهيم، عوض. سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم. القاهرة: دار زهراء الشرق، ١٩٩٨م.
- ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله. شرح نهج البلاغة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الفكر، ١٩٦٥م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق. الفهرست. بيروت: دار المسيرة، ١٩٦٣م.
- ابن بابويه القمي، محمد بن علي. من لا يحضره الفقيه. لبنان: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. رفع الملام عن الأئمة الأعلام. الدوحة: الشؤون الدينية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. الإصابة في معرفة الصحابة. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٠م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. تهذيب التهذيب. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار الشعب.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء الزمان. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.
- ابن سعد، محمد القرطبي. الطبقات الكبرى. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٤٠م.

- ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. القاهرة: دار نهضة مصر.
- ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد. القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٣٥٠هـ.
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد. العقد الفريد. دمشق: دار الفكر، ١٩٤٠م.
- ابن هشام، عبدالملك المعافري. السيرة النبوية. القاهرة: دار التراث العربي، ١٩٧٨م.
- أبو الحسن، الأشعري. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. إسطنبول، ١٩٢٩م.
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. بيروت: دار الحياة.
- أبو جبل، كاميليا. يهود اليمن. دمشق، ١٩٩٩م.
- أبو جعفر الطوسي، محمد بن الحسن. المبسوط في فقه الإمامية. طهران، ١٣٨٧م.
- أبو جعفر الطوسي، محمد بن الحسن. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد. طهران، ١٩٠٠م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. حمص، ١٩٦٩م.
- أبو شهبة، محمد بن محمد. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م.
- أبوزهرة، محمد. الإمام الصادق. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الأسدي، سيف بن عمر. الفتنة ووقعة الجمل. جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش. بيروت: دار النفائس، ١٩٨٤م.
- الأسيوطي، ثروت أنيس. نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.
- الأمين، محسن. أعيان الشيعة. بيروت، ١٩٦٠م.
- البار، محمد علي. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. الرياض: الدار السعودية، ١٩٨٧م.
- الباشا، حسن. (المشكلة اليهودية من عهد سبأ إلى صدر الإسلام). المجلة ٩ (١٩٥٧م).
- البحراني، هاشم. تفسير البرهان. طهران: مطبعة الأفتاب، ١٣٧٤هـ.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. القاهرة، ١٣١٣هـ.
- البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر. **الفرق بين الفرق**. القاهرة، ١٩١٠م.
- البكر، منذر عبدالكريم. **دراسة في تاريخ اليمن**. سلسلة كتاب المسيرة اليمنية. البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. **آثار الجاحظ**. بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. **الحيوان**. بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٦٩م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. **رسائل الجاحظ**. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٩م.
- الجزائري، نعمة الله بن عبدالله. **الأنوار النعمانية**. تبريز، ١٩٥٨م.
- الجلال السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. **أسباب النزول**. دمشق: دار قتيبة ، ١٩٨٧م.
- الجلال السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**. مصر: مطبعة البابي ، ١٩٥٠م.
- الجلال السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. **الجامع الكبير**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحائري، محمد بن علي. **جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد**. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٣م.
- الحديثي، نزار عبداللطيف. **أهل اليمن في صدر الإسلام**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الحسن، عبداللطيف عبدالرحمن. **الزواج المؤقت**. بيروت: دار الحرف، ٢٠٠٠م.
- الحسيني، هاشم معروف. **المبادئ العامة للفقه الجعفري**. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٧م.
- الحسيني، هاشم معروف. **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة**. بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٦٤م.
- الحضراني، بلقيس. (يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية). **مجلة ودراسات يمنية** ١٧ (١٩٨٤م).
- الحمادي، محمد بن مالك. **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**. القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٦م.

- الحميري، إسماعيل بن محمد. ديوان السيد الحميري. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣١م.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي. البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الزهراء، ١٩٧٥م.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي. معجم رجال الحديث. النجف، ١٣٩٠هـ.
- الذهبي، محمد السيد. الإسرائيليات في التفسير والحديث. دمشق: دار الإيمان، ١٩٨٥م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. تذكرة الحفاظ. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٣م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الرازي، فخر الدين. كتاب المحصل. قم: انتشارات الشريف الرضي، ١٩٩٩م.
- الروسان، محمود محمد. القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة. الرياض: جامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هـ.
- الزغبي، فتحي محمد. غلاة الشيعة و تأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م.
- الزنجاني، إبراهيم الموسوي. عقائد الإمامية الاثني عشرية. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٣م.
- السرخسي، محمد بن أحمد. المبسوط. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦م.
- السواح، فراس. الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم. دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٩م.
- الشامي، عباس علي. يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها. بيروت: مجلة المسيرة اليمانية، ١٩٨٨م.
- الشامي، عباس علي. يهود اليمن. سلسلة كتاب المسيرة اليمانية. ١٩٨٨م.
- الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم. الملل والنحل. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م.
- الشهرستاني، هبة الدين. تحريم نقل الجنائز. بغداد، ١٩١١م.
- الشيبي، كامل مصطفى. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري. بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٦م.
- الصليبي، كمال سليمان. خفايا التوراة و أسرار شعب إسرائيل. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢م.
- الطبرسي، أحمد بن علي. الاحتجاج. بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤١٠هـ.
- الطبرسي، أحمد بن علي. مجمع البيان في تفسير القرآن. شركة المعارف الإسلمية، ١٩٦٩م.
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. القاهرة، ١٩٥٤م.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آيات القرآن. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤م.
- الطهراني، آغابرزك. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. النجف: مطبعة الغري، ١٩٣٦م.
- الطوسي، محمد بن الحسن. الأمالي. بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨١م.
- الطوسي، محمد بن الحسن. التبيان في تفسير القرآن. النجف: مؤسسة الوفاء، ١٩٦٣م.
- الطوسي، محمد بن الحسن. الفهرست. كلكتا، ١٩٥٥م.
- العاملي، عز الدين الجبعي. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية. مصر: دار الكتاب العربي.
- العجمي، فالح شبيب. صحف إبراهيم. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦م.
- العياشي، محمد بن مسعود. تفسير القرآن. قم، ١٣٨٠هـ.
- الغزالي، محمد بن محمد. فضائح الباطنية. عَمان: دار البشير، ١٩٩٣م.
- القلشقندي، أحمد بن علي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العمية، ١٩٨٤م.

- القمي، الصدوق ابن بابويه. التوحيد. طهران، ١٩٦٧م.
- القمي، الصدوق ابن بابويه. علل الشرائع. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٨م.
- القمي، علي بن إبراهيم. تفسير القمي. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩١م.
- الكاتب، أحمد. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. القاهرة: دار الشورى، ١٩٩٧م.
- الكليني، محمد بن يعقوب. الأصول من الكافي. طهران: مكتبة الصدق، ١٣٨١هـ.
- المبرد، محمد بن يزيد. الكامل. مصر، ١٣٥٦هـ.
- المجلسي، محمد باقر. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. طهران: مطبعة الحيدري، ١٤٠٠هـ.
- المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
- المسيري، عبدالوهاب محمد. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م.
- المظفر، محمد رضا. عقائد الإمامية. قم: دار التبليغ الإسلامي.
- المظفر، محمد رضا. عقائد الشيعة. النجف: منشورات الحيدرية، ١٩٥٤م.
- المظفر، محمد رضا. عقائد الشيعة، ١٩٦٢م.
- المعتزلي، عبدالجبار بن أحمد. تثبيت دلائل النبوة. بيروت: دار العربية، ١٩٦٦م.
- المفيد، محمد بن محمد النعمان. الإرشاد. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٩م.
- المفيد، محمد بن محمد النعمان. أمالي المفيد. النجف، ١٩٦٢م.
- المفيد، محمد بن محمد. الاختصاص. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٢م.
- المفيد، محمد بن محمد. الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة. النجف، ١٩٤٨م.

- المفيد، محمد بن محمد. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، ١٤١٣هـ.
- الملاح، هاشم. «التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية.» مجلة جامعة الموصل ١١ (١٩٧٣م).
- الموسوي، موسى. الشيعة والتصحيح. بيروت، ١٩٨٨م.
- النشار، علي سامي. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٧م.
- النعماني، محمد بن إبراهيم. كتاب الغيبة. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٣م.
- النفيسي، عبدالله فهد. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. الكويت: آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٢ م.
- النوبختي، الحسن بن موسى. فرق الشيعة. إسطنبول، ١٩٣١م.
- النوري، حسين محمد. فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب. إيران، ١٣٩٨هـ.
- الهاشمي، سعدي. الرواة الذين تأثروا بابن سينا، ١٩٩٢م.
- الهواري، محمد علي. يهود اليمن. الرياض: جامعة الملك سعود.
- الواحدي، علي بن أحمد. أسباب النزول. القاهرة: مكتبة المتنبي، ١٩٦٨م.
- بدر الدين العيني، محمود بن أحمد. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري. القاهرة: إدارة الطباعة المنبرية، ١٩٢٧م.
- جولد تسيهر، أجناس. العقيدة والشريعة في الإسلام. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٤٦م.
- دراور، الليدي. الصائبة المندائيون. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٩م.
- ريتشارد، يان. الإسلام الشيعي. ترجمة حافظ الجمالي. بيروت: دار عطية، ١٩٩٦م.
- شبر، السيد عبدالله. تفسير القرآن الكريم، ١٩٦٦م.

- شحاته، عبدالفتاح علي. تاريخ الأمة العربية. القاهرة، ١٩٦٢م.
- شلبي، أحمد. مقارنة الأديان. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
- طعيمة، صابر. الشيعة معتقد ومذهب. بيروت، ١٩٨٨م.
- طنطاوي، محمد سيد. بنو إسرائيل في القرآن والسنة. بنغازي، ١٩٧٣م.
- ظاظا، حسن. الفكر الديني اليهودي. بيروت: دار العلوم، ١٩٩٩م.
- ظهير، إحسان إلهي. الشيعة و السنة. الرياض.
- علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. طهران: منشورات الشريف الرضي، ١٩٥٩م.
- علي، جواد. تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: مكتبة التفيض، ١٣٧٩ هـ.
- غنيمة، يوسف رزق الله. نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. بيروت، ٢٠٠٦م.
- فلهوزن، يوليوس. أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.
- فلوتن، فان. السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية. القاهرة: دار السعادة، ١٩٣٤م.
- كاشف الغطاء، محمد حسين. أصل الشيعة وأصولها. لندن: منشورات البزاز، ١٩٩٤م.
- كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة اليونانية. بيروت: دار القلم.
- لويس، برنارد. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية. بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م.
- هاشم، محمد يونس. الدين والسياسة والنبوة. دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.

